كتاب إبداع الكتابة وكتابة الإبداع في شرح قصيدة النادرات العينية فى البادرات الغيبية

للعارف بالله الشيخ عبد الكريم الجيلي رضي الله عنه

شرح د. سعاد الحكيم

مقدمة كتاب إبداع الكتابة وكتابة الإبداع

المقدمة :

مارس عبد الكريم الجيلي [767 هـ - 826 هـ] إبداعا مزدوجا في فعل الكتابة :

إبداعا في اللفظ ، وإبداعا في المعنى .

والإبداع الثاني متقدم على الأول وسبب له ، لأن المعاني الجديدة والمعارف المبتكرة المبدعة المتولّدة من عنديّة الكاتب لا من صحائف السابقين ، تدفع فعل الكتابة الحر نحو أشكال جديدة من التعبير ومختلفة ، وتسهم في خلق لغة جديدة .

"هذا ما حدث أيضا مع شيخ الصوفية الأكبر محيي الدين ابن العربي ، مما دفعنا لدراسة كيفية تكوّن اللغة لديه ، وارتباط هذا التكوّن بمعارفه الصوفية وبنية مشاهدته للكون .

راجع كتابنا : " ابن عربي ومولد لغة جديدة " ، "

وقد أعلن الجيلي مرات عديدة في ثنايا كتبه أن علومه الصوفية من باب الأسرار التي لم يضعها واضع في كتاب ، وأنه يتنزل في الكلام على قدر ما تحتمله " العبارة الكونية " من جهة ، واللغة الصوفية من جهة ثانية .

يقول : " ثم نتكلّم من حيث ذاته (تعالى) على حسب ما حملته العبارة الكونية ، ولا بد لنا من التنزل في الكلام على قدر العبارة المصطلحة عند الصوفية (. . .) وسأنبّه على أسرار لم يضعها واضع في كتاب ، من أمر ما يتعلق بمعرفة الحق تعالى ومعرفة العالم الملكي والملكوتي ، موضحا به ألغاز الموجود ، كاشفا به الرمز المعقود ، سالكا في ذلك طريقة بين الكتم والإفشاء ، مترجما به النثر والإنشاء . فليتأمل الناظر فيه كل التأمل ، فمن المعاني ما لا يفهم إلا لغزا أو إشارة ، فلو ذكر مصرّحا لحال الفهم به عن محله إلى خلافه فيمتنع بذلك حصول المطلوب " .

لقد كان الجيلي واعيا أن كتابته إبداعية على مستوى الشكل والمضمون معا ، فنبّه على ذلك في كل عمل أخرجه للناس ، اختار أن يكتب إبداعه المعرفي بأسلوب كتابة مبدع ، فنحت مفردات ، وانتهج الكتم والإفشاء معا ، والرمز في العبارة واللغز في الإشارة ، والتلويح دون التصريح .

ولكن ، وعلى الرغم من انتهاج الجيلي للتلويح لا للتصريح ، إلا أنه يصرّح أحيانا بلغة بيانية لا ترميز فيها ، ويفجأ القارئ بحقائق عن الوجود والإنسان ، تدعو للإعجاب والتأمل. "" ينبه الجيلي القارئ بأنه ما وضع في كتبه إلا ما هو مؤيد بكتاب الله أو سنة رسوله صلّى الله عليه وسلّم ، وأنه إذا لاح للقارئ شيء في كلامه بخلاف الكتاب والسنة فليعلم أن ذلك من حيث مفهومه لا من حيث مراد الجيلي . وينصحه بالتوقف عن العمل بما يقرأ ، ويسلّم ، وينتظر إن يفتح الله عليه بمعرفته . (الإنسان الكامل ، ج 1 ص 5) . "" .

وحيث أننا نعتبر الجيلي من أهل الاختصاص في الحقل الصوفي ، واختصاصه هو " الإنسان " ، نلفت إلى أنه قدّم ، من خلال تجربته الشخصية ومشاهداته الخاصة ، رؤية للإنسان الكامل بالذات والأصالة ، الواحد منذ الأزل إلى الأبد ، تفتح المجال واسعا أمام جنس البشر للتحقق بالكمال واللحوق به .
لقد فتح الجيلي بكتاباته كلّها ، على الأخص بالقصيدة العينية التي ننشرها اليوم ، آفاقا جديدة أمام إنسان اليوم ليستعيد ثقته بذاته وجنسه ، وينهض من جزيء إقليمه إلى الكون الواسع ، ويتحقق بفعالية روحية توازن ثقل المادة الذي أحنى ظهور بني آدم جميعا ، ودون استثناء .
يعلّم الجيلي الإنسان ، بأن جوهره ليس عقلا ولا إرادة ، بل جوهره إلهي .
وأن موقعه في الوجود هو خلافة الله في الأرض ؛ لذا فما عليه إلا أن يجاهد العوائق ليحقق ذاته ، ويرقى من المرتبة الكونية إلى المرتبة القدسية ، ويتسلّم مفاتيح الكون .

ويقدّم الجيلي للقارئ بين يدي ذلك سيرته الروحية ، التي تمثّل نصف القصيدة العينية تقريبا ، ليدفعه من الضعف إلى القوة ، ومن العدم إلى الوجود ، يدفعه ليقيم الناموس الإلهي في وجوده الآدمي، ليحيا بالحياة الأبدية ويكون له من القدرة في دار الدنيا ما سيكون لأهل الجنة في الدار الآخرة ، فلا يتصور شيئا في نفسه ، إلا أوجده الله تعالى في حسّه . . هذه القدرة التي يكتمها الوجود عن الإنسان ويخفيها .
وقد قسمت مقدمتي هذه إلى خمسة أقسام كبرى تضم عناوين جانبية ، وهي :
1 - حياة الجيلي : ولادته - أسفاره ومسار حياته - وفاته .
2 - مؤلفات الجيلي
3 - شخصيات أثّرت في الجيلي : أساتذة الجيلي المعاصرين له - الماضي الحي .
4 - نهج الجيلي في الكتابة والتأويل : رتبة المتلّقي وفهم المعنى - تعدد الفهوم وسلم المعاني - التأويل الإلهامي . . فتوح التأويل - كتابة الجيلي .
5 - القصيدة العينية : فرادة القصيدة العينية - القصيدة العينية ومسألة الفهم - بنية القصيدة - أهم أفكار القصيدة العينية (العشق الإلهي ، وحدة الوجود ، الإنسان الكامل ، الجيلي يكتب سيرته الروحية) - تحقيق نص القصيدة ونسخ المخطوطات .
وفيما يأتي نفصّل هذه الأقسام .

1 - حياة الجيلي

على الرغم من المكانة الوثيقة المجمع عليها التي حظي بها الجيلي بين صوفيّة عصره والعصور اللاحقة ، وعلى الرغم من أن مؤلفاته - وخاصة كتاب " الانسان الكامل " - يعدّ ثروة عرفانية تلقاها كبار الصوّفية بإكبار ، وعكفوا على قراءتها ومدارستها في حلقاتهم . . إلا أن أخبار حياته الواصلة إلينا لا تمكننا - لندرتها في المجال الشخصي - من التعرف على شخصه التاريخاني ، وإن كانت - لكثرتها في المجال الروحاني - تسمح لنا بالإطلال وشبه إحاطة بحياته الروحية .

ولعل سبب غياب أخباره يكمن في نمط " الوحشة الاجتماعية " الذي طبع حياته الروحانية . فهو - شخصيا - لم يهتم بإرساء مدرسة صوّفية خاصة به ، ولم يتخذ لنفسه تلامذة مقربين ، مما حرمه من وجود امتداد بشري متصل به ، يخبر عنه ، يروي أخباره ، ويخط أفكاره . وبالتالي اندرجت كافة روايات الباحثين اللاحقين تحت باب " الاستنتاجات " ، لا المعلومات .

وبعد النظر في الدراسات القديمة والمعاصرة ، والمتوافرة لدينا ، نجد أنفسنا أمام روايتين لقصة حياة الجيلي : الرواية الأولى هي المشهورة ، والمتداولة - تقريبا - لدى جميع المؤرخين للجيلي والدارسين . والرواية الثانية انفرد بطرحها طالب ودافع عنها في رسالة جامعية لنيل شهادة الدكتوراه .

وتختلف هاتان الروايتان في أمرين : الأول ، مكان ولادة الجيلي وبالتالي نسبه وجنسيته ؛ والثاني ، مكان وفاة الجيلي وبالتالي مثوى جسده في تراب . وتتفق هاتان الروايتان في أسفاره ومواعيد تواجده في بقاع الأرض ، ومرجع هذا الاتفاق إلى نصوص الجيلي نفسه الصريحة في هذا الموضوع . وفيما يأتي نورد القليل الذي نملكه حول الحياة الدنيا لهذا الشخص :

أ - ولادته :

تجمع المصادر على أن الجيلي ولد عام 767 هـ (1365 - 1366 م) ، ما عدا بروكلمان الذي يقول أنه ولد علم 777 هـ . ويوفر علينا الجيلي نفسه مهمة التدقيق ، إذ يعلن في قصيدته العينية التي ننشرها اليوم سنة ولادته ، يقول:

ففي أوّل الشّهر المحرّم حرمة ..... ظهوري بالسّعد العطارد طالع

لستّين مع سبع إلى سبعمائة ..... من الهجرة الغرّا سقتني المراضع

أما بخصوص مكان ولادة الجيلي ، فتتعدد المقولات ، فهو إما ولد في " جيل "

وهي قرية من أعمال بغداد ، وبالتالي فهو بغدادي .

وإما ولد في " جيل " من بلاد الهند ، على ما يقول النابلسي ، وبالتالي فهو هندي الأصل .

أما الروايتان الجديرتان بالتنوية فهما :

الرواية الأولى ، وهي المتداولة والمشهورة ، وتقول بأن الأصول العائلية لعبد الكريم الجيلي ترجع إلى مدينة " جيلان " الفارسية ؛ أما هو فقد ولد في بغداد . وتستند هذه الرواية في مقولتها إلى نص عرّف فيه الجيلي نفسه بأنه " الكيلاني نسبا ، البغدادي أصلا ، الربيعي عربا ، الصوفي حسبا . . . " .

والرواية الثانية ، وهي التي انفرد بها السيد نجاح الغنيمي ، في أطروحته المعنونة " عبد الكريم الجيلي ومكانته في الفكر الاسلامي الصوّفي " ؛ فإنه يورد عبارة الجيلي السابقة ، التي عرّف عن نفسه بها ، ويناقشها ، ويصل إلى النتائج الآتية :

1 - إن كل الآراء التي تقول بأن الجيلي ولد بجيلان ، هي آراء لا أساس لها من الصحة ، ولا سند لها . والدليل أن الجيلي حين ذكر " جيلان " وصفها بأنها " أقصى

البلاد " ، كما أنه ذمّ أهلها وأهل بلاد مجاورة لها ، وحذّر من سكّانها ومعاشرة ناسها ومخالطتهم .
2 - إن الجيلي لا تربطه بالشيخ عبد القادر الجيلاني رابطة قربى ، على ما ذكر حاجي خليفة . والدليل أن الجيلي لم يشر من قريب أو من بعيد إلى هذه النسبة ، ولو كان يمت له بصلة لما أغفل ذلك ، وخاصة أنه يوقّر جدا الشيخ عبد القادر ، ودرج على تلقيبه بألقابه المعروفة .

3 - إن القرائن كلّها تشير إلى رجحان صدق الجيلي في دعوى نسبه إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلم ؛ ذلك أنه ذكر كونه " الربيعي عربا " ، وربيعة بن نزار ترجع إلى معد بن عدنان ، وعدنان هو ولد إسماعيل صراحة بلا شك .
وبعد أن ناقش الغنيمي مقولة الجيلي ، يبرهن على كونه " يمنيا " ولد في " جيل اليمن " ، لا في " جيلان فارس " ، أو " جيل بغداد " أو " جيل الهند " .
ويستدل على ذلك بإيراد نصوص للخزرجي ، المؤرخ اليمني ، المتوفى عام (812 ه) ، من كتابه " طراز أعلام الزمن " ، يفهم منها أخبارا عن إبراهيم الجيلي الصوّفي ، وسكناه في أبيات حسين [تتبع زبيد] ، وزواجه فيها وظهور أولاد له هناك ، وبقاءه إلى أن توفي .
ثم يحاول أن يبرهن أن إبراهيم الجيلي هو والد - الصوّفي الكبير موضوع كتابنا هذا - عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي ، نظرا لتوافق الأسماء من ناحية ، والتناسب الزماني العمري بين الرجلين من ناحية ثانية .
كما أن كلا الرجلين صحب الشيخ إسماعيل الجبرتي ، كبير صوفية زبيد باليمن ، وكلاهما توفيا ودفنا في " بيت حسين " ، وكلاهما عزف عن ممارسة الحياة السياسية .
ونقول ؛ بعد أن أوردنا الروايتين ، إننا نرجّح كون عبد الكريم الجيلي يمني المولد والمنشأ ، مع احتمال كون والده من أصل بغدادي ، ارتحل نهائيا إلى اليمن ، وأقام عائلته هناك .
والأسباب التي تدعونا إلى ترجيح رواية اليمن ، هي - بداية - سيرة حياة الجيلي المغرقة في البعد عن " العمران البشري " مما يصعب معه تلمس بغداديته .
ثم مسار أسفار ، واستقراره المتقطع في زبيد ورجوعه إليها باستمرار . وثالثا ، نمطه المباشر في التعبير عن تجربته الروحية وأفكاره ، نمط أقرب للشخصية اليمنية منه للشخصية البغدادية بين القرنين الثامن والتاسع الهجريين . . .

ب - أسفاره ومسار حياته :

لا نملك نصوصا تخبرنا عن طفولة الجيلي ونشأته ؛ إلا أن هناك إلماحة إلى حياة روحيّة مبكرة ، تمثلت بالتوجه نحو الله ، بعلو الهمة وطلب مستمر للمعالي ، والبعد عن شواغل عامة الناس ، وترك الماديات ومنازلة الرياضات والمجاهدات . .
يقول في القصيدة العينية ، التي نتصدى لشرحها اليوم [ب ب : 331 - 336] :

" ومذ كنت طفلا فالمعالي تطلّبي ..... وتأنف نفسي كلّ ما هو واضع
ولي همّة كانت وها هي لم تزل ..... على أن لي فوق الطّباق مواضع
وقد كنت جمّاحا إلى كلّ هيئة ..... فخضت بحارا دونهنّ فجائع
وكلّ الأماني نلتها ، وهي إن علت ..... بها ، بعد نيل القصد ، ما أنا قانع

"ويخبرنا في كتابه " **الإنسان الكامل** " عن انتقاله ببركة شيخه الجبرتي من معراج الخسران ، سحر أحمر كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماء ، إلى المعراج الثاني ، المعراج القويم . وكان ذلك في سماع بمدينة زبيد [في اليمن] ، في بيت الشيخ شهاب الدين أحمد الرداد ، عام 779 ه ، أي والجيلي في الثانية عشرة من العمر " 1 " .
ويتأكد لدينا بكوره الصوفي ، عندما نعلم أنه كان لا يزال يافعا في السادسة عشرة من عمره (عام 783 هـ) ، حين أرّخ لأول مشهد تحقّق به [بحسب ما وصل إلينا من نصوصه] ، وهو مشهد من مشاهد إرادة الانسان الكامل ، دوّنه في **كتابه " المناظر الإلهية "** .
وحيث أن الحاجات الروحية هي المحرك الأساس لحياة الجيلي ، والروح صفتها السريان والانتشار وعدم الانحباس ، فها هو مسافر في أرض الكون والناس . .
وسفره كتفتّحه الروحاني كلاهما أسهما في تحرّره من رقّ التواطؤ الاجتماعي ، ودعما بناءه العرفاني منذ بدايات وعيه لأناه وللآخرين .
أول سفر قام به ، بحسب ما نقدر من النصوص الواصلة إلينا ، هو سفره إلى قرية الأنفة [في اليمن] ، ولقاؤه مع الشيخ الصوّفي أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن أبي بكر بن يوسف المكدش ، وقد ذكر هذا اللقاء في **كتابه " المناظر الإلهية "** ، وأخبر بأنه رأى من هذه الزيارة في " أيام بدايته " بركات كثيرة " 3 " . ونرجح أن هذا اللقاء بالشيخ المكدش وتحققه بمشهد من مشاهد إرادة الإنسان الكامل هما - تقريبا - منزامنان ؛ أي والجيلي لا يزال في السادسة عشرة من عمره .
ويذكر الجيلي سفرا من البيت الحرام إلى مدينة الرسول صلّى الله عليه وسلم ، جرى له فيه واقعة

لطيفة :
إذ التقى في الينبوع الكبير بالشيخ الأكبر محيي الدين ابن العربي (المتوفى عام 638 هـ ، أي قبل الجيلي بحوالي القرنين) ، وكان ابن عربي واقفا وبيده أجزاء (كانت عند الجيلي) من شرح فصوص الحكم لداود القيصري يريد أن يعلّمه ما فيها والجيلي يريد أن يقرأ عليه ؛ كما كان في غاية السرور والتبشيش ، فجلس الجيلي بين يديه ،

وأكل معه " الملوخيا " ، وهو " طعام لا يؤكل إلا عند اجتماع الأحباب " ، بحسب تعبير الجيلي .
والملفت للنظر أن الجيلي يذكر تاريخ هذه الواقعة عام (889 هـ) ، وهذا التاريخ يجعل اللقاء بعد وفاة الجيلي نفسه بحوالي الستين سنة . . ربما هناك خطأ في تدوين التاريخ ، أو ربما يريد الجيلي أن يخبرنا بنمط حياة يستمر بعد الحياة .
أما أول سفر بعيد ، أدخل الجيلي نطاقا حضاريا مختلفا ، فهو سفره إلى الهند ، عام (790 هـ) ، وكان له من العمر 23 عاما . .
وقد دوّن مشاهداته في العالم الخارجي ، والغرائب التي أطّلع عليها في أنماط البشر ؛ كما شهد على عقائد مختلفة مستغربة لديه ، وعرض لتفاصيل إيمانية لدى شعوب المنطقة .
يترك الجيلي الهند ، ونراه في مكة عام (790 هـ) ، حيث التقى الجبرتي [للمرة الأولى بحسب رواية أن الجيلي بغدادي فارسي الأصل] .
بعد مكة نجد له رحلات إلى بلاد فارس . . إلى أذربيجان ، وشيروان ، وجيلان ، وخراسان . . وكان الجيلي أثناء ذلك قد قارب الثلاثين من عمره . وفي بلاد فارس يتعلّم الفارسية ويتقنها ، ويؤلف بها كتاب " الانسان الكامل " بلسان الفرس " 3 " . ورسالته " جنة المعارف وغاية المريد والمعارف " .
وبعد بلاد فارس يتجه إلى جنوب الجزيرة العربية ، كما ذكر الأهدل .
في عام (796 هـ) ، وقد شارف الثلاثين يصل إلى زبيد ، ويظل بها حتى عام (799 هـ) ، يجتمع بالإخوان في مسجد الجبرتي .
وفي هذه المراحل من عمره يظهر بوضوح توجّه تجربته الروحية وعرفانه ومشاهداته نحو حقيقة الذات المحمدية . .
لقد اتخذت علومه اللدنية نهج التخصص العرفاني ، حتى أضحى اسمه في الحقل الصوّفي ملتصقا بموضوع " الانسان الكامل " . ونستطيع القول ، إن كان محيي الدين ابن العربي وجودي العلوم كوني التجربة الروحية ، فالجيلي إنساني العلوم ، تفصّل مشاهداته وعلومه كون الانسان الكامل [الذات المحمدية] هو النور الأول الذي منه خلق الله كل شيء ، وبعد خلق الأكوان هو الذي عليه مدار الوجود الموجود .
يورد الجيلي في عام (796 هـ) ، وهو في زبيد ، مشهدين صوفيين يؤكدان ما ذهبنا إليه .
<u>يقول في النص الأول</u> ، أنه بعد سماعه الفقيه أحمد الحبايبي في مسجد الجبرتي وبحضرته يقرأ قوله تعالى :"وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِنَ الْمَثانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ" [الحجر : 87] ، أشهده الحق سبحانه اتصاف نبيّه محمد صلّى الله عليه وسلم بالأوصاف النفسية [السبعة] ، التي هي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام ، وشهده صلّى الله عليه وسلم بعد اتصافه بأوصافه : عين الذات الغائب ، في هوية الغيابات . . . " .

أما النص الثاني فيشير إلى " اعتقاده " بأن النبي صلّى الله عليه وسلم يتمكّن من التصوّر بكل صورة ، وأنه يتجلى في الزمان في صورة أكمل البشر في العصر ، فهم خلفاؤه ، وهو صلّى الله عليه وسلم حقيقتهم ، وأنه اجتمع به صلّى الله عليه وسلم في صورة شيخه الجبرتي .

وفي عام (799 هـ) ، وللجيلي 32 عاما ، نراه في مكة ، وقد اجتمع به بعض أهلها ، ويذاكرونه في " **الاسم الأعظم** " ؛ الذي قال النبي صلّى الله عليه وسلم أنه في آخر سورة البقرة وأول سورة آل عمران .

وفي عام (800 هـ) ، وللجيلي 33 عاما ، نجده قد عاد إلى موطنه ، إلى زبيد . وهناك شاهد اجتماع الرسل والأنبياء والأولياء والملائكة ، ورأى روحانية الموجودات كلّها ، يقول : " وفي هذا المشهد اجتماع الأنبياء والأولياء بعضهم ببعض ، أقمت فيه بزبيد بشهر ربيع الأول ، في سنة ثمانمائة من الهجرة النبوية ، فرأيت جميع الرسل والأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، والأولياء والملائكة العالين والمقربين ، وملائكة التسخير . ورأيت روحانية الموجودات جميعها ، وكشفت عن حقائق الأمور على ما هي عليه من الأزل إلى الأبد ، وتحققت بعلوم إلهية ، لا يسع الكون أن نذكرها فيه ، وكان في هذا المشهد ما كان " .

وفي عام (802 هـ) ، وقد بلغ الخامسة والثلاثين ، نراه في المدينة المنورة ، يسجّل لنا رؤيته للنبي صلّى الله عليه وسلم بالأفق الأعلى والمستوى الأزهى ، ذاتا محضا صرفا ، وهو تجل لمشهد من المشاهد العلية التي تخبر عن الحقيقة المحمدية .

وفي ربيع عام (803 هـ) ، كان الجيلي في مدينة غزة ، ويخبرنا أنه في هذه المدينة المحروسة برزت الإشارة الإلهية له بوضع كتابه " الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية " .

وفي رجب من العام نفسه ، (803 هـ) ، يخبرنا الجيلي أنه أنهى في القاهرة " المحروسة " كتابة مؤلفه " غنية أرباب السماع " .

وفي عام (805 هـ) ، وللجيلي 38 عاما ، نجده أولها في صنعاء اليمن ، ويدّون ذلك في **كتابه " شرح مشكلات الفتوحات المكية "** ، وأواخرها في زبيد بمسجد الجبرتي وقد شهد وهو في صلاة الصبح ، وفي الركعة الثانية منه ، في أحد أيام العشر الأواخر ، علوم **كتابه " حقيقة الحقائق ، التي هي للحق من وجه ومن وجه للخلائق "** ، وأنشأه بعينه كما شهده .

وبعد عام (805 هـ) ، لا نملك نصوصا تحدد أماكن تواجد الجيلي ، أي حوالي العشرين سنة الأخيرة من حياته . ويرجح زيدان أنه رجع إلى زبيد [كان له من العمر 38 عاما] ، وبقي فيها إلى أن توفي عام (826 هـ) ، عن تسع وخمسون سنة قمرية .

ج - وفاته :

كما أننا لا نملك أخبارا وثيقة بمكان ولادة الجيلي ونشأته وبالتالي تتالت اقتراحات الباحثين وبراهينهم ، كذلك فيما يتعلق بمكان وفاته ومرقد رفاته تتعارض أقوال الدارسين . . فمنهم من ذهب إلى كونه توفي في بغداد وله فيها مقام يزار .
ومنهم من أكد وفاته في اليمن ومثواه في تربة أبيات حسين التابعة لزبيد .
وكذا ، في تحديد تاريخ وفاته ، فذهب فريق إلى أنه عام (832 هـ) ، وفريق آخر إلى أنه ما بين عامي (811 و 820 هـ) ، وفريق ثالث إلى أنه ما بين (805 و 829 هـ) ، وليس بعد سنة 829 هـ بأي حال من الأحوال ؛ وفريق رابع إلى أنه توفي عام 826 هـ .
ومن النظر في كافة الوثائق والتكهنات ، نذهب إلى ما ذهب إليه د . يوسف زيدان ، ود . نجاح الغنيمي من أن الجيلي توفي بمدينة زبيد (أبيات حسين) عام (826 هـ) . وذلك أن صاحب هذه المقولة هو بدر الدين بن حسين الأهدل ، من علماء اليمن المشهورين ، في كتابه " تحفة الزمن بذكر سادات اليمن " .

2 - مؤلفات الجيلي

لقد رجعنا إلى كتب فهارس المخطوطات القديم منها والحديث ، كما اعتمدنا على دراسات معاصرة لدارسين اهتموا بالجيلي خاصة . . وخلصنا إلى لائحة معلومات عن كتب الجيلي ، الموجودة والمفقودة ، وبلغ عددها - عندنا - 39 كتابا .
وسنحاول فيما يأتي إيرادها بحسب التسلسل التاريخي ، وفق استنتاجاتنا لا وفق وثائق واضحة ؛ كما أننا سوف نرصد إحالات الجيلي إلى كتبه الأخرى الواردة في كل كتاب فيها ، بحسب الامكانية :

1 - الكهف والرقيم في شرح بسم الله الرحمن الرحيم (أو) الكهف والرقيم الكاشف عن أسرار بسم الله الرحمن الرحيم " 2 " . [موجود]

* ذكر بروكلمان أن الجيلي ألف كتابه هذا عام (789 هـ) ، أي وهو في الثانية والعشرين من العمر ، ودون أن يشير إلى المصدر الذي اعتمد عليه . . ولكن الجيلي نفسه يذكر في كتابه شرح الفتوحات المكية ، أن " الكهف والرقيم " هو أول كتاب ألفه " 3 " .
* يتناول الجيلي في هذا الكتاب شرح أسرار " بسم الله الرحمن الرحيم " ، على نهج الصوّفية في الفهم والتعبير .
*يرد ذكر هذا الكتاب ضمن فهارس مخطوطات : برلين - الديوان الهندي - البلدية بالإسكندرية - الخديوية - دار الكتب (مصر) - باتنا (الهند) - هيدلبرج – كمبردج - تونس الزيتونة - داماد زادة - آصفية - رامبور - مكتبة الأحمدية (حلب - سوريا) - الخزانة الملكية (الرباط - المغرب) - أسعد أفندي (تركيا) - حاجي محمود (تركيا) - حالت أفندي (تركيا) - شهيد علي (تركيا) .

* طبع هذا الكتاب في : حيدر آباد [عدة مرات] ، وفي القاهرة (الخانجي 1326 ه)
.
* لا توجد في هذا الكتاب إحالات إلى كتب أخرى للجيلي .
* يذكر نجاح الغنيمي ، أن د . إبراهيم بسيوني قام بدراسة تحليلية لهذا الكتاب ضمن الفصل الثاني من الباب الثاني ، في كتابه : " البسملة بين أهل العبارة وأهل الإشارة " ؛ المطبوع في القاهرة 1972 " 1 " .

2 - رسالة السبحات [مفقودة]

ذكرها الجيلي في رسالته : " شرح أسرار الخلوة " أو " الإسفار عن رسالة الأنوار " . ص 195 ، ص 245 ، ص 248 .

3 - مرآة الحضرات [مفقودة]

ذكر هذه الرسالة في كتابه " شرح أسرار الخلوة " أو " الإسفار عن رسالة الأنوار " ص 245 " 3 " .

4 - رسالة في انفصال الروح والنطفة [مفقودة]

أشار إليها في كتابه : " شرح أسرار الخلوة " أو " الإسفار عن رسالة الأنوار " ص 146 .

5 - الانسان الكامل ، بالفارسية [مفقود]

ذكره في رسالته : " شرح أسرار الخلوة " ص 22 " 5 " .

6 - جنة المعارف وغاية المريد والعارف ، بالفارسية [مفقود]

أشار الجيلي إلى هذا الكتاب في مؤلفه " الكمالات الإلهية " .

7 - شرح أسرار الخلوة (أو) الإسفار عن رسالة الأنوار فيما يتجلى لأهل الذكر من الأنوار .

* هذا الكتاب يشرح فيه الجيلي كتابا لمحيي الدين بن عربي عنوانه " رسالة الأنوار " ، وقدم فيه للشرح بمقدمة طويلة حول علم الكلام والتصوّف . ويقول في هذه المقدمة (ص 5) ، أنه شرع في الإسفار عن حقائق رسالة الأنوار المنسوبة إلى ابن عربي واعتمد على نسخة كانت عنده .
* يرد ذكر هذا الكتاب ضمن فهارس مخطوطات : برلين - الديوان الهندي - دار الكتب المصرية .
* أحال الجيلي في كتابه هذا إلى : " الانسان الكامل " ، بالفارسية - " رسالة انفصال الروح والنطفة " - " رسالة السبحات " .
* مطبوع في مطبعة الفيحاء ، دمشق ، عام 1929 م .

8 - شرح على القصيدة الهائية ، التي مطلعها :

من ذاق طعم شراب القوم يدريه ..... ومن دراه غدا بالروح يشريه .....

توجد منه نسخة خطية بمكتبة الأوقاف ببغداد تحت رقم 7074 ضمن مجموعة .

9 - " السفر القريب نتيجة السفر الغريب " .

* ذكرت سهيلة الترجمان أنه توجد من هذه الرسالة نسخة مخطوطة في برلين ، اعتمدت عليها في بحثها .
* ذكر زيدان أنه يوجد نسخة مخطوطة من هذه الرسالة في دار الكتب بالقاهرة .

10 - " منزل المنازل " .

* منزل المنازل في سر التقربات بالفوائد والنوافل .
* توجد نسخة مخطوطة في حيدر آباد - الدكن ، برقم 192 / 1299 .

11 - قصيدة " الدرة الوحيدة في اللجّة السعيدة " .

ذكرها في كتابه : " الإنسان الكامل " . ج 2 / ص ص 44 - 46 .

12 - " مسامرة الحبيب ومسايرة الصحيب " [مفقود]

رسالة في آداب الصحبة . ذكرها في كتابه " الإنسان الكامل " . ج 2 / ص 116

13 - " قطب العجائب وفلك الغرائب " [مفقود]

* ذكره الجيلي في كتابه : " الإنسان الكامل " ، ج 1 / ص 10
* ذكره الجيلي في كتابه " مراتب الوجود " ، ص 25

14 - " النوادر العينية في البوادر الغيبية " (أو) " القصيدة العينية " .

* هي القصيدة التي نتصدّى اليوم لشرحها ، ونشرها في هذا الكتاب الذي بين أيديكم .
* وهي قصيدة صوفية تتألف من 536 بيتا ؛ لا يضاهيها في حقل الشعر الصوفي إلا تائية ابن الفارض . وإن كانت تتميز عن هذه الأخيرة بوحدة الموضوع وتسلسله ، واحتوائها لفكر الجيلي شعرا ، إضافة إلى سيرته الروحية منذ قبل وجوده في عالم الشهادة وصولا إلى تحققه بمقام " خليفة الله في زمانه " " 2 " .
* ذكرها حاجي خليفة في كتابه " كشف الظنون " ، وقال فقط : " الدرة العينية في الشواهد الغيبية . للشيخ عبد الكريم الجيلي ، وهي قصيدة عينية في ثلاث وثلاثين وخمسمائة بيت " " 3 " .
* يرد ذكر نسخ مخطوطة لهذه القصيدة ضمن فهارس مخطوطات : برلين - جوتا - المكتبة الأهلية (باريس) - بودليان - ليبزج - كمبردج - المتحف البريطاني - دار الكتب المصرية - هيدلبرج - المكتبة الظاهرية (دمشق) - الأوقاف (العراق) - فيض الله (تركيا) - شهيد علي (تركيا) - حاجي محمود أفندي (تركيا) - أسعد أفندي (تركيا) .
* طبعت هذه القصيدة على هامش " بهجة الأسرار " للشطنوفي ، بالقاهرة ، سنة 1304 ه " 1 " . كما قام بتحقيقها وطبعها حديثا الدكتور يوسف زيدان .
* شرح القصيدة عبد الغني النابلسي (ت 1143 هـ) ،عام 1086 هـ ،وعنوان الشرح هو: **" المعارف الغيبية شرح القصيدة العينية ".**
* خمّس القصيدة أبو الفتح سرحان السمرجي الشربيني الشرنوبي الدمياطي .
وعنوان التخميس : " منظوم قلائد الدر النفيس في تحقيق سرّ معنى التثليث والتخميس " .

15 - " الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل "

* أشهر مؤلفات الجيلي ، وسبب شهرته وبقاء فكره حيا . يتناول فيه الجيلي مسألة " الإنسان الكامل " وسوف نبحثها في هذه المقدمة ضمن أفكار قصيدته العينية ، فلتراجع في مكانها .

* توجد نسخ عديدة لمخطوطات هذا الكتاب ، فقد ورد ذكره ضمن فهارس مكتبات : برلين - جوتا - المكتبة الأهلية (باريس) - المتحف البريطاني - مكتبة جاريت - حالت أفندي - هيدلبرج - كمبردج - فهرس الرباط - فيض الله (تركيا) - مكتبة سليم (تركيا) - قليج على (تركيا) - نور عثمانية (تركيا) - أيا صوفيا (تركيا) - ولي الدين (تركيا) - شهيد علي (تركيا) - الموصل - الظاهرية دمشق - الخالدية (القدس) - بشاور - آصفية - دار الكتب المصرية - مكتبة طلعت (مصر) - مكتبة الأزهر (مصر) - المسجد الأحمدي (طنطا) - مكتبة عارف باشا (المدينة المنورة) - المكتبة الزكية (مصر) - جامعة الإسكندرية - مكتبة الأوقاف (العراق) - المكتبة الأحمدية (حلب) - مكتبة فينا (النمسا) - مكتبة لندبرج (ألمانيا) .

* طبع هذا الكتاب عدة طبعات ومتوفر في المكتبات . ولكن لا توجد منه طبعة واحدة محققة .

* حظيت موضوعات " الإنسان الكامل " باهتمام الشارحين ، فتناولوا أجزاء منه بالشرح : شرح عبد الغني النابلسي الباب الثالث والستين المتعلق بالأديان (يوجد منه نسخ في برلين) ، وعنوانه : " كشف البيان عن أسرار الأديان في كتاب الإنسان الكامل وكامل الإنسان " . وشرح البكري (ت 1163 ه) قصيدة الجيلي " السّلاف " المذكورة في خطبة الكتاب ، وعنوان الشرح [مفقود] : " الكوكب المحمي من اللمس في شرح قصيدة سلاف تريك الشمس والليل المظلم " " 1 " .
وشرح أحمد الأنصاري ، عنوانه : " موضحات الحال في بعض مسموعات الدجال " . وشرح الشيخ علي البيومي (ت 1183 هـ) ، وهو مفقود ولا نعرف عنه شيئا .
وشرح علي زاده (عبد الباقي بن علي ت 1159 هـ) .

* كما حظي كتاب الإنسان الكامل بدراسات جدية ، قديما وحديثا . منها : دراسة للشيخ حسن بن موسى الكردي (ت 1148 ه) ، عنوانها : " رسالة في جواب عن بعض أسئلة " . ودراسة للأمير عبد القادر الجزائري (ت 1300 هـ) ، ضمن كتابه :
" المواقف العرفانية " . وبحث للشيخ محمد البيطار (ت 1328 هـ) في التوفيق بين ابن عربي والجيلي ، عنوانها : " فتح الرحمن الرحيم بالجمع والتوفيق في المسائل الثلاث بين القطبين : الشيخ الأكبر والشيخ عبد الكريم الجيلي " .
وقد اهتم عبد الرحمن بدوي بمسألة " الإنسان الكامل " ، وقام بجمع جملة مقالات لمستشرقين وترجمها إلى العربية مع بعض النصوص الهامة في هذا الموضوع ضمن كتابه : " الإنسان الكامل في الاسلام " ، ويتضمن الكتاب

دراسات لهانز هينرش (ص ص 10 - 99) ولويس ماسينيون (ص ص 105 - 138) ، وإشارات إلى فصول من كتب ومقالات في الموضوع نفسه وخاصة للمستشرق نيكلسون . ولا يخفى نصيب الجيلي وكتابه " الإنسان الكامل " في هذه الأبحاث . كما خصص في كتابه " الإنسانية والوجودية في الفكر العربي " صفحات عديدة لبيان معنى الإنسان الكامل ودوره في الفكر العربي .
* قام بترجمة بعض فصول الإنسان الكامل إلى الفرنسية ، الأستاذ تيتوس بركهارت (Titus Burckhardt) وقدم له ببحث عن الجيلي.
كما توجد ترجمات لهذا الكتاب إلى اللغة التركية ، موجودة على شكل مخطوطات في مكتبة يحيي أفندي ، ومهرشاه سلطان (تركيا) .
* أحال الجيلي في كتابه الإنسان الكامل إلى كتبه الأخرى التالية : " قطب العجائب وفلك الغرائب " - قصيدة النوادر العينية في البوادر الغيبية " - " الكهف والرقيم في شرحبِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ "- " قصيدة الدرة الوحيدة في اللجة السعيدة " - " مسامرة الحبيب ومسايرة الصحيب " .

16 - المناظر الإلهية (أو) مناظر علّية .

* يذكر الجيلي في هذا الكتاب مائة منظر ومنظر علّيا ، تنكشف للسالك أثناء طريقه ، ويشرح حال كل منظر ، ثم يذكر في آخره آفة حال العبد في ذلك المنظر . وأول منظر هو : " منظر : إعبد الله كأنك تراه " وهو باب المناظر كلّها .
وآخر منظر هو : " منظر : العجز عن درك الإدراك " .
* يذكر الجيلي أنه ألّفه عام 798 هـ .
* توجد نسخ مخطوطة لهذا الكتاب ، رصدتها فهارس مكتبات : برلين - الديوان الهندي - الخديوية - باتنا - هيدلبرج - دار الكتب المصرية - الأزهر (مصر) - الخزانة الملكية (الرباط) - أسعد أفندي (تركيا) .
* أحال الجيلي في كتابه هذا إلى : " قطب العجائب وفلك الغرائب " - " الإنسان الكامل " .

17 - الكتاب المرقوم في سرّ التوحيد المجهول والمعدوم . [مفقود]

ذكره في كتابه : " الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية " ، ورقة 67 و .

18 - " غنية أرباب السماع في كشف القناع عن وجوه الاستماع " .

* انتهى من تأليفه في القاهرة ، في شهر رجب عام 803 هـ .
* كتاب هام جدا لمن يهتم بمسألة " التأويل " ، ولنا عودة إليه حين الكلام على نهج الجيلي في الكتابة .
* يرد ذكر الكتاب ضمن فهارس مخطوطات : الديوان الهندي - الخديوية - الرباط - دار الكتب المصرية - رامبور - الخزانة الملكية (الرباط) .
* أحال الجيلي في كتابه هذا إلى : " المناظر الإلهية " - " الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل " .

19 - رسالة " آداب السياسة بالعدل "

* فرغ من تأليفه في رجب 803 بالقاهرة . منه نسخة بخط المؤلف في دار الكتب المصرية رقمها 4003 أدب .

20 - الخضم الزاخر والكنز السائر في تأويل القرآن . [مفقود]

* أشار الجيلي إلى هذا الكتاب في كتابه " الكمالات الإلهية

21 - حقيقة الحقائق التي هي للحق من وجه ومن وجه للخلائق . . كتاب النقطة .

* يتألف الكتاب من ثلاثين جزءا ، معظمها مفقود . يتناول الدلالات الرمزية للأبجدية العربية ، ويبدأ بالنقطة .

* فرغ الجيلي من تأليف الجزء الأول (كتاب النقطة) في ربيع الأول عام 805 هـ في زبيد .

* أشار الجيلي إلى " كتاب النقطة " في كتابه " مراتب الوجود " ، ص 27 .

* أشار الجيلي في كتابه " مراتب الوجود " أنه أنهى الجزء الثاني من " حقيقة الحقائق " وهو : كتاب الألف .

* يرد ذكر الكتاب في فهارس : الديوان الهندي - الخديوية - ليبزج - دار الكتب المصرية - حاجي محمود أفندي (تركيا) .

* أحال الجيلي في هذا الكتاب إلى : " الإنسان الكامل " - " قطب العجائب وفلك الغرائب " - " الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية ".

22 - " المملكة الربانية المودعة في النشأة الانسانية " . [مفقود]

أشار الجيلي إليه في كتابه " الكمالات الإلهية " .

23 - " الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية " .

* أشار إليه الجيلي في كتابه " مراتب الوجود " ، ص 14 .

* ابتدأ بتأليفه في أول ربيع الأول عام 803 هـ بمدينة غزة (فلسطين) ، وفرغ من تأليفه في 28 شوال عام 805 ه بزبيد (اليمن) .

* توجد منه نسخ مخطوطة ضمن فهارس : باريس - الجزائر - الخديوية - دار الكتب المصرية - الأزهر - الرباط - برلين - دامادزاده - الموصل - الظاهرية (دمشق) .

* توجد منه نسخة بخط المؤلف في دار الكتب المصرية ضمن مجموعة رقمها 306 / 18454 .

* شرحه صفي الدين أحمد القشاشي (ت 1071 هـ) ، بعنوان : " الإفاضة الرحمانية على الكمالات الإنسانية للشيخ عبد الكريم الجيلي " [مفقود] . وأشار البيطار إلى شرح آخر مفقود ، منسوب إلى عبد الغني النابلسي .

* أحال الجيلي في هذا الكتاب إلى : " الإنسان الكامل " - " قطب العجائب وفلك الغرائب " - " المملكة الربانية المودعة في النشأة الانسانية " - " الكهف والرقيم في شرح بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ" - " جنة المعارف وغاية المريد والعارف " - " حقيقة الحقائق " - " غنية أرباب السماع في كشف القناع عن وجوه الاستماع " - " الخضم

الزاخر والكنز السائر في تأويل القرآن " - " الكتاب المرقوم في سر التوحيد المجهول والمعدوم " - " المناظر الإلهية " .

24 - " الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي صلّى الله عليه وسلم " .

* يتألف الكتاب من أربعين جزءا ، معظمها مفقود ، يشكل كلا منها كتابا مستقلا . نرصد خمسة منها بينة العناوين وجزءان دون عنوان . وسوف نخصص لكل عنوان رقما في ثبت كتب الجيلي .

* ذكره الجيلي في كتابه " مراتب الوجود " ، ص ص 19 - 20 ، وص 27 .

25 - " شمس ظهرت لبدور زهرت " . [مفقود] .

* الجزء الرابع من الناموس الأعظم .

* أشار الجيلي إليه في كتابه " مراتب الوجود " ، ص 19 .

26 - " لوامع البرق الموهن في معنى : ما وسعني أرضي ولا سمائي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن " .

* الجزء التاسع من كتاب " الناموس الأعظم والقاموس الأقدم " .

* تحدث فيه الجيلي عن الحضرات الإلهية التي تتجلى على قلوب الصوفية ، وقسمه إلى ثمانية أبواب .

* ذكر هذا الكتاب في فهارس مكتبات : الديوان الهندي (انكلترا) - الخديوية - كمبردج - دار الكتب المصرية - مكتبة الأزهر - أسعد أفندي (تركيا) - هيدلبرج (ألمانيا) - ليدن (هولندا) .

27 - " قاب قوسين وملتقى الناموسين " .

* الجزء العاشر من كتاب " الناموس الأعظم والقاموس الأقدم " .

* قسم الجيلي هذا الكتاب إلى سبعة أبواب ، وتكلّم فيها على الإنسان الكامل ، محمد رسول الله ؛ مبينا عظم شأنه عند الله ، وسر تسميته بالحبيب ، وثمرة ملازمة حضرته . . .

* ذكر هذا الكتاب في فهارس مكتبات : الخديوية - دار الكتب المصرية - أسعد أفندي (تركيا) - الديوان الهندي (انكلترا) .

* نشره يوسف النبهاني ضمن كتابه " جواهر البحار " ، دون تحقيق .

* أحال الجيلي في هذا الكتاب على كتبه الآتية : " لوامع البرق الموهن " - " الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية " - " غنية أرباب السماع " .

28 - " سر النور المتمكن في معنى قوله صلّى الله عليه وسلم : المؤمن مرآة المؤمن " .

* الجزء الحادي عشر من كتاب : " الناموس الأعظم والقاموس الأقدم " . قسمه الجيلي إلى مقدمة وبابين وخاتمة .

* ذكر هذا الكتاب في مخطوطات : برلين - الخديوية - دار الكتب المصرية - أسعد أفندي (تركيا) .

*   ترجمه إلى التركية علي زاده عبد الباقي أفندي .
*   أحال الجيلي في كتابه هذا إلى : " قطب العجائب وفلك الغرائب " .

29 - " لسان القدر بكتاب نسيم السحر " .

* هو الجزء الثاني عشر من كتاب " الناموس الأعظم والقاموس الأقدم " . تناول فيه الجيلي - بالتأويل - بعض مواقف وأقوال رسول الله صلّى الله عليه وسلم .
* يوجد في فهارس مخطوطات : الخديوية - باتنا - دار الكتب المصرية - الإسكندرية - أسعد أفندي (تركيا).
*   كما توجد منه طبعة غير محققة . مكتبة الجندي ، القاهرة ، 1962 .

30 - الجزء التاسع عشر من كتاب " الناموس الأعظم والقاموس الأقدم في معرفة قدر النبي صلّى الله عليه وسلم " . [مفقود] .

ذكر الجيلي هذا الجزء في كتابه " شرح مشكلات الفتوحات المكية " ، ق 31 .
وقال أنه تناول فيه الخيال والبرزخ والمآل وأرض الحقيقة .

31 - " كشف الستور عن مخدرات النور " . [مفقود] .

ذكره في شرح مشكلات الفتوحات .

32 - " إنسان عين الوجود ووجود عين الانسان الموجود " . [مفقود] .

ذكره في شرح مشكلات الفتوحات .

33 - حقيقة اليقين وزلفة التمكين .

*   يقول الجيلي إنه فرغ من كتابته عام 815 هـ.
* يتناول الكتاب موضوع التوحيد كما عاشه الصوفية ومارسوه .
*   ورد ذكر الكتاب ضمن فهرس مخطوطات : برلين - البلدية بالإسكندرية - باتنا - هيدلبرج - الخالدية (القدس) - دار الكتب المصرية - ولي الدين (تركيا) - مكتبة الجامع الأزهر - الأوقاف (العراق) - ليدن (هولندا) .
* ترجمه إلى التركية علي زاده السيد عبد الباقي أفندي سنة 1156 هـ، وشرحه تقي بن أحمد بن زين الدين بن إبراهيم الأحسائي (ت 1246 هـ) .

34 - " شرح مشكلات الفتوحات المكية " .

*   تناول الجيلي في هذا الكتاب شرح مواضيع متفرقة من كتاب " الفتوحات المكية " لمحيي الدين بن عربي . وخاصة الباب رقم 559 .
*   ورد ذكر هذا الكتاب ضمن فهارس مخطوطات : برلين - الديوان الهندي (انكلترا) - باتنا - دار الكتب المصرية - الأزهر - الإسكندرية - المكتبة الأحمدية (حلب) - الظاهرية (دمشق) .
*   يقول عماد عبد السلام رؤوف إنه يوجد نسخة من هذا الكتاب في مكتبة الأوقاف ببغداد رقمها 7074 وتاريخها 1139 هـ، وأولها : " أما بعد ، فإنه لما كان العلم بالله تعالى أعظم العلوم قدرا . . . وكانت الفتوحات المكية التي ألفها الولي الكبير والقطب الأعظم . . . ابن عربي الحاتمي الطائي المغربي الأندلسي . . . أعظم الكتب المصنفة في هذا العلم نفعا . . . " .

* أحال الجيلي في هذا الكتاب إلى الكتب الآتية : " الناموس الأعظم " - " قطب العجائب " - " الكهف والرقيم " - " الكمالات الإلهية " - " إنسان عين الوجود " - " كشف الستور عن مخدرات النور " - " الجزء 19 من الناموس الأعظم " .

35 - " كشف الغايات "

* شرح لكتاب التجليات لمحيي الدين بن عربي .

* يقول د . زيدان ، كما تقول د . ترجمان . أنه يوجد نسخة مخطوطة من هذا الكتاب في المكتبة الوطنية في باريس ضمن مجموعة لمؤلف مجهول ،ولكن أسلوب الشارح يقارب أسلوب الجيلي في شرح مشكلات الفتوحات .

36 - " بحر الحدوث والقدم وموج الوجود والعدم " . [مفقود] .

ذكره في مراتب الوجود ، ص 14 .

37 - " الوجود المطلق المعرّف بالواحد الحق " . [مفقود] .

ذكره في مراتب الوجود ، ص 14 .

38 - " رسالة أربعون موطنا " .

* رسالة في مقامات الطريق الصوفي وأصناف المجاهدات . . يوجد نسخة منها مخطوطة في دار الكتب المصرية تحت رقم 1727 م .

39 - " مراتب الوجود " .

* تحدث فيه الجيلي عن معرفة الله سبحانه من معرفة الوجود ، ورتب الوجود مراتب بلغت الأربعين ، آخرها مرتبة الانسان الكامل .

* ورد اسم هذا الكتاب في فهارس مخطوطات عديدة أهمها : برلين - الديوان الهندي (انكلترا) - بلدية الإسكندرية - دار الكتب المصرية - هيدلبرج - فاتيكان - شهيد علي (تركيا) - رضا باشا - حاجي محمود (تركيا) - حالت أفندي (تركيا) - مراد بخاري (تركيا) - ليدن (هولندا) - الأوقاف (بغداد) - الجامع الأحمدي (طنطا - مصر) .

* طبع الكتاب عدة طبعات : النمسا ،أكاديمية العلوم ،عام 1956 (ارنست بنرت) - وفي القاهرة . دار الطباعة المحمدية ، دون تاريخ .

* أحال الجيلي في كتابه هذا على عدد كبير من كتبه السابقة وهي : " الوجود المطلق المعرّف بالواحد الحق " - " الكمالات الإلهية في الصفات المحمدية " - " الناموس الأعظم والقاموس الأقدم " . - " شمس ظهرت لبدور زهرت " - " الإنسان الكامل " - " بحر الحدث والقدم وموج الوجود والعدم " - " حقيقة الحقائق التي هي للحق من وجه ومن وجه للخلائق " - " كتاب الألف " - " كتاب النقطة " - " قطب العجائب وفلك الغرائب " - " المملكة الربانية المودعة في النشأة الإنسانية " - " إنسان عين الوجود في وجود عين الانسان الموجود " - " الكتاب المرقوم في شرح التوحيد المجهول المعلوم " .

3 - شخصيات أثرّت في الجيلي

أساتذة الجيلي المعاصرين له :

رغم انتشار الطرق الصوفية في أقاصي البلاد الإسلامية وأدانيها في القرن الثامن الهجري ، إلا أن عبد الكريم الجيلي لم يكن مريدا لطريقة صوفية - بالمعنى التقليدي . بل نراه - على غرار الأكابر - يستفيد من مشايخ ، ويعترف بالأخذ عنهم ، دون أن يشكلوا حجابا على تجربته الشخصية ومساره الفردي .

التقى الجيلي في بداياته ، عام 798 هـ ، بالشيخ محمد بن إسماعيل المكدش ، وهو بحسب عبارة الجيلي نفسه : فقيه عارف ، أي جامع للعلمين : **الكسبي والوهبي** .

ولم نعلم أن الجيلي تتلمذ للمكدش ، وجلّ ما نعلمه أنه زاره في بلدته " الأنفة " ورأى من زيارته له بركات كثيرة .

كما يذكر الجيلي ، في ديباجة كتابه " مراتب الوجود " ، الشاعر الصوفي الشيخ أبو بكر بن محمد الحكاك [ت 799 هـ] ، وينّبه إلى وجود ديوان شعر له ، وينسب إليه بيتا من الشعر ، يقول فيه :

وقد تبنّيت آبائي على ثقة ..... ولا محالة أني وجه كل أب

ويورد الجيلي اسم الحكاك ، في كتابه مراتب الوجود ، لا على أنه من مشايخه أو استفاد منه أو زاره أو التقى به ، بل يورده على سبيل المثال لمن يبلغ مرتبة " المشيخة في الحقيقة " ، بمطالعة كتب الحقيقة وفهمها لا بشيء من أعمال الطريق .

ولكن في كتابه " المناظر الإلهية " ، يذكره - بعد موته - بصفة الأخوة ، فيقول : أخونا العارف ، لسان المعارف ، أبو بكر بن محمد الحكاك ، رحمه الله .

أما الشيخ " البارع في الحقيقة " ، والذي اتّخذه الجيلي معلما له ، ويقول بأنه لا يعرف أحدا ممن أدرك من رجال زمانه على طريقته ، وأنه غربيب الأولياء .

فهو إسماعيل الجبرتي [722 - 806 هـ] .

كما نظم فيه جملة قصائد ، منها ما ورد في كتابه " الانسان الكامل " ، نختار أبيات ثلاثة تعبّر عن مكانة الجبرتي لديه ، يقول :

يا ابن إبراهيم يا بحر الندى ..... يا ذا الجبرتي الجبور طبيبه
ألعبدك الجيلي منك عناية ..... صباغة صبغ المحب حبيبه
أنت الكريم بغير شك وهو ذا ..... عبد الكريم ومنك يرجى طيبه

وقد أسهم الجبرتي بسبب كثرة صحبه وأتباعه من الملوك والولاة والعلماء ، في إحياء الحياة الصوفية في اليمن ، وعمل على انتشار فكر ابن عربي خاصة ، جاعلا كتبه جزءا من ثقافة العصر في تلك المناطق من جهة .

ومن جهة ثانية دليلا للسالكين ، إذ يخبرنا الجيلي أن شيخه الجبرتي يحرّض مريديه على قراءة كتب ابن عربي ، ويرى أنها تقرّب المسافة البعيدة على المريد ، وتسهّل الطريق الصعب .

ونتج عن تبنّي الجبرتي لمقالات ابن العربي ، وتأسيسه تيارا صوفيا يمنيا على تعاليمه العرفانية ، أن ورث الشقاق الفقهي المستمر حول " مقولات ابن العربي وشخصه أحيانا " .

وانقسم فقهاء اليمن بشأنه قسمين :

قسم اتّصف بالموضوعية العلمية وإن كان يبالغ أحيانا في استخدام عبارات الثناء ، وقسم عدائي يتطرف غالبا في هجومه عليه .
ويشهد له فقيه معاصر ، ومعاشر له ، هو عبد الرحمن بن زكريا ، المعروف بـ " نقّاد الأولياء " ، بالصدق والوصول ، فيقول عنه :
" والله ، ما مثل الشيخ إسماعيل لا في الشام ولا في اليمن ولا في العراق ولا في الحرمين " .
أسس الجبرتي طريقة صوفية يمنية عرفت باسمه : " الجبرتية " .
ويقول مرتضى الزبيدي بأنها شعبة من الأهدلية ، وترجع في سلسلتها إلى الطريقة القادرية ، نسبة إلى الشيخ عبد القادر الجيلاني .
وبذلك يكون الجبرتي قد شبك الطريقة القادرية بتعاليم ابن العربي في كيان صوفي يمني ، وأسهم في دخول أفكار ابن العربي في أوساط الطرق الصوفية .
وإذا دققنا في أصحاب الجيلي وأسماء الصوفيين الواردة في كتبه ، نجد معظمها

من تلامذة الشيخ الجبرتي ومريديه ، من أمثال :

المزجاجي ، والمعبيدي ، ومحمد بن شافع ، وقطب الدين بامزاحم ، والمسن ، والرداد .
فالجيلي لم يؤسس - على المستوى البشري - مدرسته أو حتى شبكة علاقات شخصية ، بل اكتفى بالانكباب على تجربته وتدوين مشاهده ، ولقاءات أخوية أثناء وجوده في مسجد الجبرتي ، أو في بيت من بيوت أخوانه ، مشاركا في حلقة من حلقات السماع التي نشطت وتطورت في اليمن بجهد الجبرتي .

أما الشخصية المعاصرة ، والبارزة ، التى التقى بها الجيلى ، فهى :

خواجة بهاء الدين محمد بن الشاه نقشبند الأويسي [717 هـ - 827 هـ] ، صاحب الطريقة النقشبندية .

الماضى الحى :

تميز نتاج الجيلي بقلّة النقول عن السابقين ، وانتسب - جملة وتفصيلا - إلى عين الابداع . .

وإننا عندما نطالع سطوره تنشأ لدينا معارف جديدة ، بعيدة عن أن تكون إعادة قراءة لتراث سابق أو تصنيف جديد لمعلومات معروفة ، بل إبداع على مستوى الحياة واللغة معا .
ورغم وثوق الجيلي الشديد بمساره الروحاني ، ومشاهداته العرفانية ، إلا أن ذلك لم يمنعه من رؤية الآخر ، والاستشهاد بأقواله ، والشهادة له ، وربما العكس يصبح الآخر ضروريا لتقدير الذات وتقييم مكتسباتها ومواهبها . .

ومن أشخاص " الآخر " السالفين ، يبرز وجهان :
الأول هو أبو الغيث بن جميل .
والثاني هو محيي الدين ابن العربي .
ينقل الجيلي أقوالا عديدة لأبي الغيث بن جميل ، وأشهرها عبارته التي سارت في أوساط الصوفية ، وأصبحت من جملة الأقوال التي يعرفها الجميع تقريبا ، وقلّة من يعرف قائلها ، وهي : " خضنا بحرا وقف الأنبياء بساحله " . .
ويلقّب الشيخ أبو المغيث بشمس الشموس . وكان في حداثته وقبل دخوله في القوم ، من جملة قطّاع الطريق .
ثم تاب وتصوّف على يد الشيخ علي بن أفلح ، وهو من أشهر مشايخ زبيد وقت ذاك . وعندما بدأت تكثر " كراماته " في بلدته ، نصحه شيخه بالخروج من زبيد والذهاب إلى الشيخ علي الأهدل . ويقول أبو الغيث في أيام نهايته : خرجت من عند ابن أفلح لؤلؤة عجماء فثقبني الأهدل .
وتوفي عام 651 هـ ، وعمره يتجاوز التسعين عاما .

أما محيي الدين ابن العربي ، فقد كان بالنسبة للجيلي هو الآخر بامتياز :
شرح مؤلفاته ، ومنها " رسالة الأنوار " ، و " مشكلات الفتوحات " ، و " التجليات " ؛ واتفق معه في نتائج عديدة لا تكاد تحصى ؛ واختلف معه أيضا في مسائل معدودة .
إذن ابن العربي هو المحاور الأول للجيلي من خارج تجربته الشخصية .

يقول عنه في مقدمة شرحه لرسالة الأنوار :
" سيد هذه الطائفة وإمامها ، وخبير هذه الجماعة وعلّامها ، الشيخ الإمام العارف ، وارث الأنبياء ، وخاتم الأولياء ، برهان الشريعة المحمدية ، وعماد الحقائق الإلهية ، بحر الندا ونجم الاهتدا . . صفوة أرباب المجاهدة وعمدة أصحاب المشاهدة . . . " ، ثم يشهد له بأن أكثر أقوال الصوفية مستندة إليه ، لذلك كثر الإنكار عليه .
وعلى الرغم من علّو هامة ابن عربي في أفق نظر الجيلي إلا أنه لم يملأ حدقة العين ، فظل الجيلي صاحب تجربة صوفية جديدة ، وشبه متخصصة بموضوع " الإنسان الكامل " ،
وظل كل الآخرين بالنسبة إليه :

إما مرّبين لعبوا دورا على مستوى مجاهداته النفسية ورياضاته من أمثال شيخه الجبرتي ، وإما محاورين لتجربته ومرآة ينظر فيها ليرى ملامحه ؛ وهذا موقع ابن العربي .

4 - نهج الجيلي في الكتابة والتأويل

تحفّظ المسلمون في استخدام لفظ " **تأويل** " ، لأن هذا اللفظ ورد في القرآن الكريم ، في سياق تفسير كلام الله ومعرفة قصده سبحانه في خطابه ، على التحديد ، وهذا ممتنع .

وفي المقابل لم يتحفظ الجيلي في استعماله للفظ " **تأويل** " ، ولكنه أطلقه على تلقي الكلام الإنساني وإرساله لا على الكلام الإلهي .

وقدّم لنا - في كتابه غنية أرباب السماع - نظرية في التأويل ، تضاهي وتفوق في كثير من الجوانب ، ما يعتبره فلاسفة اللغة من مستجدات العصر !

وتتمحور نظريته اللغوية حول قطبين هما : **اللفظ والمعنى [الدال والمدلول]** .

وعلى ضرورة ألا يقتصر المتلّقي على ظاهر الألفاظ بل يعبر منها إلى بواطن معانيها .

يقول في " غنية أرباب السماع " منبها على وجوه الاستماع - أي وجوه التلقي والفهم - للنص الواحد :

" فإني لما رأيت قصور الفهوم من أطوار المعاني ، ووقوف العلوم من عوام أرباب السماع على ظاهر ألفاظ الأغاني ، أردت أن أفتح بابا لأهل السماع ، إلى حسن الاستماع ، وأكشف نقابا لأهل الأغاني ، عن مخدّرات المعاني ، المحجوبة عن أعين العامة ، بصور ألفاظ المعاني ، فاستخرت الله تعالى . . . في وضع كتاب . . . حتى أذن لي في وضع هذا الكتاب ، المسمّى : غنية أرباب السماع ، في كشف القناع ، عن وجوه الاستماع " .

ويمكننا اختصار نظريته في أربع فقرات هي الآتية :

أولا - رتبة المتّلقي وفهم المعنى

إن اللفظ الواحد - عند الجيلي - يحرّك في الأفهام معان متعددة ، بقدر تعدد السامعين [أو القراء] لهذا اللفظ .

والسبب في تعدّد المعاني والإفهام للفظ الواحد ، هو أن كل سامع للفظ يفهمه بحسب حاله ومقامه .

فالمعنى يتحدد عند المتلّقي لا عند المرسل . المرسل يقول اللفظ ، والسامع يضع المعنى .

يقول الجيلي في كتابه غنية أرباب السماع : " . . . واعلم أن المستمعين ، وإن اشتركوا في سماع مجرد الألفاظ ، فقد تباينوا في سماع معانيها . فربّ كلمة موضوعة لمعنى القرب ، قد فهم منها معنى البعد ، وبالعكس على قدر المقام والمستمع (. . .) ثم أعلم أن اختلاف الفهوم فيما يسمع ، منوط بمقام السامع ، كما تقدّم ذكره ، على قدر قابليته ، لا يحسن أن يتعدى مقامه ضرورة . ومن هنا وقع الخلاف بين سائر العالمين ، في جميع ما اختلفوا فيه ، لأن كلا يحمل المعنى على ما يقتضيه أمره . . . " " 1 "
.
إذن ، لقد دلّ الجيلي على أن الصراع على المعنى ينشأ من اختلاف الفهوم العائد إلى اختلاف القابليات ومواقع الأقدام في المعرفة والسلوك .
يقول الجيلي : " . . . فأهل السماع مختلفون في حمل المعاني على قدرهم ، فما من يسمع في مقام التوبة ، كمن يسمع في مقام العبادة ؛ ولا من يسمع في مقام العبادة ، كمن يسمع في مقام الزهد ؛ ولا من يسمع في مقام التوكل ، كمن يسمع في مقام الرضى ؛ ولا من يسمع في مقام الرضى ، كمن يسمع في مقام المحبة ؛ ولا من يسمع في التلوين ، كمن يسمع في التمكين ؛ لأن الناس مختلفون في طلب الله تعالى (. . .) وكل سامع من هؤلاء له فيما يسمعه تأويل يليق بحاله " .

ثانيا - تعدد الفهوم وسلم المعاني :

بعد أن توقفنا مع الجيلي مدللا على دور " مقام الشخص " في فهم المعنى ؛ نجده في مكان آخر يلملم هذا الانتشار للمعنى في سلّم رباعي . فيقسّم أرباب الطريق الصوفي إلى أربع فئات متراتبة ، تضم أصناف الأحوال والمقامات . وهذه الأربعة هي : مرتبة النسك ، ومرتبة السلوك ، ومرتبة الحب ، والأخيرة هي مرتبة الجذب .
يقول ، مبينا اندراج أهل المقامات في هذه المراتب الأربع : " . . . وتجمع هذه الأصناف كلّها أربعة أجناس ؛ وهي : **الناسك ، والسالك ، والمحبّ ، والمجذوب .** لأن لفظة النسك تجمع العبّاد والزهّاد والمتوكلين وأمثالهم ، ولفظة السلوك تجمع أهل قصد المخالفات ، ولفظة الحب تجمع المريدين وسائر أهل الطلب لله ، ولفظة الجذب تجمع الواصل والعارف . . . " .
إذن ، كل لفظة تأخذ معناها من رتبة المتلّقي ، وتتعدّد المعاني ، لا إلى ما لا نهاية ، بل تنتهي إلى درجات أربع في سلّم معنوي .
ويجعل الجيلي كتابه " غنية أرباب السماع " نموذجا يدلّ فيه القارئ على أسس السماع الصوفي [التلّقي] في المراتب الأربع لأهل الطريق .

ونماذج الجيلي على ثلاثة أشكال :

الشكل الأول هو ألفاظ مفردة يتداولها البلغاء والفصحاء في الشعر والنثر ،
والشكل الثاني هو قصائد ،
والشكل الثالث المقامات والأحوال .

ونكتفي بأن نأخذ نحن نموذجا واحدا من هذه الأشكال الثلاثة لنبين تعدّد الفهوم في سلّم معاني رباعي الدرجات عند الجيلي .
ونختار نموذجنا **من الشكل الأول** وهو الألفاظ المفردة .
يورد الجيلي ، في الباب الأول من غنية أرباب السماع ، مائة لفظة مفردة متداولة في الشعر والنثر ، ويبين تدرج معانيها بحسب رتبة المتلّقي في الطريق الصوفي .
ويهدف من وراء إيراد تاويلاته إلى بناء نهج خاص بالصوفية عامة ، وبه خاصّة ، في التأويل .
يقول في تأويل لفظة " الرياح " المفردة : " الرياح قد يؤولها الناسك بالبواعث والعزائم أيام الحركة الشديدة في العبادة . ويؤولها السالك بالنفحات الإلهية المقرّبة للطريق ، الموصلة للعبد إلى الله تعالى .
ويؤولها المحب بأنفاس المحبوب . ويؤولها المجذوب بأحوال آثار التجليات ، لأنها تمر كالريح ، فلا دوام للحال " .
<u>وفي تأويل لفظ " البان " ، يقول الجيلي :</u>
" **البان** : يسوغ تأويله للناسك ببيان الحق وظهوره على الباطل ، وقد يؤوله بالاستقامة على الطاعة ، لأن غصن البان إنما يشبّه غالبا باستقامة القامة أو باللين ؛ فإذا كان المراد من ذكره لين حركته ، فيؤوله الناسك حينئذ بميل النفوس تارة للطاعة ، وتارة للفترة .
ويسوغ أن يؤوله السالك بالمخالفات نظرا إلى ميلان الغصن . . . ويسوغ أن يؤوله المحب بالمحبوب ، فإذا كان في الجانب الإلهي أوّله باسمه القائم والقيوم ، وأمثال ذلك ، لأن البان إنما يذكر غالبا كناية واستعارة عن القامة . ويؤوله المجذوب بالأحدية " .
هذا ، ولا يحصر الجيلي التأويلات بما أورد ، ولكنه يظهرها على سبيل المثال ، وبقصد إرساء نهج التأويل بمعزل عن الجزئيات .

<u>ثالثا - التأويل الإلهامي . .</u>

<u>فتوح التأويل :</u>

يبني الصوفية معرفتهم اليقينية على الإلهام ، على النور الذي يقذف في الصدر ؛ والجيلي يجعل التأويل الصوفي نفسه نوعا من المعرفة الإلهامية والفتوح الرباني .
وبذلك يختلف عن باقي التأويلات بمصدره اللدني ، وبضرورة خضوعه إلى معايير بعديّة .
فالصوفي يصرف وجه قلبه ، عند استماع " اللفظ " أو قراءته ، لا إلى معاجم اللغة ومجازها ورموزها بل إلى الله تعالى ، وينتظر أن يعلّمه ما لم يكن يعلم ، بمناسبة السماع أو القراءة .

<u>يقول الجيلي في كتابه غنية أرباب السماع ، ما نفهم منه أن التأويل نوع إلهام :</u>

" إعلم أن جميع ما أشرنا إليه من تأويل هذه الألفاظ [المفردة] ، بما أوّلناها به ، ليس بمقصور ، ولا محصور على ذلك . بل لكل كلمة من هذه الكلمات تأويلات كثيرة تفجأ عباد الله تعالى ، من غير تعمل ولا اجتلاب ، لأن أسماع قلوبهم مصروفة إلى باب خزائن جود الله تعالى ومواهبه ، فتفجأهم تلك المعاني ،من غير سابقة علم بها ، فلا تتوهم أنهم يتعلّمون ذلك من حالة الواجد " .

إن تأويل النص وفهمه هما من جملة المواهب الإلهية التي تفجأ الإنسان ،لكأنهما يتنزّلان في قلبه . وهذا لا يعني أن الصوفي معفى من النظر في الأصول اللغوية والشرعية ، بل يعني ذلك أنه لم يستدل بالأصول لإنتاج معرفته التأويلية ، وإنما قامت هذه الأصول بدور الشاهد على التأويل ومشروعيته ، وأمدته - بعد حدوثه - بما يحتاجه من مبررات وحجج وبراهين .
إذن ، الأصول - اللغوية والشرعية والعقائدية - تشكّل عند الجيلي ضوابط التأويل وشروط مشروعيته ، فلا يحق لإنسان أن يطلق عنان قلبه في قبول معان وتأويلات قبل أن يتقن علم العقيدة ويعرف ما يجوز إطلاقه على الجناب الإلهي وما هو ممنوع .
. وينبّه الجيلي على الفروق الجوهرية بين التأويل وبين التشبيه والتمثيل وغيره ، موضحا أنه يحق للمتلّقي تأويل الألفاظ لتصبح دالة على الله ، دون أن يقع في تشبيه الحق أو تمثيله أو تسميته باللفظ المؤول . . .

<u>يقول مبينا الفروق بين التأويل والتشبيه :</u>
" الممنوع في الجناب الإلهي إنما هو التشبيه ، فلا يجوز أن تشبّه الحق بشيء ، ويجوز أن تأوّل الأشياء من حيث فهمك ، على قدر متعلقك به ؛ فإذا قال قائل : ما أحسن القمر (. .) مثلا : يجوز أن تأوّل ، من حيث فهمك القمر بالحق ، فتقول : ما أحسن جمال الحق تعالى (. . .) ، ولا يجوز أن يشبّه القمر بالحق ، لأنه يتعالى عن ذلك . فالسماع كلّه تأويل لا تشبيه " .

<u>ويقول ، ما نفهم منه ضوابط التأويل وشروطه :</u>
" ان التعمّل [في استجلاب التأويل] جائز للمتواجد (. . .) ولكن على شرط التنزيه ، وعدم الخروج عن قيود التشريع ، من غير تشبيه ، ولا تمثيل ، ولا تسمية للفظ مما يأول به (. . .) فإنك إذا لازمت على ذلك يفتح الله لك ، حتى لا تمر بلفظة إلا ويرد عليك من فضل الله تعالى ما يسوغ تأويله به " .

<u>رابعا - كتابة الجيلي :</u>
إن " الحقائق الوجودية " التي تكشفت للجيلي ، ويريد أن يشاركنا بها ، ليست من

جنس المعاني التي تعبّر عنها اللغة الظاهرة وتبديها . لذلك اختار الجيلي - أسوة بغيره من الصوفية - لغة الرمز والإشارة ، مقّلبا بذلك الحقائق المراد توصيلها للأفهام بين طوري الإخفاء والإظهار .

يقول في قصيدته العينية دالا على أسلوبه في الإظهار والإخفاء [بيت 127 - 129]:

وها أنا ذا أخفي وأظهر تارة ..... لرمز الهوى ، ما السرّ عندي ذائع
وإيّاك أعني فاسمعي جارتي ، فما ..... يصرّح إلّا جاهل أو مخادع
ولكنني آتيك بالبدر أبلجا ..... وأخفيه أخرى ، كي تصان الودائع

ونتيجة لهذا الأسلوب في التعبير ، يقوم اللفظ الظاهر بدور فاعل في عملية التوصيل والكتابة ، فهو ليس حجابا وليس سدا ، وفي الوقت نفسه لا يتوجب تحطيمه للوصول إلى المعنى ، بل العكس اللفظ هو باب وستار خفيف يشف عما وراءه من المعنى . .
يقول الجيلي في [الإنسان الكامل ، 1 / ص 79] : **" لا تكتف بظاهر اللفظ بل اطلب ما وراء ذلك"**.
ويتبع الجيلي هذا الأسلوب في كافّة ما يكتب ، يقول عن كتابه الإنسان الكامل ، [ج 1 / ص 80] : " فجميع ما أبرزناه في هذا المسطور (. . .) إذ وضعنا جميعه بين رمز في عبارة وبين لغز في إشارة " .
فالرمز مفتوح على تعدّدية المعنى ، والإشارة لغز تحتاج إلى التفتيش في " الذاكرة " عن حل . وفي القصيدة العينية نماذج عديدة للرموز والإشارات : الرموز من أمثال " وسرب من الغزلان " فليراجع شرح المؤلفة [البيت رقم 13] .
أما الإشارات فهي أكثر من أن تحصى ، ومعظمها يجد معناه بالرجوع إلى قصص " حياة الأنبياء " كما وردت في النص القرآني . .

ويمكننا أن نستشف نظرية صوفية في الرمز والإشارة : فالرمز هو لفظ يأخذ معناه من نص كاتبه ، ويظل المعنى الذي يعطيه القارئ أو المتلّقي في نطاق الاحتمالات ، مثلا " الغزلان " [البيت رقم 13] هو رمز من عالم الحيوان يأخذ معناه من سياقه في القصيدة ، ومن معرفتنا بتجربة الجيلي الصوفية .
أما الإشارة فهي معقودة بالألغاز ، وتلعب دورا هاما في التواصل ، لا من فرد إلى فرد ، بل في التواصل على مستوى الجماعة . ومعظم رجال الصوفية يستفيدون إشاراتهم من النص القرآني ، وفي أغلب الأحيان ، من حياة الأنبياء كما نصها القرآن .
وهذا الرجوع إلى حياة الأنبياء إلى " التاريخ المقدس للإنسان " ، وتصوير التجربة الصوفية والمعاناة بلغة إشارة نبوية ، يشكّل وسيط فهم ولقاء بين أشخاص الجماعة ، ويخرج بالتجربة الصوفية في فرديتها إلى المساحة المشتركة بين ناسها .

5 - القصيدة العينية

يقول الجيلي في الإنسان الكامل أنه ألّف قصيدة سمّاها " **البوادر الغيبية في النوادر العينية** " ، وهي : " قصيدة عظيمة لم ينسج الزمان على كمّ الحقائق مثل طرازها ، ولم يسمح الدهر بفهمها لاعتزازها ".

ونضع بين قوسين ، الانطباع الذي يحدث لدينا عند قراءة هذا الكلام ، لنفسح المجال أمام مساءلة القصيدة ومقارنتها وتحليلها ، لتكوين رأي موضوعي حول قيمتها العلمية في حقل التصوف .

ونقسم عملنا حولها إلى عدة فقرات هي الآتية :

أولا - فرادة القصيدة العينية :

هل صحيح أن العينية - كما قال الجيلي - هي قصيدة عظيمة لم ينسج الزمان على كم الحقائق مثل طرازها ؟

جوابنا هو : نعم ولا .

عندما كتب الجيلي قصيدته ، كان ابن الفارض قد فارق عالمنا بما يزيد على القرنين ، ولا نعلم إلى أي مدى يعرف الجيلي الشاعر الصوفي الكبير عمر بن الفارض ، المعاصر لابن عربي . فهو لم يكد يذكره فيما نعرفه من كتبه ، وهذا مستغرب .

تضمن ديوان ابن الفارض قصيدة شهيرة ، حظيت بشروحات عديدة ، هي " القصيدة التائية " المسماة : " نظم السلوك " ، والتي تزيد أبياتها على سبعمائة ، ومطلعها :

سقتني حميا الحب راحة مقلتي ..... وكأسي محيا من عن الحسن جلّت

فأوهمت صحبي أنّ شرب شرابهم ..... به سرّ سرّي في انتشائي بنظرة

وبالحدق استغنيت عن قدحي ومن ..... شمائلها لا من شمولي نشوتي

ونستطيع أن نقول أنه لا يضاهي قصيدة الجيلي العينية في تاريخ الشعر الصوفي إلا قصيدة ابن الفارض التائية .

بل لو قصدنا المقارنة لقلنا أن الجيلي استعاد في قصيدته جملة موضوعات صاغها ابن الفارض قبله ، وخاصّة فيما يتعلق بالمجاهدات والحب الإلهي ونظرية الجمال .

فالقصيدتان تعبران بامتياز عن رؤية الصوفي للألوهية والوجود والإنسان ، وعن نمط حياته الموسوم بالمجاهدات والمعاناة .

ولكن رغم هذا التماثل بين القصيدتين في أكثر من وجه ، إلا أن عينية الجيلي تتفرد بأمور تجعلها مميزة في تاريخ الشعر العربي عامة ، لا الشعر الصوفي فقط ، مما يصبح معه ادّعاء الجيلي ، بتفرّد قصيدته وانعدام طرازها في الزمان مقبولا .

ومن هذه الأمور :

1 - إن القصيدة العربية متّهمة بالتفكك ، بحيث يشكّل البيت الواحد أحيانا معنى مكتملا . وهنا نصدف قصيدة عربية تمتاز بوحدة الموضوع وتسلسل المعنى على امتداد ما يزيد على خمسمائة بيت من الشعر .

2 - تقول هذه القصيدة شعرا جماع ما يشتمل عليه النثر الصوفي من فكر ، فقد نظم الجيلي في قصيدته هذه أفكاره الصوفية عامة ؛ في وحدة الوجود والإنسان الكامل والحب والجمال والمجاهدات . . . إنها قصيدة تعبّر بالكامل : عن شخص منشئها وفكره ، وهذا نادر في الشعر العربي .
3 - نصف القصيدة تقريبا يروي فيه الجيلي سيرته الروحية ، فنراه منذ برز لمعة من النور الإلهي ، ثم ولد في الأرض ، وعشق ووحّد وتعبّد وجاهد . . وختاما ، تحقق بالمقام المحمدي وأصبح خليفة في الوجود . والقصائد التي تتضمن " السيرة الشخصية للشاعر " مفقودة - على حد علمنا - في الشعر العربي .
4 - يتسم خطاب الجيلي في قصيدته هذه بالجرأة والمباشرة وعدم التورية في أماكن عديدة درج الشاعر العربي على الالتفاف حولها ، واستخدام اللغة ليموّه المعنى . هذه المباشرة في القول نادرة في النص الصوفي ولا نكاد نجدها إلا في شطحات الصوفية .

ثانيا - القصيدة العينية ومسألة الفهم :

هل صحيح أن العينية - كما قال الجيلي - هي قصيدة لم يسمح الدهر بفهمها لاعتزازها ؟

جوابنا هو : نعم ولا .
تصدى عبد الغني النابلسي وهو لا يزال يافعا إلى شرح القصيدة العينية ، وجاء شرحه على صيغة " نص صوفي وضع على نص صوفي " . مما جعل الشرح يحتاج أحيانا إلى شرح ، وإلى ترجمة من اللغة الصوفية إلى اللغة العامة .
كما أن نهج النابلسي في الشرح - على أهميته وسبقه - اعتمد الإجمال ، فلم يتوقف عند كل بيت من القصيدة ليشرح مفرداته ومعانيه ، بل ضم الأبيات المتتابعة في موضوعات وعمد إلى شرحها على وجه الإجمال . مما أبقى الغموض واللافهم ساكنا في الألفاظ والمعاني .

وعندما عزمت على شرح القصيدة العينية ، شعرت كمن يتهيأ ليقيم حوارا عبر الزمان .
وذكرت الحكيم الترمذي الذي ترك أسئلة حول الولاية ، أجاب عليها ابن العربي في فتوحاته ، وحاوره على بعد قرون . .
وحين لمست أن الحوار المرتقب ضروري للكشف عن طاقات الروح " النائمة " في تكوين إنسان هذا الزمان ، بدأت الكتابة - المغامرة .
وانتهجت التفصيل في شرحي للقصيدة ، فكنت أتوقف عند ألفاظ كل بيت لأبيّن دلالاتها في معاجم اللغة ، وبعد ذلك أؤلف معاني الألفاظ في معنى كلّي للبيت الواحد .
كما انتهجت البيان فحاولت ترجمة الرموز من المعجم الشخصي للشاعر إلى المعجم الشعري العام ، كما حرصت - قدر الاستطاعة - على تفكيك ألغاز الإشارات .

ولا يخفى ما في انتهاج التفصيل والبيان من التحدي والصعوبة ، إذ يستحيل معهما الالتفاف حول معنى أو المراوغة ، بل لابدّ من الدخول في ذرّ الموضوع واكتشاف المعنى .

هل سمح الدهر بفهم القصيدة العينية ؟

ربما استطعت أن أقدّم فهما ، ولكن هذا الفهم لا أدّعي أنه يستقصي حدّ القصيدة ، و " يطلع " منها ، بل يحرص على أن يقدّم للقارئ نصا مفهوما على مستوى اللفظ والمعنى ، وفي الوقت نفسه لا يكون حجابا على غيره من الفهوم الممكنة ، بل العكس ربما يكون فاعلا في توليد معاني جديدة و " مطالع " جديرة بالتأمل .

ثالثا - بنية القصيدة :

تتألف القصيدة العينية من جملة أجزاء متلاحمة متلاحقة ، لكأن الجيلي عندما وضع الحرف الأول منها كان في أفق الرؤية عنده الحرف الأخير .

لذلك سوف نتجرأ على وحدة النفس الشعري المتجلي في القصيدة ، ونقسمها إلى أقسام اعتبارية بحسب تسلسل الموضوعات .

وغنيّ عن البيان ، أن هذا التقسيم ليس ثابتا ولا نهائيا بل يقبل التحرّك والتجزّوء .

وسوف نكتفي نحن هنا بالخطوط الكبرى للقصيدة تاركين تشعب أفكارها ؛ إما للفقرة المخصصة لأفكار القصيدة ، وإما ليطالعها القارئ في ثنايا شرحنا المنشور .

وفيما يأتي نورد أقسامها الكبرى :

*** من البيت (1) إلى البيت (16) : بطاقة هوية .**

يقدم الجيلي في هذه الأبيات بطاقة هوية يعرّف فيها القارئ عن نفسه . وقد يخيّل لمن يطالع القصيدة أن هذه الأبيات هي في النسيب الذي درج عليه شعراء العرب في مطالع قصائدهم . ولكن نظرة متفحصة تؤكد لنا أن الجيلي هنا يقدم بطاقة هوية يعلن فيها عن نفسه ، يقول : أنا عاشق سكران ، لن أصحو من سكر الغرام ، لأن الهوى خمر لن تفارق أضالعي أبدا .

ونعرف أن هذا العاشق الوالع عاش زمن الرند يجر ذيول اللهو في ساحة اللقا ويجني ثمار القرب ؛ ولكن لابد من الخروج من الجنة ، ومفارقة بداية التاريخ وصفو العلاقة ، وذوق النار .

*** من البيت (17) إلى البيت (29) : معاناة الشاعر في الحب وتعبيره بلغات الأنبياء .**

يصور الجيلي في هذه الأبيات ما يعانيه من شدة الحب وبعد الديار . وحتى يكسب حبّه ومعاناته سمة قدسية ، يرجع إلى التاريخ المقدّس المشترك ليتواصل عبره مع الجماعة ، فيعبر عن لوعته ووجده بالإشارة إلى مشاهد من حياة تسعة من الأنبياء ، هم : نوح

وأيوب وإبراهيم ويونس وشعيب وزكريا ويحيى ويوسف ويعقوب ، عليهم السلام أجمعين .

*** من البيت (30) إلى البيت (69) : توجّه الشاعر إلى محبوبه ، بوصف حاله في العشق ومكانة معشوقه لديه .**

يظهر الشاعر تذلله للمحبوب وخضوعه وطاعته ، وتلفه وفناء روحه ، وتفرّده بغرام لا يقاس به غرام ، وبأنه لا مسامع في آذانه للملام . .

ولا يكتفي الشاعر بتصوير مشاعره ، بل يبلّغ محبوبه بأن كل شيء في العالم الخارجي المحيط به لا يحجب المحبوب بل يشف عنه . . فالعاشق يسمعه في ريح الصبا وفي نغمة الطير ، ويتخيله في البرق والرعد ، ويبصره في كل ما يطالع .

*** من البيت (70) إلى البيت (112) : أسرار الشريعة .**

يفصّل الجيلي في هذه الأبيات أسرار العبادات ، التي هي أركان الإسلام . فيتكلّم على الشهادة والصلاة والصيام والزكاة والحج .

ونرى كيف يمارس العشاق عباداتهم ، وكيف يقوم الباطن في حضرة المعبود بموازاة الظاهر ، فيؤدي القلب حركة كلّما تحرك البدن . . وهذا القسم من القصيدة يعتبر من النصوص النادرة في تاريخ الفكر الصوفي ، ربما نجد - فيما سلف - إشارات متفرقة إلى أسرار العبادات ، ولكن لم يسبق أن رأينا صوفيا يأخذ كل عبادة بمفردها ويتتبع حركاتها حركة حركة ، في الظاهر والباطن معا .

فلينظر في شرح القصيدة خاصة " عبادة الحج " إذ أوردها الجيلي - على تنوعها وكثرتها -

بتمام تفاصيلها (من البيت رقم 80 إلى البيت رقم 112) . كما أورد الجيلي المعاني نفسها في كتابه الإنسان الكامل ج 2 / ص ص 86 - 91 فلتراجع .

*** من البيت (113) إلى البيت (126) : المقام المحمدي .**

بعد إتمام عبادة الحج ، يتوجه الحاجّ نحو المدينة المنورة لزيارة روض رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وهذا العمل البدني يقابله في الباطن عزم على التحقق بالمقام المحمدي . . حمى درست رسومه ، وأوج منيع دونه البرق لامع ، ولكن الجيلي سرى على بازل يجوب الفلا جوب الصواعق وليس له دون المرام موانع .

*** من البيت (127) إلى البيت (159) : وحدة الوجود .**

يشرح الجيلي في هذه الأبيات رؤيته للألوهية وتجلي الحق عزّ وجلّ في الكائنات ، وعلاقة الحق بالخلق . وينتهي إلى القول بأنه ما ثمة شيء سوى الله في الورى ، وأنه هو تعالى تجلى في الأشياء حين خلقها ، فهو موجد الأشياء وهو وجودها وعين ذوات الكل ، وفي تجليه في الكائنات تسمّى بأسماء هن مطالع للحق .

*** من البيت (160) إلى البيت (185) : نظرية الجيلي في الجمال : الجمال الإلهي والجمال الكوني .**

يرى الجيلي بأن جمال الكائنات ليس ذاتيا بل هو انعكاس للجمال الأوحد الإلهي .
ويطالب القارئ بأن يوحّد الجمال ولا يشرك به أحدا من خلقه ، وفي الوقت نفسه لا ينحجب عنه لقبح بصورة ، بل يشاهده أينما ولّى وجهه .

*** من البيت (186) إلى البيت (280) : وصايا صوفية . .**

يوجّه الجيلي القارئ - المريد إلى أن يبيع نفسه ، ويخلع أوصافه ، ويتشجع لينال قرب النوافل ، فيعمّ الحق قواه كلّها ، يكون يده ولسانه وسمعه . .
ويوصيه بأن يغص في بحار التوحيد ، ويترك التشبيه والتنزيه ، فيشبهه في تنزيهه وينزهه في تشبيهه . ولا يطلب فيه الدليل ، ويكتفي بالإيمان وحسن التتبع .
ثم في البيت رقم (218) ، يعلن بأنه ثمة أصول في الطريق الصوفي خاصة بأهله . وأبرزها : تسليك النفس وإقامة الحرب عليها ، مقاطعة من واصلنا أيام غفلة ، اللوذ بالأولياء ، إدامة ذكر الحبيب ، التسليم لشيخ بارع في الحقيقة إن ساعدنا القدر بلقائه .

*** من البيت (281) إلى البيت (535) : الجيلي يروي سيرته الروحية .**

بعد أن فصّل الجيلي لطالب السعادة أصول الطريق الصوفي ، ينصحه بالا يستبعد حصول ذلك له بل يثق بأن الوصول إلى عالي الرتب والرؤية ممكن ، وبين يدي هذه الثقة سوف يقص عليه قصته الشخصية منذ بدايته وبروزه لمعة من النور الإلهي ، إلى نحو انتهائه إنسانا كاملا ، خليفة في الأرض .

رابعا - أهم أفكار القصيدة العينية :

ضمّن الجيلي قصيدته العينية أمهات الأفكار التي نثرها في مؤلفاته الأخرى .
وهذه الأفكار لم يبتدعها الجيلي في تاريخ التصوف ، بل يمكن القول أنها موضوعات وقضايا طرحت في الوسط الصوفي ، بعد القرن السادس الهجري ، للتأمل والتجربة العرفانية . وفيما يأتي نتطرق باختصار إلى هذه الأفكار ، بالإضافة إلى ما سبق تفصيله عند الكلام على بنية القصيدة [مثلا : أسرار العبادات ، الطريق الصوفي . .]:

أ - العشق الإلهى .

اختلفت آراء المسلمين حول مسألة " **عشق الله** " ، وأنكر فريق منهم أن تكون علاقة الإنسان بربه هي علاقة عشق وتعشّق ، ورأوا أن المسموح في هذا المجال ، هو ما ورد في النص الديني ، أي علاقة الحب لا العشق .
ولكن ، بعد القرن الخامس الهجري ، شاع لفظ العشق ، وأصبح مقبولا لدى عامة الصوفية ، وتوالت نصوصهم في العشق واصفة أحوالهم .
ونختصر رؤية الصوفية للحب والعشق ، بأن هذه العاطفة اللاملموسة ، غير معترف بها عندهم وليست صادقة ، ما لم يقم عليها شاهد ؛ وشاهد الحب والعشق هو : **الفناء** .

يفنى المحبّ ليبقى محبوبه ، تفنى مراداته لمصلحة مرادات حبيبه ، وتفنى أهواؤه ومطالبه وشهواته ليبقى بدلا منها ما يشاء محبوبه ويرضى . . وكلّما ازداد الحب ازداد الفناء .
بحيث أنه لا يصدق الحب ويكمل حتى يقول المحبّ لمحبوبه : **يا أنا .**
وقد استعصى حال الفناء العشقي على الدخول في لغة الكلام ، لذلك عبّر كل صوفي عن حالته العشقية بلغة يوحي ظاهرها بالاتحاد ، مع تحذيره القارئ من أن يتوهم بين الإنسان والله اتحادا أو حلولا . .
يقول الجيلي في القصيدة العينية التي ننشرها :
تنزّه ربّي عن حلول بقدسه ..... وحاشاه ، ما بالإتّحاد مواقع
ويرى الجيلي بأن البداية هي ميل الإرادة نحو الآخر ، والنهاية هي العشق وظهور العاشق بالصورتين . . وما بين الميل والعشق يقطع الإنسان مراتب سبع ، فيكون المجموع تسع .

يقول الجيلي : " واعلم أن الإرادة لها تسعة مظاهر في المخلوقات :
المظهر الأول هو الميل وهو انجذاب القلب إلى مطلوبه .
فإذا قوي جدا سمي ولعا ،وهو المظهر الثاني للإرادة .
ثم إذا اشتد وزاد سمي صبابة ، وهو إذا أخذ القلب في الاسترسال فيمن يحب فكأنه انصبّ كالماء إذا أفرغ لا يجد بدّا من الانصباب ، وهذا هو المظهر الثالث للإرادة .
ثم إذا تفرّغ له بالكلية وتمكّن ذلك منه سمى شغفا ، وهو المظهر الرابع للإرادة .
ثم إذا استحكم في الفؤاد وأخذ عن الأشياء سمّي هوى ، وهو المظهر الخامس .
ثم إذا استوفى حكمه على الجسد سمى غراما ، وهو المظهر السادس للإرادة .
ثم إذا نما وزالت العلل الموجبة للميل سمي حبا ، وهو المظهر السابع .
ثم إذا هاج حتى يفنى المحب عن نفسه سمّي ودا ، وهو المظهر الثامن للإرادة .
ثم إذا طفح حتى أفنى المحب والمحبوب سمى عشقا وفي هذا المقام يرى العاشق معشوقه فلا يعرفه (.) وهذا آخر مقامات الوصول والقرب.
فيه ينكر العارف معروفه فلا يبقى عارف ولا معروف ولا عاشق ولا معشوق ، ولا يبقى إلا العشق وحده .
والعشق هو الذات المحض الصرف الذي لا يدخل تحت رسم ولا اسم ولا نعت ولا وصف ، فهو - أعني العشق - في ابتداء ظهوره يفنى العاشق حتى لا يبقى له اسما ولا رسما (. . .)
فإذا امتحق العاشق وانطمس أخذ العشق في فناء المعشوق والعاشق . فلا يزال يفنى منه الاسم ثم الوصف ثم الذات فلا يبقى عاشق ولا معشوق ، فحينئذ يظهر العاشق بالصورتين ويتصف بالصفتين فيسمّى بالعاشق ويسمّى بالمعشوق . . . " .

ب - وحدة الوجود :

عرفت البشرية نظرية وحدة الوجود على أنها التي تقول بأن الله والإنسان من طبيعة واحدة ، مما يمكن معه أن يرجع الإنسان إلى الله ويتحد به إتحادا ماهويا .
وحيث أن الإسلام أكد على تنزيه الله سبحانه عن مخلوقاته كافة ، وأنه ليس كمثله شيء ، وأنه لا يحلّ في مخلوق ، ولا يتّحد به مخلوق . . لذلك أصبح الكلام على وحدة الوجود محفوفا بالخطر .
وقد ظهرت فكرة وحدة الوجود ، وفي صيغتها الإسلامية - في الحقل الصوفي - مع محيي الدين ابن العربي ، وانتشرت من بعده في أوساط الصوفية الأفراد .
وهي لا تقول بأن الله والإنسان من طبيعة واحدة ، بل هما من طبيعتين متغايرتين ، محافظة بذلك على التنزيه الإلهي .
ورغم قولها باثنينية وجودية ، إلا أن الدارسين نسبوا أقوال الصوفية إلى الوحدة لأنهم حصروا الوجود الحقيقي بالله وحده عزّ وجلّ ، والمخلوقات كلّها " ملحقة بالعدم " ما شمت رائحة الوجود ، بل هي صور قائمة بتجلي الحق فيها .

فالله عز وجلّ يخلق المخلوقات ، يخرجها من عدمها إلى الوجود بتجليه فيها ، ولكن حيث أن حقيقتها العدم فليس فيها طاقة لاستقبال الوجود والاحتفاظ به ، لذلك تسقط في العدم مباشرة . . والله سبحانه ، يجدّد خلقها باستمرار ، يتجلّى فيها بآثار أسمائه لتظل صورا منصوبة . فالوجود بأكمله مرآة تعكس وجود الحق ، فمن ينظر إلى الكائنات يشهد الحق فيها ، إنها " مرائي " الحبيب ، " وفي كل مرأى للحبيب طلائع . . . " .
يقول الجيلي (الإنسان الكامل ج 2 / ص 87) ذاكرا سر كلمة الشهادة : " إعلم انه لما كان الوجود منقسما بين خلق حكمه السلب والانعدام والفناء ، وحقّ حكمه الإيجاد والوجود والبقاء ، كانت كلمة الشهادة مبنية على سلب وهي " **لا** " ، وإيجاب وهي " **إلا** " ، معناه : **لا وجود لشيء إلا الله** " .

ج - الإنسان الكامل :

ظهرت الكتابة بوضوح حول " الإنسان الكامل " ، حول شخصه وأدواره على مستوى خلق الأكوان ومدار وجود الإنسان ، مع محيي الدين ابن العربي .
أما عبد الكريم الجيلي فهو صاحب الاختصاص في تاريخ التصوف الإسلامي بهذا الموضوع .
وقد أوردت عبارة " صاحب الاختصاص " معرّفة لا نكرة ، لأن موقع الجيلي فرضها ، فهو أول من تخصّص ب " الإنسان الكامل " في الحقل الصوفي . . لقد وقف كتاباته كلّها تقريبا على التعريف به ، وهذا يعني أن علومه الصوفية ومشاهداته تمحورت حول هذه المسألة .

وتتلخص فكرة " الإنسان الكامل " [- معرّفة وهي غير العبارة النكرة : إنسان كامل]
، بأن نور رسول الله صلّى الله عليه وسلم هو " مظهر الإلوهية " ، و " نسخة الحق "
، هو أصل الوجود .
وهو أول ما خلق الله عزّ وجلّ ، ومن هذا النور خلق الأكوان كلّها . . فهو الحق
المخلوق به كل شيء ، وهو حقيقة كل شيء .

وبعد الخلق عليه مدار العوالم كلّها من أولها إلى آخرها : في الوجود وفي المعرفة
والتحقيق . .
وهو واحد لا يتعدّد بذاته ولا يتكرر ، ولكن له تجليات في خلفائه من جنس الإنسان .
.
وقد ألف الجيلي كتابا أسماه " الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل " ، والعنوان
بحد ذاته يدعو إلى التأمل ؛ فهو يقرر بأن هذا السفر يجمع معارف السابقين ويصادر
معارف اللاحقين في موضوع الإنسان الكامل .
وزيادة في التأكيد يقدم الجيلي في عنوانه معرفة الأواخر على معرفة الأوائل ، لا
لضرورة السجع فقط .
إذن ، بحسب رأي الجيلي ، كل ما يريد أن يعرفه الطالب في موضوع الإنسان الكامل
فهو مجموع في هذا الكتاب ، ولن يأتي اللاحقون بجديد مفقود في هذا الكتاب .

وأفرد الجيلي في كتابه هذا بابا اعتبره عمدة أبواب الكتاب ، بل الكتاب من أوله إلى
آخره شرح لهذا الباب ، وهو الباب الموفى الستون [حوالي 4 صفحات فقط] ، تكلّم
فيه بأسلوب مباشر وبإيجاز شديد على الإنسان الكامل ، وأنه بالاتفاق هو محمد رسول
الله صلّى الله عليه وسلم .
ويخبرنا عن حقيقته ، فيقول :
" إن الإنسان الكامل هو القطب الذي تدور عليه أفلاك الوجود ، من أوله إلى آخره ،
وهو واحد منذ كان الوجود إلى أبد الأبدين ؛ ثم له تنوّع في ملابس ويظهر في كنائس
، فيسمى به باعتبار لباس ولا يسمى به باعتبار لباس آخر .
فأسمه الأصلي الذي هو له محمد ، وكنيته أبو القاسم ، ووصفه عبد الله ، ولقبه شمس
الدين " .
ويخبرنا الجيلي أنه اجتمع به صلّى الله عليه وسلم في صورة شيخه الجبرتي :
" فقد اجتمعت به صلّى الله عليه وسلم وهو في صورة شيخي الشيخ شرف الدين
إسماعيل الجبرتي ، ولست أعلم أنه النبي صلّى الله عليه وسلم ، وكنت أعلم أنه الشيخ
، وهذا من جملة مشاهد شاهدته فيها بزبيد سنة ست وتسعين وسبعماية . وسر هذا
الأمر تمكنه صلّى الله عليه وسلم من التصور بكل صورة " .

ويسارع الجيلي إلى إبعاد تهمة التناسخ عن مقولته ، فيقول للقارئ :

" إياك أن تتوهم شيئا في قولي من مذهب التناسخ (. . .) بل إن رسول الله صلّى الله عليه وسلم له من التمكين في التصور بكل صورة حين يتجلى في هذه الصورة . وقد جرت سنته صلّى الله عليه وسلم أنه لا يزال يتصور في كل زمان بصورة أكملهم ، ليعلي شأنهم ويقيم ميلانهم ، فهم خلفاؤه في الظاهر وهو في الباطن حقيقتهم " .
وإذا أردنا أن نفهم شهود الجيلي بمنطق عقولنا الظاهر ، نرجع إلى تمكّن جبريل عليه السّلام من التمثّل بصور بشرية . . ومن الأمثلة عليها هو تمثّله عليه السّلام في صورة دحيّة الكلبي ،وظهوره للنبي صلّى الله عليه وسلم وصحابته ، وجلوسه وكلامه وقيامه ، كل ذلك في صورة دحيّة .
ويلخص الجيلي في هذا الباب ، ما فصله في كتابه بأكمله ، من مقابلة الإنسان الكامل لجميع الحقائق الوجودية بنفسه . . " يقابل العرش بقلبه . . . ويقابل الكرسي بانيته ، ويقابل سدرة المنتهى بمقامه ، ويقابل القلم الأعلى بعقله ، ويقابل اللوح المحفوظ بنفسه ، ويقابل العناصر بطبعه . . . " ، وهكذا يفصّل الجيلي جزءا جزءا من العالم وما يقابله من الإنسان الكامل .

د - الجيلى يكتب سيرته الروحية :

1 - السيرة والرؤية :

أقول ، إن مدونات الناس تنقسم في نظري إلى قسمين كبيرين ، يتفرّع الواحد منهما إلى فروع عديدة متشعبة ، وهذان القسمان هما :
الكتابات التي تدّون الحياة والواقع ،
والكتابات التي تدّون الأفكار والنظريات .
وأقول أيضا ، إن الكتابات التي تدّون للأفكار والنظريات والرؤى الفكرية ليست دائما صادقة ، بل تصدق أحيانا ، وأحيانا تتشابه في ضبابية وتغيب عن المقصود ، وبالتالي نتسلح بأدوات جبارة من الأصول لنزن بها النظريات والرؤى الفكرية .
أما الكتابات التي تدّون للسيرة الذاتية أو لمشاهد من الواقع فهي - على الأغلب - صادقة ، إن تأكد لدينا صدق الراوي .

2 - لماذا السيرة الروحية ؟

يذكر الجيلي في كتابه الإنسان الكامل ، السبب الذي دعاه إلى كتابة سيرته الروحية ، يقول (ج 2 / ص 96) : " إن مقام القربة هي الوسيلة ، وذلك لأن الواصل إليها يصير وسيلة للقلوب (. . .) إلى التحقق بالحقائق الإلهية .
والأصل في هذا ، أن القلوب ساذجة في الأصل عن جميع الحقائق الإلهية ، ولو كانت مخلوقة منها ، بنزولها إلى عالم الأكوان اكتسبت هذه السذاجة ، فلا تقبل شيئا في نفسها حتى تشاهده في غيرها ، فيكون ذلك الغير لها كالمرآة أو الطابع ، فتنظر نفسها في ذلك الشيء فتقبله لنفسها ، وتستعمله كما تستعمل ذلك الشيء بحكم الأصالة . . .

وقلب الولي الواصل إلى مقام القربة وسيلة الأجسام (. . .) إلى التحقق بالحقائق الإلهية لظهور الآثار ؛ فلا يمكن الولي أن يتحقق جسده بالأمور الإلهية إلا بعد مشاهدته كيفية تحقق ولي من أهل القربة ، فيكون ذلك الولي وسيلته في البلوغ إلى درجة التحقق . وكل من الأنبياء والأولياء وسيلتهم محمد صلّى الله عليه وسلم " .
إذن ، إن الولي الواصل إلى مقام القربة ، وهو أعلى مقام يصل إليه ولي وليس بعده إلا مقام النبوة ، يصبح للقلوب الإنسانية الخالية من الحقائق الإلهية كالمرآة .
وعندما تشاهد القلوب في هذه المرآة ما تقبله لنفسها تستعمله وتسعى لتحصيله .
وبناء عليه ، فقد أراد الجيلي من كتابة سيرته الروحية أن يبين للسالك كيفية تحققه ووصوله إلى مقام القربة ، لتكون روايته هذه وسيلة للسالك لبلوغ درجة التحقق .

ولا ينسى الجيلي من أن يوضح بأن وسيلة كل الأنبياء والأولياء لظهور آثار الحقائق الإلهية عليهم هو محمد رسول الله صلّى الله عليه وسلم .
ومن مراقبة أحوال الناس في معايشهم نؤيد الجيلي فيما ذهب إليه ، إذ تقوم - أحيانا - كتابة السيرة بوظيفة هامة في حياة المهتمين بالمجال موضوع السيرة ، وتظهر قيمتها التربوية والإنسانية في أحيان عديدة .
ونظرة على رفوف المكتبات ترينا أنها تغصّ بعشرات الكتب عن السيرة الذاتية لفقراء أصبحوا من أصحاب الملايين ، أو لنكرات صاروا قادة سياسيين ، أو سيدات خرجوا من دائرة التهميش إلى حدقة الوجود . . . وهكذا .
فالسيرة الذاتية تحرّض القارئ ، تحرك في داخله الرغبة في السير والإقدام ، وتكسر لديه الشعور بالقلة والضعف ، وتزرع الثقة بالنفس وبالجنس البشري . .
ويهمس حديث من الأعماق : إن كان - هذا رغم ظروفه - قد وصل إلى ما نرى ، فما الذي يمنعني أنا من الوصول ؟ !

كتب الجيلي سيرته الروحية ، التي احتلت نصف مساحة قصيدته العينية ، لتكون وسيلة للآخرين لبلوغ مقام القربة . . فرأينا بدايته ، شخصا من عوام المسلمين ، المؤمنين بالغيب ، ويدل على مقامهم قوله تعالى :"رَبَّنا إِنَّنا سَمِعْنا مُنادِياً يُنادِي لِلْإِيمانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنا فَاغْفِرْ لَنا ذُنُوبَنا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئاتِنا وَتَوَفَّنا مَعَ الْأَبْرارِ"[آل عمران : 193] ؛ وشهدنا مجاهداته ورياضاته وعشقه وفناءه . .
إلى أن نظر الحق عبده فدخل في عداد المحققين ، وانتسب إلى أهل القرب الإلهي ، الذين بنى الله أساس هذا الوجود عليهم ، وأدار أفلاك العوالم على أنفاسهم ، وهم محل نظر الحق من العالم ، بل " هم محل الله في الوجود " ، ولا يريد الجيلي بلفظ " المحل " الحلول ولا التشبيه ولا الجهة ،
بل يريد به أن أهل القرب الإلهي هم محل ظهور الحق تعالى بإظهار آثار أسمائه وصفاته فيهم وعليهم .

وحيث أن الجيلي وصل إلى مقام القربة . وحقّ له بالتالي أن يجعل سيرته مرآة للآخرين ، فما هو مقام القربة ؟

3 - مقام القربة :

يرى الجيلي أن الله تعالى جعل مطلق أمة محمد صلّى الله عليه وسلم على سبع مراتب ، وهي :
الإسلام ، والإيمان ، والصلاح ، والإحسان ، والشهادة ، والصديقية ، والقربة . وما بعد هذه المرتبة السابعة إلا النبوة ، وقد انسد بابها بمحمد صلّى الله عليه وسلم .
وبعد أن بيّن مراتب ناس الأمة ، فصّل أركان كل مرتبة ، وصولا إلى " الولاية الكبرى " ، إلى مقام القربة .
يقول في وصفه : " وأما القربة فهي عبارة عن تمّكن الولي قريبا من تمكّن الحق في صفاته ، وهذا مشاع كما يقال قارب فلان العالم فلانا يعني في العلم والمعرفة ، وقارب مسلم التاجر قارون موسى يعني في المالية .
فالقربة هي ظهور العبد في تنوعات الأسماء والصفات بقريب من ظهور الحق فيها ، لأنه يستحيل أن يستوفي العبد حقيقة صفة من الصفات ؛ ولكنه إذا انصرف على سبيل التمكين فيها لا يستعصي عليه شيء **مما يطلبه :** فعلم ما تشوف لعلمه ، وفعل ما أراد حدوثه في العالم مثل إحياء الميت وإبراء الأكمه والأبرص ، وغير ذلك مما هو الجوار " .
إذن ، مقام القربة هو الولاية الكبرى . . هو " قبول ذات العبد الاتصاف بصفات الرب قبولا أصليا حكميا قطعيا ، كما يقبل الموصوف الاتصاف بالصفة " ، وصيرورته : **خليفة الله في الأرض .**
وإذا أردنا أن نعرف - باختصار - إلى أين يصل الولي في مساره الروحاني ، وما هي المواهب الإلهية التي يتمتع بها .
ننقل نصا للجيلي ، **يعرفنا بما نريد ، يقول :**
" **للولي ثلاث معارف بالله (. . .) المعرفة الثالثة** ، هو الذوق الإلهي الذي يسري في وجود العبد ، فينزل بها في حقه من غيبه إلى شهادته ، يعني تظهر أثار الربوبية في جسده ، فيكون يده لها القدرة ، ولسانه له التمكين ، ورجله لها الخطوة ، وعينه لا يحجب عنه شيء ، وسمعه يصغي إلى كل متكلم في الوجود " .

خامسا - تحقيق نص القصيدة ونسخ المخطوطات :

كنت يافعة عندما أسمعني والدي ، وصية صوفية في بيت من الشعر . . لقد كنت تابعة للنظر العقلي في أغلب قناعاتي ، وكان يريدني أن أقيم الإيمان فوق أوجه المعقول ، **فقال لي** :خذ الأمر بالإيمان من فوق أوجه .....
ونازع إذا نفس أتتك تنازعولم أكن أعرف قائل هذا الشعر ، ولم يشر والدي إلى صاحبه ، حتى كان يوم اهتممت فيه برجالات التصوف ، وتجرّدت إرادتي لنشر

القصيدة العينية لعبد الكريم الجيلي ، فعملت على تحصيل نسخ مخطوطة لهذه القصيدة من أماكن متباعدة من العالم ، وحين قرأتها وجدت البيت الذي يطوف كثيرا في الذاكرة ، من ضمن أبياتها . .
فاطمأنت النفس لتمام السياق .
حصلت على حوالي الاثني عشرة صورة لمخطوطات للعينية ، وبعد النظر فيها قررت مقارنة تسع منها ، وإلغاء الباقي لأنه يثقل الحواشي دون فائدة تذكر . . وأنهيت المقارنة مع شرحي للقصيدة منذ حوالي ست عشرة سنة ، ولكن لم يأن أوان ظهورها إلا اليوم .

الخاتمة

نختم كلامنا على الجيلي وأسلوبه وقصيدته العينية بإظهار موقع الشعر عند الصوفي ، في إطار جدلية تاريخية بين الإسلام والشعر .
وأقول ، يلتقي أرسطو في تقديره للشعر برجالات الصوفية الكبار ، فهو يرى أن الشعر الحق تعبير عن الإنسانية الكاملة ، وعديد منهم في أصدق لحظة من حياتهم ، لحظة الموت ، نطق بالشعر ، إذ لم يجد ما يعبّر بشفافية عن جوهر إنسانيته إلا الكلام المقطّع الذي يتسع لكل أشكال " آه " النفس الانساني .
وعديد منهم أيضا ، محفوظة أخبارهم في كتب الطبقات ، أتلفهم بيت من الشعر ، حتى أضحت مسألة " الشعر والموت " ظاهرة صوفية في القرنين الثالث والرابع الهجريين .

وها هو أبو الحسين النوري يسمع قوّالا ينشد :

لا زلت أنزل في ودادك منزلا ..... تتحيّر الألباب عند نزوله

فيتواجد ، ويغيب في وجده عن جسده ، فيمشي الجسد على أرض أجمة قطع قصبها وبقيت أصوله أحدّ من السيف ، وظل يمشي مأخوذ الوعي يعيد بيت الشعر والدماء ترشح من قدميّه .
وكان ذاك الحادث سبب موته بعد ثلاثة أيام ، لم يكد يصحو فيها .
أما أبو علي الروذباري فإنه فتح عينيه في آخر لحظة ، **وقال :** هذه أبواب السماء قد فتحت ، وهذه الجنان قد زينّت .
وأنشأ يقول :

وحقّك لا نظرت إلى سواكا ..... بعين مودةّ حتى أراكا
أراك معذّبي بفتور لحظ ..... وبالخدّ المورّد من جناكا

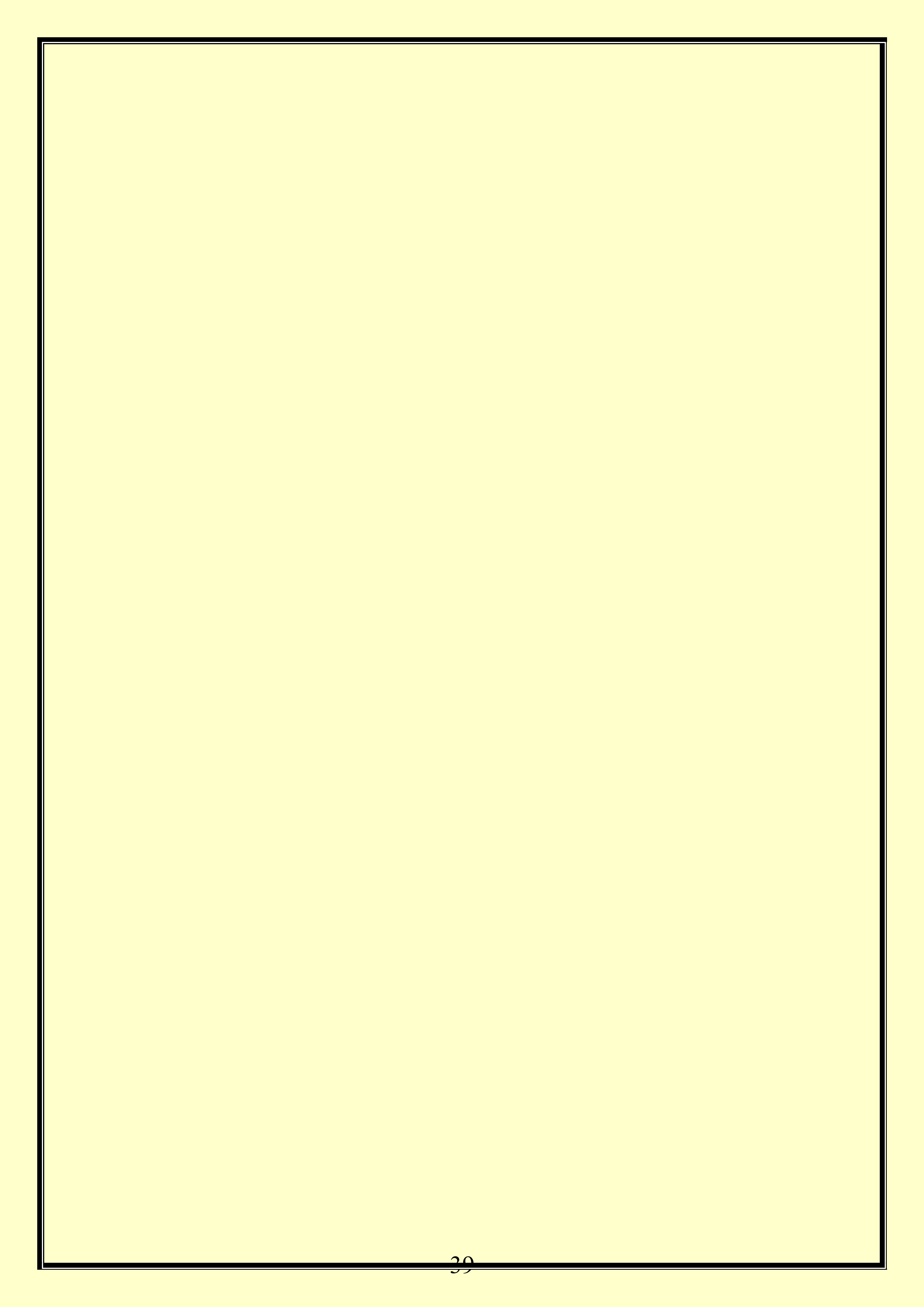
وآخر نفس لأبي سعيد الخراز قال فيه :

حنين قلوب العارفين إلى الذكر ..... وتذكارهم وقت المناجاة للسرّ
أديرت كؤوس للمنايا عليهم ..... فأغفوا عن الدنيا كإغفاء ذي السكر

هومهم جوّالة بمعسكر ..... به أهل ودّ الله كالأنجم الزّهر
فأجسامهم في الأرض قتلى بحبّه ..... وأرواحهم في الحجب نحو العلا تسري
فما عرّسوا إلا بقرب حبيبهم ..... وما عرّجوا عن مس بؤس ولا ضر
والشبلي ، حين قارب الرحيل ، وتأكد لديه الرجوع ، ظل طوال الليل يردد أبياتا للحلاّج . . لقد استطاع بعض الصوفية أن يحوّل أشد لحظات الإنسان فردية وهي لحظة الموت ، إلى لحظة صحبة ومشاركة .

فالحلاّج شارك الشبلي لحظة الموت عبر أبياته :
كل بيت أنت ساكنه ..... غير محتاج إلى السرج
وجهك المأمول حجّتنا ..... يوم يأتي الناس بالحجج

والحلاّج سار إلى لقاء ربه . وهو يردد أبياتا لأبي الحسن النوري ، ظل يقول :
ما أن ذكرتك إلّا همّ يقتلني ..... ذكري وسرّي وقلبي عند ذكراكا
حتى كأنّ منك يهتف بي ..... إيّاك ، إيّاك والتّذكار إيّاكا
أما ترى الحقّ قد لاحت شواهده ..... وواصل الكّل من معناه معناكا ؟
وأمام هذه الظاهرة الصوفية ، التي ترينا بأن الشعر - في لحظة ما ، وموضوع ما - أقدر من النثر على التعبير عن وجدان الصوفي وأفكاره وتجربته الجوانية . .
نقول بأننا نرجح أن تحرّك قصيدة الجيلي العينية ، وجدان وفكر شرائح متنوعة من الناس ، لا الإنسان الصوفي فقط ؛ ونرى :
إنها تهمّ الصوفي لما فيها من تصوير للحياة الروحية الأصيلة المؤيدة بروح القدس .
.
وتهم الشاعر الحديث لما تحويه أبياتها من فكر يؤكد على وظيفة الفن وعلاقة الأدب بالفلسفة . .
وتهم النحوي لما تضمّه من مفردات منحوتة من الحرف بقلم جريء . .
وتهم الفيلسوف ليقابل بين معطيات النظر والفكر وبين علوم المكاشفة الصوفية وتصورات الصوفي للألوهية والوجود والإنسان . .
وتهم الفقيه لما تقدم من إضافات هامة على مستوى ممارسة المسلم لعباداته ، وتظهر أسرارا مخبوءة في خزائن الأفعال . .
وتهم عالم العقيدة لأنها تكشف عن الكيفية التي يصوغ فيها الصوفي عقيدته في التوحيد ، ومراتب التوحيد لديه ، ومفهومه للذات والصفات والأسماء الإلهية .
ختاما . .
قد نقبل مقولات الجيلي أو نرفضها ، ولكن لا نستطيع أن نغفل عن حضوره في الفكر الصوفي عامة ، وفي الشعر الصوفي خاصة . .
إنه إلى الآن آخر الشعراء المبدعين قبل زمن التقليد .
د . سعاد الحكيم بيروت / شباط 2004



القصيدة العينية أو النادرات العينية في البادرات الغيبية العارف بالله عبد الكريم الجيلي شرح د. سعاد الحكيم

أولا معاناة الشاعر في الحب

(01) فؤاد به شمس المحبّة طالع ..... وليس لنجم العذل فيه مواقع
(02) صحا الناس من سكر الغرام وما صحا ..... وأفرق كلّ وهو في الحان جامع
(03) حميّا هواه عين قهوة غيره ..... مدام دواما تقتنيها الأضالع
(04) هوى وصبابات ونار محبّة ..... وتربة صبر قد سقتها المدامع
(05) أولّع قلبي من زرود بمائه..... ويا لهفي كم مات ثمّة والع
(06) ولي طمع بين الأجارع عهده ..... قديم ، وكم خابت هناك المطامع
(07) أيا زمن الرّند الّذي بين لعلع ..... تقضّى لنا ، هل أنت يا عصر راجع
(08) لقد كان لي في ظلّ جاهك مرتع ..... هنيّ ولي في الرّقمتين مراتع
(09) أجرّ ذيول اللهو في ساحة اللّقا ..... وأجني ثمار القرب وهي أيانع
(10) وأشرب راح الوصل صرفا براحة ..... تصفّق بالرّاحات منها الأصابع
(11) تصرّم ذاك العمر ، حتّى كأنّني ..... أعيش بلا عمر وللعيش مانع
(12) "مذ اغبرّ خضر العيش وابيضّ لمّتي ..... تسوّد صبحي فالدّموع فواقع
(13) وسرب من الغزلان ، فيهنّ قينة ..... لنا ، هنّ في سقط العذيب رواتع
(14) سفرن بدورا مذ قلبن عقاربا ..... من الشّعر خلنا أنّهنّ براقع
(15) رعى الله ذاك السّرب لي وسقى الحمى .... ولا ضيّعت سربي فإنّي ضائع
(16) صليت بنار أضرمتها ثلاثة ..... غرام وشوق والدّيار الشواسع

(1) فؤاد به شمس المحبّة طالع ..... وليس لنجم العذل فيه مواقع

المفردات :

المحبة : محبة الله ورسوله ، وهذه المحبة هي فريضة شرعية ويعتبرها الصوفية من أهمّ أصولهم .

طالع : أي طالعة ، ونرجّح أن الشاعر أورد اسم الفاعل " طالع " على التذكير باعتبار الشمس كوكبا .

العذل : اللوم .

مواقع : ج . موقع ، ومواقع النجوم هي موضع وقوعها .

المعنى :

منذ البداية يعرّفنا الجيلي بشخصيته الدينية ، إنه من العشاق الإلهيين ، وقلبه هو قلب عاشق طلعت في سمائه شمس المحبة الإلهيّة ، ثم ارتفعت فانفرد نورها على مساحة قلبه ساحقا الظلال كلها ، ماحيا بذلك مواقع نجوم اللائمين . . . لأن اللائم أو العاذل لا

يستطيع أن يندسّ إلا في الظل وبعيدا عن النور ، ليوسوس بما يتعارض مع كمال المحبة .

(2) صحا الناس من سكر الغرام وما صحا ..... وأفرق كلّ وهو في الحان جامع

المفردات :

السكر : هو من أحوال الصوفية ، وهو يتملّك خاصة صاحب الوجد ويأتي بعد الذوق والشرب .

فالمحب يتذوّق حلاوة ذكر محبوبه أولا ، ثم يشرب من ذكر المحبوب حتى يسكر بذكره ، ويغيب عن الحس والمحسوس طربا ونشوة.

الصحو : هو رجوع الإنسان إلى الحس والمحسوس بعد نشوته من شهود محبوبه وغيبته بهذا الشهود .

وأفرق كل : أي رجع إلى الفرق والتفرقة والصحو كل الذين سكروا .بكلام آخر ، كل من كان مستهلكا فانيا بشهود الحق ، فقد رجع إلى صحوه وشهوده للمخلوقات .

الحان : موضع بيع الخمر .

وهو في الحان جامع : أي وقلب الجيلي لا يفارق حال جمعه راجعا إلى التفرقة ، بل يقيم على السكر لا يصحو ، غائبا بشهود الحق عن النظر إلى غيره من المخلوقات .

المعنى :

إن كل الذين أسكرهم حبّهم لله ، وغيّبهم عن حسهم ومحسوسهم قد صحوا من سكرهم ورجعوا إلى شعورهم بحضور عالم المخلوقات ، إلا قلب الجيلي فإنه لا يصحو من سكره كما صحا الناس ، وكيف يصحو وهو لا يفارق الحان حيث تدار كؤوس خمر الحبيب ويشرب ؟ !

(3) حميّا هواه عين قهوة غيره ..... مدام دواما تقتنيها الأضالع

المفردات :

حميّا هواه : شدّة هوى القلب وحدّة عشقه .

قهوة : خمر .

مدام : خمر .

المعنى :

إن شدة حب الجيلي لله أسكرت قلبه كما تسكر الخمر شاربيها ، ولكنها خمر تقتنيها أضالع الجيلي ولا تفارقها أبدا ، لذا لا يصحو من السكر بها .

(4) هوى وصبابات ونار محبّة ..... وتربة صبر قد سقتها المدامع

المفردات :

هوى : الهوى عند الجيلي هو المرتبة الخامسة من مراتب انجذاب القلب إلى المحبوب ، فعندما يستحكم الشغف في الفؤاد ويأخذه عن كل شيء يسمى هوى [الإنسان الكامل ، 1 / 48] .
صبابات : ج ، صبابة . والصبابة من مفردات المحبة والعشق ، ويجعل الجيلي الصبابة في المرتبة الثالثة من انجذاب القلب إلى المحبوب ، فإذا اشتد الولع وزاد سمّي صبابة [م . ن] .
صبر : الصبر من مقامات السالكين عند الصوفية ، ولا تظهر حقيقة الصبر إلا عند نزول البلاء ، والبلاء هنا شوق وحب وحبيب لا يطال.

(5) أولّع قلبي من زرود بمائه ..... ويا لهفي كم مات ثمّة والع

<u>المفردات :</u>
أولّع قلبي : أغريه .
زرود : جبل رملي في الحجاز ، لعله سمي بذلك لإبتلاعه المياه التي تمطرها السحائب ، **زرود :** بلوع [معجم البلدان ، 3 / 139] ، وماء زرود هنا هو إشارة إلى مطلب عزيز .
كم مات ثمة والع : عبارة تشير إلى كثرة الطالبين وقلة الواصلين .
والوالع لغة : هو من أصابه شبه الجنون من الولع .
والجيلي يجعل الولع في المرتبة الثانية من انجذاب القلب إلى المحبوب ، إذ عندما يقوى جدا انجذاب القلب إلى محبوبه يسمّى ولعا [الإنسان الكامل ، 1 / 48] ، و " **موت الوالع** " هنا هو موت معنوي وليس موتا حسّيا .
وقد استعار الصوفيون صورة الموت الحسي البدني ليعبروا به عن مجاهداتهم في قمع أهواء النفس .
وهي استعارة صادقة لأن الإنسان يشعر كلما قتل شهوة من شهواته أو قمع رغبة من رغباته فكأنما هو يقتل جزءا منه .
<u>المعنى :</u>
يقول الجيلي : أغري قلبي بالوصول إلى ماء زرود ، ولكن يا لهفي ما أكثر الطالبين وما أقلّ الواصلين ، ويا خوف نفسي كم مات طالب والع ولم تبتلّ شفتاه بماء زرود .

(6) ولي طمع بين الأجارع عهده ..... قديم ، وكم خابت هناك المطامع

المفردات :
طمع : رجاء ، وفي الطمع هنا مع خوف الموت في البيت السابق إشارة إلى حالين من أحوال الصوفية هما الخوف والرجاء .
فالصوفي يستعين بالخوف والرجاء على قيادة نفسه على حد الإستقامة بين اليأس والاستهتار .

وذلك لأن النفس إذا سيطر عليها الخوف وقعت في اليأس ، وإذا سيطر عليها الرجاء أمنت واستهترت ، أما إذا تداخل خوفها ورجاؤها اعتدلت وسلمت .
الأجارع : ج . أجرع ، وهي الأرض الرملية الواسعة .
المطامع : ج . مطمع بمعنى الرجاء .
المعنى :
إن كثرة موت الوالعين لا تشيع اليأس في قلب الجيلي ، لأن رجاؤه في أن يكون من بين الشاربين قديم العهد . فكأن الجيلي موعود بالوصل ؛ لذلك مهما رأى من موت الطالبين لا يهاب ولا يرجع.

(7) أيا زمن الرّند الّذي بين لعلع ..... تقضّي لنا ، هل أنت يا عصر راجع
المفردات :
الرند : الآس أو عود طيّب الرائحة يتبخر به . لعلع : اسم موضع ، وقيل هو ماء بالبادية معروف [معجم البلدان ، 5 / ص 18 - 19] . يا عصر : يا زمن .
المعنى :
هنا يتمنى الجيلي عودة زمن الطيب والبخور الذي تقضّى في قرب المحبوب . وزمن الطيب هو الجنة المفقودة في كل علاقة ، والحنين إلى زمن الطيب هو حنين إلى وقت كانت فيه المحبة لا تزال في بداياتها ، صافية لم يجرحها التاريخ .

(8) لقد كان لي في ظلّ جاهك مرتع ..... هنيء ، ولي في الرّقمتين مراتع
المفردات :
مرتع : مكان الرتع وهو اللهو والتنعم . الرقمتين : الرّقمة مجتمع الماء في الوادي ، وقيل الرقمتان هما مكانان فيهما ماء واختلف في تحديد موضعهما ، ويبدو أنهما يقعان على الطريق ذاته الذي فيه لعلع والعذيب
.المعنى :
يفصّل الجيلي هنا تنعّمه في زمن الطيب ، وكيف كان هنيّ العيش لا تطاله الهموم لأنه يرتع مطمئنا إلى صفاء المحبة في ظل جاه محبوبه.

(9) أجرّ ذيول اللهو في ساحة اللّقا ..... وأجني ثمار القرب وهي أيانع
المفردات :
أجر ذيول اللهو : أي أمشي متبخترا لاهيا .
اللقا : اللقاء . **القرب** : لفظ القرب معرّفا هو اختصار لعبارة القرب الإلهي ؛ والقرب الإلهي هو حال يشهد فيه العبد قرب الله عزّ وجلّ منه ، وهو من صفات القلوب دون الأجسام ويكون على مراتب عند الصوفيين .

ثمار القرب : هي الطاعة ودوام الذكر والحضور مع الحق عزّ وجلّ وذلك لأن العبد عندما يشهد قرب الحق عزّ وجلّ منه يتقرب إليه ، ويجمع همّه على التقرب بدوام الذكر والحضور .

أيانع : ناضجة .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل تنعّمه في زمن الطيب ، أيام كان يمشي متبخترا لاهيا ، يشهد قرب الله عزّ وجلّ منه ، فيجتهد في مزيد من التقرّب ، وعندما كان هذا الشهود يثمر دوام ذكر وحضورا ومزيد طاعات كان الجيلي يسكن مراقبا أوان النضج والقطاف . ويؤكد هنا على أنه لا يعجل بقطاف ثمار القرب قبل نضوجها ، كما أنه لا يتكاسل عندما يحين القطاف . وفي ذلك تأكيد صوفي على مراقبة الوقت ، وعلى أن الصوفي هو ابن وقته ، يصبر ولا يستعجل الأمور حين يلزم الصبر ، ويعجل مع السابقين السابقين حين ينادي منادي الوقت .

(10) واشرب راح الوصل صرفا براحة ..... تصفّق بالرّاحات منها الأصابع

المفردات :

واشرب : الشرب مفرد خمري استعاره الصوفية للإشارة إلى مرحلة من مراحل العرفان ، فالبداية تذوّق وذوق ، والوسط شرب ، والنهاية ريّ . إذ تبدأ معرفة الصوفي بأن يتذوق موضوع عرفانه ، ثم في مرحلة وسطى يتجرّع ويشرب ، وفي النهاية تظهر عليه علامات الارتواء .

راح الوصل : خمر الوصال والقرب .

صرفا : بحتا خالصا غير ممزوج بما يغايره .

براحة : بارتياح .

تصفّق بالراحات : تصفّق بالأكف ، والرّاحات : ج . راحة .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل تنعّمه في زمن الطيب ، أيام كان يشرب خمر وصال محبوبه خالصة غير ممزوجة بكدر أو بهجران . . . يشرب مرتاحا حلاوة قرب لا يخالطها خوف بعد ولا صدّ . ويخبرنا كيف أن الشرب من خمر هذا القرب يسكره طربا فتتمايل منه الأطراف مصفّقة .

(11) تصرّم ذاك العمر ، حتّى كأنّني ..... أعيش بلا عمر وللعيش مانع

المفردات :

تصرم : انقضى وانقطع .

المعنى :

لقد انقضى عمر القرب وانقطع زمن الطيب ، فانقطع بذلك عيش الجيلي الحقيقي . وعيشه بعد ذلك الطيب ما هو إلا أيام تتقلّب في رتابة تتابع الليل والنهار ، وتجري مستقيمة في الزمن لا يلوّنها معنى من شباب أو شيخوخة ، من فرح أو حزن.

(12)مذ اغبرّ خضر العيش وابيضّ لمّتي ..... تسوّد صبحي فالدّموع فواقع

المفردات :

اغبرّ خضر العيش : إشارة إلى ذبول العيش وانطفاء جذوة الحياة ، فالعيش الأخضر أصبح أغبرا . وابيضّ لمّتي : المقصود ، ابيضّ شعر لمّتي ، واللمّة : هي الشعر المجاوز شحمة الأذن . فالدموع فواقع : ألوانها فاقعة ، والمقصود هنا أن الشاعر يبكي بدمع هو دماء خالصة الحمرة .

المعنى :

منذ انقضى زمن الطيب اغبرّ عيش الجيلي الأخضر ، وابيّض شعر لمته الأسود ، واسودّ فجر صبحه الأنور ، وأحمرّ دمعه الأبيض . . . وفي هذا البيت إشارة لطيفة للألوان ، إذ يجد الجيلي ان الألوان قد انسحبت من حياته وتركته باهت الوجود : عيشه أغبر ، شعره أبيض ، فجره أسود ، ولا لون إلا في الدم الأحمر المنسكب من عينيه .

(13) وسرب من الغزلان ، فيهنّ قينة ..... لنا ، هنّ في سقط العذيب رواتع

المفردات :

سرب : مجموعة .

الغزلان : ج . غزال ، ولعل الشاعر هنا يشير بالغزلان إلى الواردات الإلهية .

قينة : أمة مغنّية ، وأخذت القينة مع الشعراء دلالات جمالية ، فهي الفتاة الحسناء بغضّ النظر عن كونها حرة أو أمة ، مغنّية أو غير ذلك .

سقط : طرف .

العذيب : مكان ماء في الصحراء ، وهي منازل حجاج الكوفة [راجع معجم البلدان ، ج 4 / ص 92] .

المعنى :

لعل الجيلي هنا يصوّر تنزّل الالهامات الإلهية والواردات مستعيرا لها رمزا من عالم الحيوان هو الغزال ، المعروف بترائي جماله وندرة الإمساك به والحصول عليه لانسياب حركته . . ومن بين هذه الواردات الإلهية القادمة إلى عالم البشر ينظر الجيلي إلى واحدة يعلم أنها مخصصة له ، وأنها رزقه العرفاني .

ويمكن - أيضا - تأويل رمز " سرب الغزلان " بتجليات الأسماء الإلهية ، ونفهم منه أن الجيلي يشهد تجلي الأسماء الإلهية ويعلم أنه عبد اسم إلهي منها. . .

بالإضافة إلى الاقتراحين المتقدمين لتفسير عبارة " سرب الغزلان " بالواردات أو الأسماء الإلهية ، يمكن أن تكون صورة " سرب الغزلان " رمزا للحقائق ، وبذلك

يكون الجيلي قد استخدم صورة الغزال في عملية ترميزية مزدوجة ، إذ استفاد من كونه رمزا للمرأة كما هو المألوف الشعري العربي ، وفي الوقت نفسه يدل على " الحقيقة . . "
ويؤكد ما ذهبنا إليه أن الجيلي يستخدم رمز " المرأة " للدلالة على الحقيقة ، فيقول في البيت رقم 401 " فلما تزوجت الحقيقة صنتها " ، كما يروي مناما في بداياته ، نفهم من تفسير بعض الأولياء له أن الغزالة ترمز إلى الحقيقة [الكمالات الإلهية ، ق 58 ، مخطوط دار الكتب المصرية رقم 360 تصوف / نقلا عن غنيمي ص 135] .
باختصار ، سواء كان سرب الغزلان رمزا يشير إلى الواردات الإلهية أو الأسماء الإلهية أو الحقائق الوجودية ، فالنص الصوفي يظل مفتوحا على أكثر من قراءة يحتملها السياق .

(14) سفرن بدورا مذ قلبن عقاربا ..... من الشّعر خلنا أنّهنّ براقع

المفردات :

سفرن بدورا : كشفن وجوها هي كالبدور جمالا . **قلبن** : رددن وأزحن . **عقاربا من الشّعر** : الشيء المعقرب هو المعوج ، والمقصود هنا خصل الشعر الملفوفة المعوجة والمسدلة على الجبين . **براقع** : ج . برقع وهو الخمار

المعنى :

يشبّه الشاعر هنا عقارب الشعر على الجبين بالبراقع ، وهي حين تزاح عن الوجوه تكشف عن طلعات هي البدور جمالا . وهذه الإشارة إلى الكشف والجمال المستور تؤكد لدينا الظن بأن الجيلي أراد بالغزلان " الحقائق " المصانة خلف المظاهر .

(15) رعى الله ذاك السّرب لي وسقى الحمى ..... ولا ضيّعت سربي ، فإنّي ضائع

المفردات :

رعى الله : حفظ ، وفي الدعاء يقال : سقيا له ورعيا .
الحمى : موضع محمي من الناس .
ولا ضيّعت : جملة معترضة وهي دعاء يعني : اللهم لا تضيّع.

المعنى :

يسأل الجيلي هنا ربه عزّ وجلّ السقي والرعي للسرب والحمى ، كما يدعوه ألا تضيّع قينته المصانة سربه ، لأنها إن أضاعته فهو ضائع

(16) ليت بنار أضرمتها ثلاثة ..... غرام وشوق والدّيار الشواسع

المفردات :

صليت : أحرقت . **أضرمتها** : أشعلتها .

غرام : من أسماء المحبة ، وعند الجيلي تظهر علامة الغرام في المرتبة السادسة من مراتب انجذاب القلب إلى محبوبه ، ويقال للإنسان " مغروم " حين يستوفي " الهوى " حكمه على جسده [الإنسان الكامل ، 1 / 48] .

وشوق : الشوق ثمرة المحبة ، وقد اختلف الصوفيون في الشوق إلى الله تعالى ، فقبله بعضهم ومنهم الغزالي وجعله من الأحوال السنية ، وأنكره بعضهم بحجة أن الشوق إنما يكون لغائب ،

والدّيار الشواسع : المنازل البعيدة .

المعنى :

إذا كانت النار العادية الحارقة تشتعل من احتكاك حجرين ، فما بالك بنار أشعلها ثلاثة : **غرام الجيلي ، وشوقه ، وبعد الحبيب ؟**

ثانيا الأبيات من 17 إلى 29 معاناة الشاعر "الجيلي" في الحب وتعبيره بلغات الأولياء العاشقين

(17) يخيّل لي أنّ العذيب وماءه ..... منام ، ومن فرط المحال الأجارع
(18) فلا نار إلّا ما فؤادي محلّها ..... وما السّحب إلا ما الجفون تدافع
(19) ولا وجد إلا ما أقاسيه في الهوى ..... ولا الموت إلّا ما إليه أسارع
(20) فلو قيس ما قاسيته بجهنّم ..... من الوجد كانت بعض ما أنا قارع
(21) جفوني بها نوح وطوفانها الدّما ..... ونوحي رعد ، والزّفير اللوّامع
(22) وجسمي به أيّوب قد حلّ للبلا ..... وكم مسّني ضرّ وما أنا جازع
(23) وما نار إبراهيم إلّا كجمرة ..... من الجمر اللاتي خبتها الأضالع
(24) لسرّي في بحر الصّبابة يونس ..... تلقّمه حوت الهوى وهو خاشع
(25) وكم في فؤادي من شعيب كآبة ..... تشعّب مذ شطّت مزارا مرابع
(26) حكى زكريّا وهن عظمي من الضّنا ... أيحيا اصطباري وهو بالموت ناقع
(27) أيا يوسف الدّنيا لفقدك في الحشا ..... من الحزن يعقوب فهل أنت راجع
(28) أتينا تجار الذّلّ نحو عزيزكم ..... وأرواحنا المزجاة تلك البضائع
(29) فإن يك عطفا أنت أهل ، وأهله ..... أنا إن يكن دون العذيب موانع

شرح الأبيات :-

(17) يخيّل لي أنّ العذيب وماءه ..... منام ، ومن فرط المحال الأجارع

المفردات :

العذيب : مكان ماء في الصحراء . ومن فرط المحال
الأجارع : ومن المستحيل أن أجرع هذا الماء .

المعنى :

يبدأ الجيلي هنا بتفصيل أحواله ومشاعره وأحاسيسه وخواطره وهو تحت وطأة هذا الحب الذي صرّح به في البيت السابق ، حب هو نار أشعلها ثلاثة : غرامه وشوقه وبعد حبيبه . . .

وفي هذا البيت يغنّي الجيلي يأسه من وصال حبيب لا يطال ، ويقول ما معناه :
يخيّل إليّ أن العذيب وماءه ، أي الحبيب ووصاله ، هما من جنس المنام الذي لا يرى في اليقظة أبدا ، وأن ورود ماء الحبيب والشرب من كأسه هما من جنس المستحيل . . .

ولا تخفى على القارئ العلاقة التمثيلية بين الماء هنا كرمز للوصول والوصال وبين النار في البيت السابق كرمز للشوق والحرمان.

(18) فلا نار إلّا ما فؤادي محلّها ، ..... وما السّحب إلا ما الجفون تدافع

المفردات :

فلا نار : أي فلا نار تحرق حقيقة .

وما السحب : جمع سحاب الذي هو جمع سحابة ، فتكون سحب جمع الجمع ، والسحابة هي الغيمة التي يكون عليها المطر ، سميت بذلك لإنسحابها في الهواء .

المعنى :

يدّعي الشاعر هنا أن النار الحقيقية ، أي التي تشتعل وتحرق حقيقة ، هي فقط النار الموجودة في فؤاده ، وكل نار يراها الناس خارج فؤاده فإنما لها صورة النار وليست نارا ، أي لا تحرق .

وكما النار كذلك السحب ، فالسحب الحقّة الممطرة هي ما تدفعه جفونه من دموع .

(19) ولا وجد إلا ما أقاسيه في الهوى ..... ولا الموت إلّا ما إليه أسارع

المفردات :

وجد : الوجد - لغة - هو عذاب الحب والهيام .

والوجد عند الصوفيين يطلق على كل ما صادف قلب الإنسان دون تعمّد أو تكلّف من فزع أو غمّ أو رؤية معنى أو كشف حالة .

والوجد عندهم على مراتب ، وأكثر ما يرد على قلب الإنسان في حال الذكر .

فالروح تلتذ بالذكر ، ولكن عندما يشتد استغراقها فيه تغشى ، وغشيان الروح هذا من غلبة الذكر والشوق يسمونه الوجد .

ولا الموت : أي ولا الموت وجدا .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل أحواله وأحاسيسه في الحب ، ويدّعي أن الوجد الحقيقي هو ما يقاسيه من آلام الهوى ، وأنّ كل آلام الآخرين إنما هي صورة وجد وليست وجدا .

كذلك الأمر في الموت ، فالموت الحقيقي هو موته وجدا بمحبوبه وما عداه ليس له من الموت إلا الصورة .

(20) فلو قيس ما قاسيته بجهنّم ..... من الوجد كانت بعض ما أنا قارع

المفردات :-

ما أنا قارع : ما أعاني من الشدة والألم .

المعنى :

يخبرنا الشاعر هنا أن الوجد الذي اشتعل في فؤاده من الشوق والحب وبعد الحبيب أحرق وجوده ، وكان أشدّ هولا من نار جهنم . بل أهوال جهنم نفسها لا تقاس بما يقاسيه من الوجد .

(21) جفوني بها نوح وطوفانها الدّما ..... ونوحي رعد ، والزّفير اللّوامع

المفردات :

نوحي : النوح هو البكاء المصحوب بالصوت . وقد أقام الشاعر هنا جناسا لطيفا بين اسم النبي نوح عليه السّلام وبين نوح أي بكاء .

والزفير : إخراج النفس من الصدر .

اللوامع : البرق .

المعنى :

بعد أن غنّى الشاعر أوجاعه وشوقه وحرمانه وأحلامه المستحيلة وعهوده القديمة ، سوف يشير تباعا إلى ألوان بلائه بصور شعرية واستعارات ورموز تأخذ طاقتها من المخزون الوجداني لحياة الأنبياء ومعاناتهم ؛ يلمّح بذلك إلى أنه متبّع وليس مبتدعا .

وفي هذا البيت أتى الشاعر بصورة مبتكرة استحضرها من طوفان نوح عليه السّلام ، ليعبّر بها عن بكائه ونوحه وزفراته.

فكأن نوحا عليه السّلام مقيم في جفونه ؛ وغنيّ عن البيان أنه من هذا المكان فار التنور وأغرقت السماء كل شيء . . .

والرعد الذي صاحب الطوفان زمن نوح عليه السّلام يقابله بكاء الشاعر الذي يسمع صوته في الآفاق .

أما أنفاسه فهي البرق ، لأنه كلّما أخرجها من صدره ، اندفعت النار المشتعلة في أعماقه تلمع في زفيره .

(22) وجسمي به أيّوب قد حلّ للبلا ..... وكم مسّني ضرّ وما أنا جازع

المفردات :

للبلا : للبلاء ، والبلاء - لغة - هو الامتحان والاختبار .

وقد فرّق الصوفية بين الامتحان والبلاء ، فالامتحان هو أن يمتحن الله تعالى محبّيه وطالبيه بأنواع البلايا في قلوبهم ، كالخوف والحزن والقبض والهيبة ؛ وقد أخذ الصوفية الامتحان من قوله تعالى :"أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى"[الحجرات : 3] .

أما البلاء فهو أعلى عندهم من الامتحان ، لأن الامتحان يؤثر في القلب فقط على حين أنّ البلاء اسم للألم الذي يظهر على قلب المؤمن وجسده .

ووقوع البلاء لسالكي المتصوفة هو ضرورة منهجية ، لأنه يظهر أحوال الرجال ويفضح المدّعي ؛ فمن ابتلي وصبر وما شكا ، فهو نعم العبد .

والبلاء هو غير " الشقاء " الذي يصيب الكافرين والمعرضين عن الله عزّ وجلّ .

جازع : غير صابر ، والكلمة قرآنية من قوله تعالى : " إِنَّ الْإِنْسانَ خُلِقَ هَلُوعاً . إِذا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً" [المعارج : 19 و 20] .

المعنى :

يتابع الجيلي توليد رموزه من حياة الأنبياء ، آخذا من كل نبي أخصّ صفات شخصيته الدينية .
وهنا يتابع أيوب في صبره ، وهو الصابر بشهادة القرآن ، قال تعالى :"إِنَّا وَجَدْنَاهُ صابِراً نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ"[ص : 44] .
فكأن جسم الجيلي قد صار مسكنا لأيوب وصبره ، يواجه بلاء الحب دون خوف ولا جزع .

(23) وما نار إبراهيم إلّا كجمرة ..... من الجمر اللاتي خبتها الأضالع

المفردات :

الجمر : جمع . جمرة ، جمعت قياسا للضرورة الشعرية . والجمر هو النار المتقدة .
خبتها : خبّأتها أي سترتها ، وقد خففت الهمزة فأصبحت ألفا مقصورة وحذفت لاتصالها بتاء التأنيث .

المعنى :

أن النار التي ألقي فيها بإبراهيم عليه السّلام وعلى حجم وقودها ، ليست في المثال إلا كجمرة من الجمرات التي أوقدها الحب في أضالع الجيلي.

(24) سرّي في بحر الصّبابة يونس ..... تلقّمه حوت الهوى وهو خاشع

المفردات :

لسري : السرّ من المفردات التي لم يشرحها الصوفية بل أشاروا إلى أنها لطيفة الأعماق ويقارب معناها الروح .
ولكننا نقول ، إن مفرد السر هو اختصار لعبارة : **السر الإلهي** ؛ وإن كل إنسان يشتمل تكوينه على سر إلهي ، تلقته الإنسانية حين نفخ الله عزّ وجلّ في آدم من روحه .
تلقمه : ابتلعه لقمة واحدة .
خاشع : ساكن ، خاضع .

المعنى :

يشبّه الجيلي هنا هواه وغرامه بحوت ابتلع سرّه المستغرق في بحر الصبابة ، وأحاط به من كل جهاته ، وسرّه الآن ساكن خاضع متضرع يلفّه حوت الهوى من كل جانب .
أما صورة الحوت والبحر والسر الساكن الخاضع فقد استنبطها الجيلي ، من حياة نبي الله يونس عليه السّلام ، يقول تعالى ":فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ"[الصافات : 142].

(25) وكم في فؤادي من شعيب كآبة ..... تشعّب مذ شطّت مزارا مرابع

المفردات :

كآبة : من مفردات الحزن ، والحزن من الأحوال عند الصوفية ، وهو لا يضادّ السعادة ، فالسعيد قد تحلّ فيه أحوال من الحزن ويظل سعيدا وحزينا معا ، وإنما الحال الذي يقابل الحزن ويضاده فهو الفرح .
تشعّب : تشعب فؤادي بمعنى تفرّق وتصدّع .
شطّت مزارا : بعدت زيارة . مرابع : ج . مربع ، وهو الموضع الذي يقام فيه زمن الربيع خاصة ، وهنا الإشارة إلى ديار الحبيب
المعنى :.
لكأنما تتسرب كآبة نبي الله شعيب عليه السّلام إلى فؤاد الجيلي ، فيمتلأ بها .
وها هو يتصدّع همّا منذ بعدت زياراته لمرابع الحبيب المفرحة .

(26) حكى زكريّا وهن عظمي من الضّنا ..... أيحيا اصطباري وهو بالموت ناقع
المفردات :
حكى : شابه . وهن : ضعف .
الضنا : شدة المرض .
اصطباري : الإصطبار هو استدعاء الصبر . والصبر من مقامات الصوفية . [را . شروحات البيت رقم 4] .
ناقع : دائم وثابت .
المعنى :
في البيت إشارة إلى النبي زكريا عليه السّلام الذي بلغ من الكبر عتيا واشتعل رأسه شيبا ، [أنظر الآية الكريمة "قالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي"[مريم : 4] ، ورغم ذلك أحيا الله اصطباره بغلام اسمه يحيى .
ويتأوه الشاعر : إن بدنه قد شابه زكريا عليه السّلام في الضعف والوهن ولكن هل يختم الله عزّ وجلّ له بالحياة بعد إقامته في الموت ، كما ختم لزكريا بيحيى وتصلّب الكبر يتسرب إلى بدنه ؟
ويظهر في هذا البيت أيضا إبداع الجيلي اللغوي في استفادته من تشابه الحروف لإقامة مطابقات وإيحاءات بين المعاني ، فاسم العلم يحيى يوحي بصفة الحياة ، ويمثل في قصة النبي زكريا عليه السّلام استمرار حياة الآباء في الأبناء . . .

(27) أيا يوسف الدّنيا لفقدك في الحشا ..... من الحزن يعقوب ، فهل أنت راجع
المفردات :
الحشا : ما دون الحجاب مما في البطن كله ، والمقصود هنا بعض ما فيه أي الكبد ، وهو موضع العشق عند الشعراء .
الحزن : الحزن من أحوال الصوفية ، وهو انقباض يقع لقلب السالك يمنعه من الشرود في أودية الغفلة [را جع .شروحات البيت رقم 25] .

"" شروحات البيت رقم 25 : **الكآبة** من مفردات الحزن ، والحزن من الأحوال عند الصوفية ، وهو لا يضادّ السعادة ، فالسعيد قد تحلّ فيه أحوال من الحزن ويظل سعيدا وحزينا معا ، وإنما الحال الذي يقابل الحزن ويضاده فهو الفرح .
لكأنما تتسرب كآبة نبي الله يعقوب عليه السّلام إلى فؤاد الجيلي ، فيمتلأ بها .
وها هو يتصدّع همّا منذ بعدت زياراته لمرابع الحبيب المفرحة . ""

المعنى :
استعار الجيلي جمال النبي يوسف عليه السّلام وأطلقه على محبوبه محولا الاسم إلى صفة ، فمحبوبه هو جمال الدنيا .
وهنا يناديه على عادة العشاق في تأوهاتهم " أيا يوسف الدنيا " ، بمعنى أي أيا جمال الدنيا ، إن كبدي تمزقت من الحزن لفقدك ، كما تمزقت كبد يعقوب عليه السّلام حين غاب عنه وجه يوسف ، فهل ترجع كما رجع يوسف ؟ !

(28) أتينا تجار الذّلّ نحو عزيزكم ..... وأرواحنا المزجاة تلك البضائع

المفردات :
تجار الذل : الذل من صفات العبد والعزة لله وحده ، والصوفي يتذلل لله وحده ويتواضع للناس .
عزيزكم : استخدم الشاعر هنا لفظ عزيز كأسم وكصفة ، فقصد بالاسم يوسف عليه السّلام وورّى بالصفة عن محبوبه .
واسم عزيز أصله عزيز مصر أي حاكمها ، وهو اسم يوسف عليه السّلام حين استلم خزائن مصر . قال تعالى :"فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قالُوا يا أَيُّهَا الْعَزِيزُ" [يوسف : 88] .
المزجاة : المطروحة بين أيديكم والمعروضة أمامكم .
ويحتمل معناها أيضا قول **ثعلب :** بضاعة مزجاة أي فيها إغماض لم يتمّ صلاحها .

المعنى :
يخاطب الجيلي محبوبه بما معناه : إننا نشبه معا ، أنت وأنا ، يوسف عزيز مصر والتجار .
فأنا تاجر ذليل قدمت نحوكم أيها العزيز ، وطرحت أمامكم روحي التي لم تبلغ بعد مرتبة كمالها .

(29) فإن يك عطفا أنت أهل ، وأهله ..... أنا إن يكن دون العذيب موانع

المفردات :
أنت أهل : بمعنى أنت أهل لأن تعطينا بعدلك ما يحقّ لنا من العطف .
العذيب : تصغير العذب وهو الماء الطيب [وانظر شروحات البيت رقم 13].
"" شروحات البيت رقم 13 **العذيب :** مكان ماء في الصحراء ، وهي منازل حجاج الكوفة ..

ومن بين هذه الواردات الإلهية القادمة إلى عالم البشر ينظر الجيلي إلى واحدة يعلم أنها مخصصة له ، وأنها رزقه العرفاني . ""

موانع : جمع . مانع ، وهو الحاجز الذي يمنع من الوصول والارتواء .

المعنى :

يستعطف الجيلي محبوبه قائلا : إن استحققنا العطف [وضمير الجمع يعود إلى نحن التجار ، ثم يتسع ليشمل كافة المستعطفين] .

فأنت أيها العزيز عادل ولن تحرمنا حقنا منه ، وإن لم نستحقّ العطف فأنت أيها العزيز كريم فتتصدق علينا فضلا منك لأننا أهل للصدقة .

ثالثا الأبيات من 30 إلى 69 توجّه الشاعر "الجيلي" إلى محبوبه بوصف حاله في العشق ومكانة معشوقه لديه

(30) فكلّ الّذي يقضيه فيّ رضاكم ..... مرامي وفوق القصد ، ما أنا صانع
(31) تلذّ لي الآلام إذ أنت مسقمي ..... وإن تمتحنّي فهي عندي صنائع
(32) تحكّم بما تهواه فيّ فإنّني ..... فقير لسلطان المحبّة طائع
(33) حببتك ، لا لي ، بل لأنّك أهله ..... وما لي في شيء سواك مطامع
(34) فصل إن ترى أودع وعدّ عن اللّقا ..... وأوعد وعد أو عد فها أنا قانع
(35) تمكّن مني الحبّ فانمحق الحشا ..... وأتلفني الوجد الشّديد المنازع
(36) وأشغلني شغلي بها عن شواغلي ..... وأذهلني عنّي الهوى والهوامع
(37) وقد فنيت روحي بقارعة الهوى ..... وأفنيت عن محوي بما أنا قارع
(38) وقام الهوى عندي مقامي فكنته ..... وغيّبت عن كوني فعشقي جامع
(39) غرامي غرام لا يقاس بغيره .... ودون هيامي للمحبّين مانع
(40) غرامي والتّبريح للروح لازم ..... وسقمي والآلام للجسم تابع
(41) ولوعي وأشجاني وشوقي ولوعتي ..... لجوهر ذاتي في الغرام طبائع
(42) فشوقي نار والهوى : فهو الهوا..... وتربي والما : ذلّتي والمدامع
(43) يلوم الورى نفسي لفرط جنونها ..... وليس بأذني للملام مسامع
(44) ومذ أحشاي حبّيك إنّني ..... لسهم قسيّ النّائبات مواقع
(45) وما لي إن حلّ البلاء التفاتة ..... وما لي إن جاء النّعيم مراتع
(46)وما أنا من يسلو ببعض غرامه ..... عن البعض ، بل بالكلّ ما أنا قانع
(47) وشوقي ، ما شوقي ، وقيت فإنّه ..... جحيم له بين الضّلوع فراقع
(48) وبي كمد لو حمّلته جبالها ..... لدكّت برضواها وهدّت صوامع
(49) ولي كبد حرّاء من ظمأ بها ..... عليك ، ولم يبرد غليلا مصانع
(50) يخيّل لي أنّ السماء على الثّرى ..... طبقن وأنّي بين ذلك واقع
(51) ونفسي نفس ، أيّ نفس ، أبيّة ..... ترى الموت نصب العين وهي تسارع
(52) فهمّي وفهمي ، ذا عليك ، وفيك ذا ..... وجدّي ووجدي زآئد ومتابع
(53) وعزمي وزعمي أنّه فوق كلّ ما ..... يراد ، وظنّي إنّما هو نافع
(54) تسامر عيناي السّها بسهادها ..... وتسأل بل ما سال إلّا المدامع
(55) ويرقب مني الطّيف جفني دجنّة ..... وكم زاره طيف وما هو هاجع
(56) ويخبرني عنك الصّبا وهو جاهل ..... فتلتذّ من أخباركم لي مسامع
(57)إذا زمزمت ورق على غصن بانة ..... وجاوب قمريّ على الأيك ساجع
(58) فأذني لم تسمع سوى نغمة الهوى ..... ومنكم فإنّي لا من الطّير سامع
(59) ومن أيّ أين كان إن هبّ ضائع ..... فلي فيه من عطر الغرام بضائع
(60) وإن زمجر الرّعد الحجازيّ بالصّفا ..... وأبرق من شعبي جياد لوامع

(61) يصوّر لي الوهم المخيّل أنّ ذا ..... ثناك وهذا من ثناياك ساطع
(62) فأسمع عنكم كلّ أخرس ناطقا ...... وأبصركم في كلّ شيء أطالع
(63) إذا شاهدت عيني جمال ملاحة ..... فما نظري إلا بعينك واقع
(64) وما اهتزّ من قدّقنا تحت طلعة ..... من البدر أبدت أم خبتها البراقع
(65) ولا سلسلت أعناقها بغرامها ..... تصافيف جعد خطّهنّ وقائع
(66) ولا نقّطت خال الملاحة بهجة ..... على وجنة ، إلّا وحرفك بارع
(67) فأنت الّذي لي فيه يظهر حسنه ..... به ، لا بنفسي ، ما له من ينازع
(68) وإن حثّ جلدي من كثيف خشونة ..... فلي فيه من ألطاف حسنك رادع
(69) تخذتك وجها والأنام بطانة ..... فأنجمهم غابت وشمسك طالع

شرح الأبيات :-

(30) فكلّ الّذي يقضيه فيّ رضاكم ..... مرامي وفوق القصد ، ما أنا صانع

المفردات :

يقضيه : يحكم به ، وينفذه ، ويمضيه .
مرامي : مطلبي .
فوق القصد : أكثر من المراد .
ما أنا صانع : ليس لي صنع .

المعنى :

يقول الجيلي ، إنني أرضى بكل ما ترضونه لي من قضاء ، ولست بصانع لأمر ، ولا أطلب تغييرا ولا تبديلا ، بل ها أنا ساكن تحت مجاري الأقدار.
وفي البيت تأكيد على معنى الرضا عند الصوفية ، وأصله الرضا عن مراد الله تعالى في كل ما قضى وقدّر .
والرضا يتدرج في أقوال الصوفية من عدم الاعتراض على القضاء ، إلى التسليم لقضاء الله تعالى ورفع الاختيار ، **إلى سكون القلب بمعنى سروره بالقضاء .**
وقد أتي الجيلي هنا برفع الاختيار وبسكون القلب تحت مجاري الأقدار ، وفي البيت اللاحق سنرى سرور القلب بالمقدور .

(31) تلذّلي الآلام إذ أنت مسقمي ..... وإن تمتحنّي فهي عندي صنائع

المفردات :

إذ أنت مسقمي : لأنك أنت مسقمي وممرضي .
واستخدم الجيلي " إذ أنت " ، وإذ : ظرفية زمنية ، ليشير إلى وقوع السقم ، أي عندما أنت تسقمني وتمرضني .
وإن تمتحنّي : تختبرني .

والامتحان عند الصوفية من مستلزمات السلوك ، لأنه اختبار يكشف حقيقة أعماق السالك وادعاءاته من ناحية ، ويكشف عن مقدراته وطاقاته ومدى رسوخه أمام عظائم الأمور من ناحية ثانية . [انظر " **بلاء** " ، شروحات البيت رقم 22] .

"" **بلاء** في شروحات البيت رقم 22 : البلاء - لغة - هو الامتحان والاختبار .
وقد فرّق الصوفية بين الامتحان والبلاء ، فالامتحان هو أن يمتحن الله تعالى محبّيه وطالبيه بأنواع البلايا في قلوبهم ، كالخوف والحزن والقبض والهيبة ؛ وقد أخذ الصوفية الامتحان من قوله تعالى :"أُولئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوى"[الحجرات : 3] .
أما البلاء فهو أعلى عندهم من الامتحان ، لأن الامتحان يؤثر في القلب فقط على حين أنّ البلاء اسم للألم الذي يظهر على قلب المؤمن وجسده .
ووقوع البلاء لسالكي المتصوفة هو ضرورة منهجية ، لأنه يظهر أحوال الرجال ويفضح المدّعي ؛ فمن ابتلي وصبر وما شكا ، فهو نعم العبد .
والبلاء هو غير " الشقاء " الذي يصيب الكافرين والمعرضين عن الله عزّ وجلّ.""
صنائع : جمع . صنيعة ، وهي المعروف والخير .
المعنى :
يقول الجيلي ؛ إنني مريض وبما أنك ممرضي فالآلام تلذلي . وإن اختبرتني في هواك فأنا ثابت على عشقك لا أتغير .
والامتحان هنا أو الآلام ، هو صنيعة ومعروف ، لأن المؤمن إذا ثبت صابرا وشاكرا عند الامتحان ، أضيف ذلك إلى
جميل أعماله ، يقول ذو النون المصري [اللمع : 307] : " ومن لم يعدّ البلاء نعمة فليس من الحكماء " .
ويؤكد الصوفية على أن العاشق يثبت عند الامتحان أكثر مما يثبت المؤمن الصالح أو السالك المريد ، لأن العاشق مأخوذ بالنظر إلى معشوقه لا يلتفت إلى ما يعاني بدنه أو روحه من آلام .

(32) تحكّم بما تهواه فيّ فإنّني ..... فقير لسلطان المحبّة طائع

المفردات :
تحكّم بما تهواه فيّ : أي إفعل فيّ ما تريد .
فقير : الفقر هو الحاجة .
ويرى الصوفيون إن الفقر هو صفة كل المخلوقات ، فكل موجود سوى الله تعالى هو فقير بوجه من الوجوه.
فليس في الوجود إلا غنيّ واحد هو الله تعالى ، وكل من عداه فقراء إليه .
حتى أضحى لفظ " فقير " اسم علم على المتصوف والسالك في القرنين الثالث والرابع الهجريين .
المعنى :

يخاطب الجيلي محبوبه قائلا : أحكم وتحكّم فيّ ، وليمتدّ سلطان هواك على جميع ذاتي ، فأنا عاشق ساكن تحت تجلّيات قهر محبتك وسلطانها .

(33) حببتك ، لا لي ، بل لأنّك أهله ..... وما لي في شيء سواك مطامع

المفردات :

بل لأنك أهله : أي أحببتك لأنك أهل للحب . ويسمي الصوفية هذا النوع من الحب بالحب الذي يستوجبه مقام المحبوب ، في مقابل الحب الانساني الذي يطمح فيه الإنسان بامتلاك محبوبه . وقد كان لرابعة العدوية فضل السبق في ترسيخ هذين النوعين من الحب الإلهي : حب الهوى ، والحب الذي يستوجبه المحبوب لذاته ومقامه ، فأنشدت :

أحبّك حبين حبّ الهوى ..... وحبّا لأنك أهل لذاكا

المعنى :

يواصل الجيلي خطاب محبوبه فيقول : أحببتك لا لتكون لي ، بل لأن مقامك استوجب حبا فأحببتك .

وها هي نفسي الآن فارغة عن أي طلب ، لأنها - من جهة - منعت من الطمع في امتلاكك ؛ وهي - في الأصل ومن جهة ثانية - زاهدة في كل ما عداك لم تطمع يوما في سواك.

(34) فصل إن ترى أو دع وعدّ عن اللّقا ..... وأوعد وعد أو عد فها أنا قانع

المفردات :

فصل : فعل أمر من وصل ، بمعنى صلني ولا تهجرني .

دع : اترك . واهجر .

وعدّ عن اللقا : تجاوز عن اللقاء .

وأوعد : من الوعيد وهو للتخويف والشر ، وهنا أوعد بالهجر .

وعد : فعل أمر من وعد ، والوعد للخير وهنا الوعد بالقرب والوصل .

عد : ارجع ، أي ارجع عن وعدك بالقرب

المعنى :.

يتابع الجيلي المعنى السابق فيقول : ها أنا قانع بكل ما تفعل بي من وصل وهجر ، من وعد بالقرب أو وعيد بالهجر .

(35) تمكّن مني الحبّ فانمحق الحشا ..... وأتلفني الوجد الشّديد المنازع

المفردات :

فانمحق : فامحّى وذهب . والمحق في اللغة الصوفية هو فناء العبد في الحق . ويميز الصوفية بين أنواع ثلاثة من الفناء هي الطمس والمحو والمحق .

فالطمس هو فناء صفات العبد في صفات الحق ، والمحو فناء أفعال العبد في فعل الحق ، والمحق هو فناء العبد في الحق .

واتلفني : أهلكني وأفناني ، والتلف عند الصوفيين هو ما ينتظر منه الهلاك في الحين .
الوجد : ما يلاقيه القلب من شديد العشق [راجع . شروحات البيت رقم 19] .
"" شروحات البيت رقم 19 : يتابع الجيلي تفصيل أحواله وأحاسيسه في الحب ، **ويدّعى أن الوجد الحقيقي** هو ما يقاسيه من آلام الهوى ، وأنّ كل آلام الآخرين إنما هي صورة وجد وليست وجدا .
كذلك الأمر في الموت ، فالموت الحقيقي هو موته وجدا بمحبوبه وما عداه ليس له من الموت إلا الصورة""
المنازع : المميت .
المعنى :
يتابع الجيلي وصف أثر الحب على كينونته فيقول : تمكّن الحب من أعماق قلبي فمحقها ، وأكمل الوجد فناء قلبي فأتلفه بعد محق .

(36) وأشغلني شغلي بها عن شواغلي ..... وأذهلني عنّي الهوى والهوامع
المفردات :
وأذهلني عني : غيّبني عن الإحساس بوجودي . والذهول من مقامات الوجد عند الصوفيين .
قال الواسطي : " **مقامات الوجد أربعة** : الذهول ، ثم الحيرة ، ثم السكر ، ثم الصحو " [راجع . عوارف المعارف . السهروردي . ص 527] .
وجعل بعضهم وصول سر السالك إلى مقام الذهول من علامات الاتصال [م . ن ، ص 516] .

الهوامع :همع بمعنى سقط من مكان عال ، والهوامع هنا تشير إلى كل ما يهبط على الشاعر العاشق من صور تجليات محبوبه ، أو من أحوال وواردات .
المعنى :
يتابع الجيلي وصف أحواله فيقول : أخذني اشتغالي بالمحبوب عن كل شيء سواه ، وغيّبني حبي وما يتجلى لي من صور المحبوب عن نفسي وعن إحساسي بوجودي.

(37) وقد فنيت روحي بقارعة الهوى ..... وأفنيت عن محوي بما أنا قارع
المفردات :
فنيت روحي : تلفت وذهبت ، والفناء في اصطلاح المتصوفين هو أن يفنى الإنسان عن الأشياء كلها شغلا بما فني به ، والفاني لا يشعر بنفسه ولا بشيء من لوازمها ، لأن احساسه هو مع ما أفناه .
وإذا قيل فني الإنسان عن نفسه وعن الخلق ، فنفسه والخلق موجودون ولكنه لا يشعر بهم . **بقارعة الهوى :** بما يصيبني من شديد الهوى وعظيمه ، والقارعة الأمر

العظيم . **وأفنيت عن محوي :** وغيّبت وذهلت عن محوي ، ويستعير الصوفيون صورة المحو الحسي ليعبروا به عن فناء صور الإنسان وأفعاله وأحواله مع بقاء وجوده ، لأن المحو هو ذهاب كيفية الشيء مع بقاء وجوده ، تماما كما نمحو الكتابة عن اللوح فتذهب الكتابة ويبقى اللوح .
بما أنا قارع : بما أحس وأشعر .
المعنى :
يتابع الجيلي وصفه للتدرج في أحوال العشق ويصل في هذا البيت إلى الفناء والمحو . فيقول : محيت روحي لما نزل بي من الغرام الشديد ، وغبت عن هذا المحو بما أعانيه من أهوال الهوى .

(38) وقام الهوى عندي مقامي فكنته ..... وغيّبت عن كوني فعشقي جامع
المفردات :
وغيّبت : الغيبة هي غيبة القلب عن علم ما يجري من أحوال الخلق لإشتغال الحس بما يرد عليه .
عن كوني : عن وجودي الكائن المحسوس .
فعشقي جامع : العشق عند الجيلي هو آخر مراتب انجذاب القلب إلى محبوبه ، ذلك أنه إذا طفح الإنجذاب حتى أفنى المحبّ والمحبوب سمي عشقا ، وفي هذا المقام يرى العاشق معشوقه فلا يعرفه .
وهذا آخر مقامات الوصول والقرب ، فيه ينكر العارف معروفه فلا يبقى عارف ولا معروف ولا عاشق ولا معشوق ، ولا يبقى إلا العشق وحده .
فهو ، أعني العشق ، في ابتداء ظهوره يفني العاشق حتى لا يبقي له اسما ولا رسما . فإذا امتحق العاشق وانطمس ، أخذ العشق في فناء المعشوق والعاشق [راجع . الإنسان الكامل ، 1 / 48 - 49] .
جامع : أي يبقى العشق وحده ولا عاشق ولا معشوق .
المعنى :
بعد الفناء والمحو في البيت السابق يتابع الجيلي وصف فنائه وفناء معشوقه وبقاء العشق .
فيقول : إنه في مرحلة أولى سحقه حبّه لمحبوبه ومحقه ، ثم احتل هذا الحب كيانه فكان هو عين حبه لمحبوبه .
وفي مرحلة ثانية غيّبه العشق عن ذاته وعن كونه عين حبه لمحبوبه ففني عاشق ومعشوق ، ولم يبق إلا العشق .

(39) غرامي غرام لا يقاس بغيره ..... ودون هيامي للمحبّين مانع
المفردات :
هيامي : هام يهيم هياما أي انشغل بالمحبوب ، ولم يعي سواه .

المعنى :

بعد أن وصف الجيلي تدرّجه في مراتب العشق يباهي هنا بتفرّده بين العشاق ،
فيقول : تفرّد غرامي في العشق فلا يقاس به ، ولا يصل إلى هيامي هائم لأن دون ذلك موانع لا يستطيع تجاوزها .
وهذا معنى يتردد كثيرا عند عشاق المتصوفة ويتكرر في أشعارهم ، فكل عاشق منهم يعلن بأن غرامه لا يقاس بغيره ، وأنه لا يصل إلى هيامه محبّ .
يقول ابن الفارض في المعنى نفسه
:يحشر العاشقون تحت لوائي ..... وجميع الملاح تحت لواكا

(40) غرامي والتّبريح للروح لازم ..... وسقمي والآلام للجسم تابع

المفردات :

والتبريح : التعذيب والشدة ؛
وتباريح الشوق : توهجه .
لازم : ملازم ، لا يفارق .

المعنى :

يخاطب الجيلي محبوبه ، قائلا ؛ هذه روحي لا يفارقها غرامي وتوهّج شوقي إليك ، وهذا بدني لا تفارقه الأمراض والآلام.

(41) ولوعي وأشجاني وشوقي ولوعتي ..... لجوهر ذاتي في الغرام طبائع

المفردات :

ولوعي : الولع هو المرتبة الثانية للمحبة حيث يقوى ويشتد انجذاب القلب إلى محبوبه ؛ [راجع . شروحات البيت رقم 5] .
"""" شروحات البيت رقم 5 : **يقول الجيلي :** أغري قلبي بالوصول إلى ماء زرود ، ولكن يا لهفي ما أكثر الطالبين وما أقلّ الواصلين ، ويا خوف نفسي كم مات طالب والع ولم تبتلّ شفتاه الماء . """"
وأشجاني : وأحزاني . **طبائع :** ج . طبيعة .

المعنى :-

يقول الجيلي هنا ؛ إن جوهر ذاته في الغرام يتكون من عناصر أربعة هي :
الولع ، والشجن ، والشوق ، واللوعة .

(42) فشوقي : نار والهوى : فهو الهوا ..... وتربي والما : ذلّتي والمدامع

المفردات :

فهو الهوا : فهو الهواء ، أي عنصر الهواء .
والما : والماء .

المعنى :

الشاعر هنا يفصل الصورة التي أجملها في البيت السابق .
فكما أن الطبيعة التي عنها تكوّن الوجود تتألف من عناصر أربعة هي **الماء والهواء والنار والتراب** .
كذلك جوهر وجوده تكوّن من طبيعة غرامه بعناصرها الأربعة :
فشوقه يقابل عنصر النار .
وهواه يقابل عنصر الهواء .
وذلته تقابل عنصر التراب.
ودموعه تقابل عنصر الماء .

(43) يلوم الورى نفسي لفرط جنونها ..... وليس بأذني للملام مسامع

المفردات :

الورى : الخلق ، المخلوقات .
فرط جنونها : شدته ، والجنون هنا ليس سببه فساد مزاج أدى إلى المرض العقلي المعروف ، بل اشتهر مجانين الصوفية بأنهم قوم انحجبت عقولهم القائمة على تدبير حياتهم ومعاشهم بما فجأهم من الحق .
ويسميهم ابن الجوزي في صفة الصفوة :
عقلاء المجانين ، والبهاليل [جمع : بهلول] ، والمجانين الإلهيين [جمع . مجنون إلهي] .

المعنى :

يشتكي الجيلي اللوم واللائمين ، فيقول :
إن المخلوقات كلها تلومني لأنني مهيّم بالحب ، مجنون عن دنياي ومعاشي .
وها هي أذني وإن امتلكت مسامع تستقبل كل صوت في الكون ، إلا أنها تجرّدت عن مسامع تسمع بها لوما على الحب والحبيب .
يضيف الجيلي هنا إلى التمييز المعروف بين عضو السمع وحاسة السمع موضوعا جديدا ، وهو أن حاسة السمع عنده تتمتع باستقلالية وطاقة نقدية .!!
فهي ليست مجرد أداة استقبال تسمع كل ما يعرض لها ، بل تنتقي وتقبل وترفض ، وهي خليّة عن مسامع تستقبل ملامة في الحب .

(44) ومذ أوترت أحشاي حبّيك إنّني ..... لسهم قسيّ النّائبات مواقع

المفردات :

أوترت : جعلتها وترا ، والوتر هو الرقم المفرد وأوله " الثلاثة . "
أحشاي : إشارة إلى الكبد مركز الحب [راجع . شروحات البيت رقم 27]
"" شروحات البيت رقم 27 : استعار الجيلي جمال النبي يوسف عليه السّلام وأطلقه على محبوبه محولا الاسم إلى صفة ، فمحبوبه هو جمال الدنيا .

وهنا يناديه على عادة العشاق في تأوهاتهم " أيا يوسف الدنيا " ، بمعنى أي أيا جمال الدنيا ، إن كبدي تمزقت من الحزن لفقدك ، كما تمزقت كبد يعقوب عليه السّلام حين غاب عنه وجه يوسف ، فهل ترجع كما رجع يوسف؟! ""

حبّيك : إشارة إلى الحبين الواردين في قول رابعة ، **وهما :**

حب الهوى ، وحب التعظيم والإجلال الذي يستحقه مقام المحبوب .

تقول رابعة : " أحبك حبين :حب الهوى وحبا لأنك أهل لذاك " .

قسي : جمع . قوس . **النائبات :** المصائب

مواقع : جمع . موقع وهو مكان وقوع السهم .

المعنى :

يتابع الجيلي شكواه ، فيخاطب محبوبه قائلا ؛ أحبّك حبين :

حب الهوى وحب التعظيم .

وجاءت احشاي العاشقة لتثلّث حبّيك ، فأحشاي وحبّيك ثلاثة أي وتر . . . .

ومنذ ثلّثت أحشاي حبيّك أصبحت هدفا لسهم المصائب والبلايا .

(45) وما لي إن حلّ البلاء التفاتة ..... ومالي إن جاء النّعيم مراتع

المفردات :

مراتع : ج : مرتع وهو موضع الرتع واللهو والتنعم .

المعنى :

ومهما أصاب الجيلي من حبه ، فكلّه لحبيبه ويخاطبه قائلا ؛ إن حبك استغرقني كلي فلم يعد يهمني بلاء ، ولم يعد يشغلني نعيم .

(46) وما أنا من يسلو ببعض غرامه ..... عن البعض ، بل بالكلّ ما أنا قانع

المفردات :

يسلو : من السلوان أي النسيان.

المعنى :

يقول الجيلي ؛ لست ممّن يرضيه تحقيق بعض أمانيه ومطالبه ، ويثنيه ذلك عن طلب الباقي من أمانيه ، وذلك أن أكثر الناس تجد تعويضا في عطاء عن عطاء .

أمّا أنا ، فلو اتفق لي أن تتحقق كل أمانيّ ، لا أقنع ولا أرضى لأنها لا تعوضني عن محبوبي .

(47) وشوقي ، ما شوقي ، وقيت ، فإنّه ..... جحيم له بين الضّلوع فراقع

المفردات :

وقيت : تعوّذ بمعنى : وقاني الله .

فراقع : جمع . فرقعة ، وهو الصوت الناتج من احتراق ؛ وهنا الإشارة إلى فرقعة نار الجحيم .

المعنى :
يتابع الجيلي كلامه عن حبه ، ويشرح هنا شوقه ، فيقول ؛ وشوقي ما أدراك ما شوقي ، وقاني الله الجحيم ، إنه جحيم تسمع فرقعة ناره المشتعلة بين الضلوع .

(48) وبي كمد لو حمّلته جبالها ..... لدكّت برضواها وهدّت صوامع

المفردات :
كمد : من مفردات الحزن والحزن من أحوال الصوفية [شروحات البيت رقم 27] .
"" شروحات البيت رقم 27 : استعار الجيلي جمال النبي يوسف عليه السّلام وأطلقه على محبوبه محولا الاسم إلى صفة ، فمحبوبه هو جمال الدنيا .
وهنا يناديه على عادة العشاق في تأوهاتهم " أيا يوسف الدنيا " ، بمعنى أي أيا جمال الدنيا ، إن كبدي تمزقت من الحزن لفقدك ، كما تمزقت كبد يعقوب عليه السّلام حين غاب عنه وجه يوسف ، فهل ترجع كما رجع يوسف؟! ""
جبالها : جبال الدنيا . **لدكت :** لتهدّمت وتفتّتت .
برضواها : بما فيها جبل رضوى ، وهو جبل صلب متماسك الحجارة منه يقطع حجر المسنّ ويحمل إلى الدنيا ، وهو يبعد عن المدينة المنورة سبع مراحل [البلدان 3 / 51] .
صوامع : ج . صومعة وهي بناء يسكنه الرهبان ، ونرجح أن الشاعر أشار إليه على اعتبار أنه يقع غالبا في رؤوس الجبال ويبنى من صلب الحجار حتى يثبت أمام عوامل الزمن .

المعنى :
يكمل الجيلي كلامه في الحب ، ويشرح هنا كمده ، فيقول ؛ إن الكمد الذي أحمله لو حمّل لجبال الدنيا لتفتّتت حتى جبل رضوى الصلب المتماسك يتفتت ، وحتى الصوامع المبنية من صلب الحجار تهدّ وتتهدم .

(49) ولي كبد حرّاء من ظمأ بها ..... عليك ، ولم يبرد غليلا مصانع

المفردات :
حرّاء : محرورة ، ملتهبة .
غليلا : عطشا .
مصانع : جمع . مصنع ومصنعة وهي أحباس تتخذ للماء.

المعنى :
بعد الحب والشوق والكمد يخاطب الجيلي محبوبه شاكيا عطشه إليه ، فيقول:
لي كبد عطشى إليك ، محرورة من عطشها إليك ، ولا يبرد لهيبها كل المياه الموجودة في محابسها من الأرض.

(50) يخيّل لي أنّ السماء على الثّرى ..... طبقن ، وأنّي بين ذلك واقع

المفردات :

الثرى : التراب النديّ ، الأرض .

طبقن : وردت بصيغة الجمع إشارة إلى السماوات ، وإن كان الجيلي قد جاء بها مفردة للضرورة الشعرية .

بين ذلك : بين السماء والثرى .

المعنى :

يتابع الجيلي وصف أحواله في الحب ، فيقول : يخيل إليّ أن السماوات طبقن على الأرض ، وأنا واقع بينهما

(51) ونفسي نفس أيّ نفس أبيّة ..... ترى الموت نصب العين وهي تسارع

المفردات :

أيّ نفس : بمعنى يا لها من نفس .

المعنى :

مهما عانى الجيلي في الحب فهو صاحب نفس أبيّة لا تتراجع أمام أهوال الحب ومشاقّه ، ويخاطب محبوبه شارحا حال نفسه .

قائلا : ونفسي الأبية ، يا لها من نفس ، لا تتراجع عن طلب محبوبها . ترى موتها منصوبا أمام أعينها ومع ذلك تسارع إليه

(52) فهمّي وفهمي ذا عليك وفيك ذا ..... وجدّي ووجدي زآئد ومتابع

المفردات :

فهمّي : الهمّ وهو قبلة نظر القلب عند الجيلي ، يقول في [الإنسان الكامل ج 2 / ص 14] : " إن وجه القلب يكون دائما إلى نور في الفؤاد يسمى الهمّ وهو محل نظر القلب ، (و) الهم لا يكون له في القلب جهة مخصوصة .

فمن الناس من يكون همّه أبدا إلى فوق كالعارفين .. ويكون معنى " **فهمّي عليك** " ، أي لا يتوجه قلبي إلا إليك .

وفهمي : من الفهم ، وقد اختصر الصوفية موقف الإنسان العقلي بالفهم. يقول إبراهيم الخواص [اللمع 298] : " والفهم صفوة العقل " .

والمحاسبي في كتابه " ماهية العقل وفهم القرآن " يبيّن أن الفهم هو الظاهرة العقلية الأهمّ . وفي رأيي أن هذا الموقف الصوفي مفهوم ، لأن الصوفي لا يستنبط علومه عقليا ؛ بل هو يقف أمام نص ليفهمه أو يقف أمام إلهام أو وارد ليفهمه

وجدّي : واجتهادي ونشاطي .

ووجدي : وما أجده من شدة غرامي [راجع : وجد في شروحات البيت رقم 19]

"" وجد في شروحات البيت رقم 19 : الوجد - لغة - هو عذاب الحب والهيام .

والوجد عند الصوفيين يطلق على كل ما صادف قلب الإنسان دون تعمّد أو تكلّف من فزع أو غمّ أو رؤية معنى أو كشف حالة .
والوجد عندهم على مراتب ، وأكثر ما يرد على قلب الإنسان في حال الذكر .
فالروح تلتذ بالذكر ، ولكن عندما يشتد استغراقها فيه تغشى ، وغشيان الروح هذا من غلبة الذكر والشوق يسمونه الوجد . ""
زائد : يتزايد دائما . **متابع :** يتتابع دون انقطاع ، مستمر دائم
المعنى :
يخاطب الجيلي محبوبه شارحا كلية انشغاله به ، فيقول :
قلبي لا يتوجه نظره إلا إليك ، وعقلي لا ينشغل فهمه إلا فيك .
وهذا حال عقلي وقلبي وهو حال مستمر دائما متتابع لا يفتر ، بل على العكس يتزايد اجتهادي في الوصول إليك ويتتابع غرامي وشوقي إليك دون انقطاع

(53) وعزمي وزعمي أنّه فوق كلّ ما ..... يراد ، وظنّي إنّما هو نافع
المفردات :
وعزمي : العزم هو عقد النية وإرادة الفعل .
وزعمي : الزعم هو القول يكون حقا أو باطلا .
المعنى :
يقول الجيلي رغم أن جده ووجده يتزايد ويتتابع باستمرار إلا أنه يعلم يقينا أن محبوبه لا يطال ويعلو على كل مراد . لكن ومع أن محبوبه لا يطال إلا أن الظن ينفع صاحبه ، لقوله تعالى في الحديث القدسي : " أنا عند ظن عبدي فليظن بي ما شاء "

(54) تسامر عيناي السّها بسهادها ..... وتسأل ، بل ما سال الّا المدامع
المفردات :
تسامر : من السمر ، وهو حديث الليل خاصة .
السها : كويكب صغير خفي الضوء يمتحن الناس به أبصارهم .
بسهادها : السهاد هو الأرق وعدم النوم ، والسهر من أركان الطريق عند المتصوفين ، **يقول المكي :** بني طريقنا على أربع : **الجوع والسهر والصمت والعزلة**.
المعنى :
يبدأ الجيلي بوصف سهره ، فيقول ؛ أسهر الليل أتحدث إلى كويكب السها ، أسائله عن محبوبي ، بل أبكي له بدموعي السائلة . وفي البيت طباق لطيف بين سأل وسال ، وبين سائل بمعنى مستفهم وسائل بمعنى جار

(55) ويرقب مني الطّيف جفني دجنّة ..... وكم زاره طيف وما هو هاجع
المفردات :

ويرقب : بمعنى يراقب ، والمراقبة في لغة المتصوفين هي حال يحصّلونه بعد المحاسبة ، يتلخّص بأن يراقب الإنسان قلبه فلا يدعه يغفل لحظة عن العلم بأن الله مطّلع عليه في جميع أحواله .
الطّيف : الخيال .
دجّنّة :ظلمة .
هاجع : نائم ، والهجوع هو النوم ليلا .
المعنى :
يتابع الجيلي تصوير سهره ، فيقول ؛ يترقب طيفي انطباق ظلمة الليالي على الكون ، ينام الناس ويسهر هو [أي طيف الجيلي] مراقبا أطياف زائريه التي تجده صاحيا فتمدّه بالعطاء ، ويتلقّى عنها .

(56) ويخبرني عنك الصّبا وهو جاهل ..... فتلتذّ من أخباركم لي مسامع
المفردات :
الصبا : نسيم تغنّى به الشعراء .
مسامع : جمع . مسمع ، وهو مدخل الكلام في الأذن . والجدير بالذكر أن المسامع عند الجيلي نراها تتمتع بإرادة مستقلة وها هي هنا تلتذ بذكر المحبوب كما كانت في البيت (رقم 43) صماء عن كل لوم .
المعنى :
الصوفي ملتهب المشاعر فيما يختص بمحبوبه ، وقد وقف عليه كل حواسه يسمع به وعنه وله فقط ، ويلتذ سمعه بكلامه إذا حضر وبذكره إذا غاب.
حتى قال ابن الفارض : " كلامه وكلام عنه يطربني " .
والجيلي هنا يفهم أخبار محبوبه من النسيم ، فتلتذ مسامعه وينتشي من ذكر حبيب حمله النسيم وهو لا يعلم بما يحمل .

(57) إذا زمزمت ورق على غصن بانة ..... وجاوب قمريّ على الأيك ساجع
المفردات :
زمزمت : الزمزمة هي صوت خفي لا يكاد يفهم ، والعصفور يزمّ بصوت له ضعيف.
ورق : جمع . ورقاء وهي الحمامة ذات السمرة .
بانة : البان شجر يسمو ويطول ، واحدته بانة .
قمري : طائر يشبه الحمام القمر البيض .
الأيك : الشَّجر الكثير الملتفّ . نوع من الشجر .
ساجع : سجع الحمام بمعنى هدل .
المعنى :
انظر معنى البيت اللاحق **""** إذا زمزمت ورق أو جاوب قمري فأذن الجيلي لم تسمع أصواتا بل سمعت معنى العشق الذي تبادله هذان الطائران في هديلهما .

وإن كان سمع الجيلي يتجاوز رنين الصوت إلى معنى العشق الموجود في هديل الطائرين . ولا يكون سماعه لمعنى العشق مصدره الطير بل يسمع من المحبوب نفسه وليس من الطير. """

(58) فأذني لم تسمع سوى نغمة الهوى ..... ومنكم فإنّي لا من الطّير سامع

المفردات :

لم تسمع : إشارة إلى السمع والسماع عند المتصوفين ، فالصوفي يتواجد عند سماعه صوتا ويخرج بوجده من المقيّد إلى المطلق ، أي من الكون إلى الله عزّ وجلّ .
فقد يسمع مثلا منشدا أو قوّالا يناجي حبيبته ويناديها ، فيرتفع بالمعاني من المخلوقات إلى الخالق ، ويسمو بسماعه حتى لا يبقى إلا مخاطب ومخاطب .
بمعنى أنه يسمع المعاني وكأنها ترد عليه من الحق ، أو يسمع المعاني كأنه هو الذي يخاطب بها الحق .

المعنى :

إذا زمزمت ورق أو جاوب قمري فأذن الجيلي لم تسمع أصواتا بل سمعت معنى العشق الذي تبادله هذان الطائران في هديلهما .
وإن كان سمع الجيلي في الشطر الأول تجاوز رنين الصوت إلى معنى العشق الموجود في هديل الطائرين .
فالجيلي في الشطر الثاني يرفض أن يكون سماعه لمعنى العشق مصدره الطير بل هو يسمع من المحبوب نفسه وليس من الطير

(59) ومن أيّ أين كان ، إن هبّ ضائع ..... فلي فيه من عطر الغرام بضائع

المفردات :

أين : الأين شجر حجازي واحدته أينة .
والأين أيضا : المكان .
إن هبّ ضائع : إن تضوّعت وانتشرت ريح طيبة .

المعنى :

كلما انتشرت ريح طيبة فإنها لا تقيّد مشامّ الجيلي ، بل يتجاوزها إلى الأخذ عن محبوبه . فهو لم يشم عطر الريح الطيبة ، بل شمّ منها عطر حبّه لمحبوبه.

(60) وإن زمجر الرّعد الحجازيّ بالصّفا ..... وأبرق من شعبي جياد لوامع

المفردات :

الصفا : مكان مرتفع من جبل أبي قبيس بينه وبين المسجد الحرام عرض الوادي [م . البلدان 3 / 411 - 412] .
شعبي جياد : مفردها شعب وهي الطريق بين الجبلين ، وجياد جبل معروف بمكة [راجع . م . البلدان 2 / 195] .

لوامع : جمع . اللمع وهو البرق .

المعنى :

إذا سمع الجيلي زمجرة الرعد الحجازي في الصفا ، أو شاهد التماع البرق من شعبي جبل جياد ، يصوّر له الوهم أن الرعد هو ثناء على المحبوب ومديح له ، ويخيل له أيضا أن البرق هو التماع ثنايا المحبوب

[و انظر معنى البيت اللاحق] .

"" إذا سمع الجيلي زمجرة الرعد يصوّر له خياله أن الرعد هو ثناء على المحبوب ومديح له ، ويخيل له أيضا أن البرق هو التماع ثنايا المحبوب .

ولعل سماع الجيلي للرعد على أنه مديح وثناء نجد مرجعه في الآية الكريمة: "وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ" [الرعد : 13] .

أما النور واللوامع فالله عزّ وجلّ هو نور السماوات والأرض ولا عجب إن ذكّر كل نور مخلوق بالنور القديم الأزليّ ""

(61) يصوّر لي الوهم المخيّل أنّ ذا ..... ثناك ، وهذا من ثناياك ساطع

المفردات :

ثناك : الثناء هو المدح .

ثناياك : واحدتها ثنية من السن ، وثنايا الإنسان في فمه هي الأربع التي في مقدم فيه ؛ ثنيّتان من فوق ، وثنيتان من أسفل .

المعنى :

إذا سمع الجيلي زمجرة الرعد الحجازي في الصفا ، أو شاهد التماع البرق من شعبي جبل جياد ، يصوّر له الوهم أن الرعد هو ثناء على المحبوب ومديح له ، ويخيل له أيضا أن البرق هو التماع ثنايا المحبوب .

ولعل سماع الجيلي للرعد على أنه مديح وثناء نجد مرجعه في الآية الكريمة: "وَيُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ" [الرعد : 13] . . .

أما النور واللوامع فالله عزّ وجلّ هو نور السماوات والأرض ولا عجب إن ذكّر كل نور مخلوق بالنور القديم الأزليّ

(62) فأسمع عنكم كلّ أخرس ناطقا ..... وأبصركم في كلّ شيء أطالع

المعنى :

يسمع الجيلي كل أخرس ناطقا بكمالات محبوبه ، بمعنى أنه يسمع ما هو أخرس في حكم الظاهر كالجماد والنبات وهو يخبره عن كمال محبوبه وجماله وجلاله .

وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى :"وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ"[الإسراء : 44] .

كما أنه يبصر وجه محبوبه في كل ما ينظر إليه .

وله في الآية الكريمة مرجع وسند .

قال تعالى :"فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ" [البقرة : 115].

(63) إذا شاهدت عيني جمال ملاحة ..... فما نظري إلا بعينك واقع

المفردات :

بعينك : عين الشيء نفسه وذاته .

المعنى :

يقول الجيلي أنه إذا عرض جمال أو ملاحة أمام عينيه ، فإن نظره لا يقع إلا على محبوبه ؛ بمعنى أن الجيلي لا يتقيد بالصور الجميلة بل ينفذ منها ومن كل جمال مقيد إلى البديع الأزلي ، واهب الجمال لكل جميل في الكون.

(64) وما اهتزّ من قدّ قنا تحت طلعة ..... من البدر أبدت أم خبتها البراقع

المفردات :

قد قنا : أي قدّ أو قامة نحيفة كالقنا ، وهي الرماح ، واحدتها : قناة .

تحت طلعة من البدر : تحت وجه كالبدر .

أبدت : أظهرت .

خبتها : خبأتها ، سترتها .

المعنى :

انظر معنى البيت رقم (66)

""" ينسلخ الجيلي عن كل جمال مشهود ، ويخاطب ربه ، قائلا ؛ كلما تحركت قامة نحيلة ممشوقة ، تحمل وجها كالبدر يسطع سواء أأخفته البراقع أم أبدته وكشفته . فأنا لا أرى في كل هذا الجمال إلا صنعك وصنيعك الظاهر يا رب """

(65) ولا سلسلت أعناقها بغرامها ..... تصافيف جعد خطّهنّ وقائع

المفردات :

سلسلت : جعلتها سلاسل .

تصافيف : جمع . تصفيف ، وهو الشعر المصفف

. خطهن : موقعهن ، ميدانهن .

وقائع : جمع . وقعة ووقيعة وهي الحرب والقتال أو المعركة .

المعنى :

كلما سلسلت تصافيف شعر أجعد عنق صاحبته ، وكان في تصفيف هذه الخطوط وهذه التجعيدات مقاتل للناس .

(66) ولا نقّطت خال الملاحة بهجة ..... على وجنة ، إلّا وحرفك بارع

المفردات :

خال : شامة سوداء .
وحرفك بارع : الحرف هو اللغة والخطاب ، وحرفك بارع **بمعنى :** وخطابك أو وصنعك ظاهر .
المعنى :
ينسلخ الجيلي عن كل جمال مشهود ، ويخاطب ربه ، قائلا ؛ كلما تحركت قامة نحيلة ممشوقة ، تحمل وجها كالبدر يسطع سواء ألخفته البراقع أم أبدته وكشفته .
وكلما سلسلت تصافيف شعر أجعد عنق صاحبته وكان فيه مقاتل للناس . .
وكلما نقط الخال ملاحة على وجنة . .
فأنا لا أرى في كل هذا الجمال إلا صنعك وصنيعك الظاهر يا رب

(67) فأنت الّذي لي فيه ، يظهر حسنه ..... به ، لا بنفسي ، ما له من ينازع
المفردات :
ينازع : يجاذب بالحجج ويخاصم .
المعنى :
يخاطب الجيلي محبوبه قائلا : " **فأنت** " ، يريد الحقّ عزّ وجلّ ، الذي يظهر حسنه في كل جميل وبديع من الكائنات .
يتجلى جمالك يا رب في كل جميل ساحقا للمخلوق فلا يقوم مدّعيا جمالا .
ويرى **الجيلي** أن جمال الحق وإن ظهر في المخلوق إلا أنه يظهر منزّها عن مشاركة الأغيار غير ممزوج بشبه الأشكال والكائنات .
ولا تستطيع صورة مهما حسنت أن تنازع الله عزّ وجلّ في نسبة الجمال إليها ؛ فالجمال لله وحده وليس للصور الجميلة منه شيء.

(68) وإن حثّ جلدي من كثيف خشونة ..... فلي فيه من ألطاف حسنك رادع
المفردات :
حثّ : لامس وأحس .
المعنى :
يتابع الجيلي نجواه لربه ، فيقول :
إن لامس جلدي خشونة جسم خشن فأنا لا أحسّ خشونته لأن ألطاف حسنك يا رب تردع عني كل إحساس بالأجسام ، سواء أكانت لطيفة أم خشنة .
باختصار ، إن تصدّى لي أي مخلوق من عالم المخلوقات وحاول أن يشغلني بجماله وحسنه عنك يا رب ، تردعني ألطاف حسنك وجمالك.

(69) تخذتك وجها والأنام بطانة ..... فأنجمهم غابت وشمسك طالع
المفردات :
تخذتك : أي اتخذتك مع حذف الهمزة من أولها .

وجها : أصلا ظاهرا .
والأنام : الخلق ، المخلوقات .
بطانة : البطانة ما بطن من الثوب فلا يظهر للناس.
المعنى :ـ
يتابع الجيلي نجواه لربه ، فيقول ؛ أنت يا رب عندي أصل كل شيء والظاهر في كل شيء وفوق كل شيء .
اتخذتك ظاهرا فقهر ظهورك الخلق جميعا فبطنوا وخفوا ، وغابت أنجمهم .
وذلك أنه حين يتجلى نور الحق تغيب نجوم الخلق ، تندكّ وتصعق .
* * *

رابعا من البيت 70 إلى 112 : أسرار الشريعة

(70) فديني وإسلامي وتقواي : أنّني ..... لحسنك فان ، لآئتمارك طائع
(71) إذا قيل قل " لا " قلت غير جمالها ..... وإن قيل " إلا " قلت حسنك شائع
(72) أصلّي إذا صلّى الأنام وإنّما ..... صلاتي بأني لإعتزازك خاضع
(73) أكبّر في التحريم ذاتك عن سوى ..... واسمك تسبيحي إذا أنا راكع
(82) وتجريد نفسي عن مخيط صفاتها ..... بوصفك إحرامي عن الغير قاطع
(83) وتلبيتي أنّي أذلّل مهجتي ..... لما منك في ذاتي من الحسن لامع
(84) كأنّ صفات منك تدعو إلى العلا ..... لذاتي ، فلبّت فاستبانت شواسع
(85) فتركي لطيبي والنّكاح فإنّ ذا ..... صفاتي ، وذا ذاتي فهنّ موانع
(86) وإعفاء حلق الرّأس ترك رياسة ..... فشرط الهوى أنّ المتيّم خاضع
(87) إذا ترك الحجّاج تقليم ظفرهم ..... تركت من الأفعال ما أنا صانع
(88) وكنت كآلات وأنت الّذي بها ..... تصرّف بالتقدير ما هو واقع
(89) وما أنا جبريّ العقيدة ، إنّني ..... محبّ فنى فيمن خبته الأضالع
(90) فها أنا في تطواف كعبة حسنها ..... أدور ، ومعنى الدّور أنّي راجع
(91) ومذ علمت نفسي صفاتك سبعة ..... فأعداد تطوى في حماك سوابع
(92) أقبّل خال الحسن في الحجر الّذي ..... لنا من قديم العهد فيه ودائع
(93) ومعناه أنّ النّفس فيها لطيفة ..... بها تقبل الأوصاف ، والذات شائع
(94) وأستلم الركن اليمانيّ ، إنّه ..... به نفس الرّحمن والنّفس جامع
(95) وأختم تطواف الغرام بركعة ..... من المحو عمّا أحدثته الطّبائع
(96) ترى هل لموسى القلب من زمزم اللّقا ..... مراضع ، لا حرّمن تلك المراضع
(97) فتذهب نفسي في صفاء صفاتكم ..... لتسعى بمروى الذّات وهي تسارع
(98) فليس الصّفا إلا صفائي ومروتي ..... بأنّي عن تحقيق حقّي صادع
(99) وما القصر إلّا عن سواكم حقيقة ..... ولا الحلق إلّا ترك ما هو قاطع
(100) ولا عرفات الوصل إلا جنابكم ..... فطوبى لمن في حضرة القرب راتع
(101) على علمي معناك ضدّان جمّعا ..... ويا لهفي ضدّان كيف التّجامع
(102) بمزدلفات في طريق غرامكم ..... عوائق من دون اللّقا وقواطع
(103) فإن حصل الإشعار في مشعر الهوى ..... وساعد جذب العزم فالفوز واقع
(104) على مشعر التّحقيق عظّمت في الهوى ..... شعائر حكم أصّلتها الشّرائع
(105) وكم من منى لي في منى حضراتكم ..... ويا حسراتي والمحسّر شاسع
(106) رميت جمار النّفس بالروح فانثنت ..... جهنّمها ماء وصاحت ضفادع
(107) وأبدل رضوان بمالك وانتشى ..... بها شجر الجرجير والغصن يانع
(108) ففاضت على ذاتي ينابيع وصفها ..... وناهيك صرف الحقّ تلك الينابع
(109) فطفت طوافا للإفاضة بالحمى ..... وقمت مقاما للخليل أبايع

(110) فمكّنت من ملك الغرام وها أنا ..... مليك وسيفي في الصّبابة قاطع
(111) وحقّقت علما واقتدارا جميع ما ..... تضمّنه ملكي ، وما لي منازع
(112) فلمّا قضينا النسك من حجّة الهوى ..... وتمّت لنا من حيّ ليلى مطامع

شرح الأبيات :-

(70) فديني وإسلامي وتقواي : أنّني ..... لحسنك فان ، لآئتمارك طائع
المفردات :
لحسنك فان : إشارة إلى الفناء الصوفي ، والمقصود أن تجليات الحسن الإلهي أفنت الجيلي وأخرجته عن الشعور بنفسه وبأي شيء من لوازمها .
لأئتمارك : لأمرك .
أئتمر : أطاع الأمر .
طائع : إشارة إلى " الطاعة " عند الصوفيين ، وذلك أن الطاعة عندهم هي من مستلزمات المحبة ، لأن المحب لمن يحب مطيع [راجع الغزالي إحياء علوم الدين . كتاب المحبة].
المعنى :
يخاطب الجيلي ربّه مؤكدا على أن الدين عنده هو عهد الطاعة والفناء ، فيقول ؛ إن ديني وإسلامي وتقواي كل ذلك هو عين طاعتي لأوامرك ، وعين فنائي أمام ظهور تجليات حسنك .
ونلاحظ أن الجيلي في الأبيات القادمة سيفصّل ذكر الأركان الإسلامية الخمسة : الشهادتين ، والصلاة ، والصوم ، والزكاة ، والحج .
ويبين أن العاشق الفاني يؤدي هذه الأركان على غير الصورة والروح التي يؤديها فيها المكلف المؤمن غير العاشق . . . .
فعندما يعشق إنسان الحقّ عزّ وجلّ يعبده على غير المعنى الذي يعبده فيه غيره من الناس .
وقد فصّل الجيلي العبادات وإشاراتها ورموزها في كتابه الإنسان الكامل [ج 2 / ص 86 - 89] فأتي تقريبا على نفس معاني هذه القصيدة نثرا
ويؤكد الجيلي على أنه مهما ترقى الإنسان في مراتب العشق والشهود يظل التزامه بالأركان والعبادات مستمرا ، وهذا هو الفرق بين الصوفي العاشق وبين الدخيل المشعوذ . [راجع الإنسان الكامل ، ج 2 / ص 41 - 42] .

(71) إذا قيل : قل (لا) قلت: غير جمالها .....وإن قيل: (إلا) قلت : حسنك شائع
المفردات :
قل (لا) : " لا " إشارة إلى لا النفي الواردة في كلمة التوحيد ، أي " لا إله ".

جمالها : جمال الحضرة الإلهية .
إلا : " إلا " إشارة إلى استثناء الإثبات الموجود في كلمة التوحيد ، أي " إلا الله " .
المعنى :
يبيّن الجيلي مذهبه في " سر كلمة الشهادة " في كتابه الإنسان الكامل [ج 2 / ص 87] : " اعلم أنه لما كان الموجود منقسما بين خلق حكمه السلب والانعدام والفناء ، وحقّ حكمه الإيجاد والوجود والبقاء ، كانت كلمة الشهادة مبنية على سلب وهي : لا ، وإيجاب وهي : إلا . **معناه : لا وجود لشيء إلا الله .** "
وهنا في هذا البيت ، يشهد هذا الصوفي العاشق الفاني بأنه : لا جمال غير جمال الحضرة الإلهية إلا حسنها الشائع الذي يراه - العاشق لله - أينما يولّي وجهه .

(72) أصلّي إذا صلّى الأنام وإنّما ..... صلاتي بأني لإعتزازك خاضع
المفردات :
لإعتزازك : لعزتك .
المعنى :
يبدأ الجيلي بشرح صلاته ، صلاة العاشق ، فيقول ؛ إذا نادى المنادي للصلاة لبّيت وأقمت صلاتي مع الأنام ، ولكن وإن حصل الجمع في مكان واحد وزمان واحد وصف واحد وإمام واحد ، إلا أن صلاتي تأخذ معاني مختلفة عن صلاة الأنام لأن كل قول وكل فعل فيها يشير إلى خضوع العبد للمعبود . . . أصلي .
أي أترجم بكل قول من صلاتي ، وبكل فعل من حركة وسكون فيها ، خضوعي لعزتك يا رب العالمين .
والجيلي بعد ذلك سيفصّل أسرار الأفعال والأقوال الواجبة في الصلاة.

(73) أكبّر في التحريم ذاتك عن سوى ..... واسمك تسبيحي إذا أنا راكع
المفردات :
أكبر في التحريم : إشارة إلى تكبيرة الإحرام التي يدخل بها المصلي في صلاته . عن
سوى : عن الغير ، عن المخلوقات .
راكع : يرى الجيلي أن الركوع هو إشارة إلى شهود انعدام الموجودات الكونية تحت وجود التجليات الإلهية [راجع الإنسان الكامل ، 2 / 88].
المعنى :
يتابع الجيلي تفصيل صلاته ، ويبين هنا حاله في التكبير .
فيقول مخاطبا ربه ؛ عندما أكبّر تكبيرة الإحرام فأنا في الواقع أفرد ذاتك العليّة ، وانزهها أن يذكر معها كائن من الكائنات ، أي أحرّم على قلبي بعد التكبير أن يخطر عليه خيال مخلوق أو طيف فكرة لأن ذلك في نظري يكذّب تكبيري إياك حين دخولي في الصلاة . . . بكلام آخر .

إن كان المصلي عندما يكبّر تكبيرة الإحرام يحرم عليه ما كان حلالا من مفسدات الصلاة كالأكل والكلام ونحو ذلك ، فالجيلي إذا كبّر تكبيرة الإحرام ووقف بين يدي ربه يحرّم على نفسه كل خيال أو خاطر كوني ، إذ كيف يخطر كون وهو واقف بين يدي الله ، والله أكبر من أن يذكر معه شيء سواه .
وبعد أن بيّن الجيلي كيفية تكبير العشاق الإلهيين في صلاتهم ، وبيّن معنى تكبيرهم وما يفرضه عليهم العشق الإلهي من شروط يطالبون بها أنفسهم في الصلاة ، يصل ليبين معنى الركوع عنده وعند كل عاشق إلهي .
فالجيلي في ركوعه تنعدم عنده الموجودات الكونية كلها تحت وجود التجليات الإلهية ، ويبقى مسبّحا اسم الله وحده .
والجيلي هنا يتابع في الواقع تسبيح كل المصلين عند ركوعهم في الصلاة ، وهل يقول الراكع غير : سبحان ربي العظيم .

(74) أقوم أصلّي ، أي أقيم على الوفا ..... بأنّك فرد واحد الحسن جامع

المفردات :

أقوم أصلي : إشارة إلى قيام المصلي من ركوعه .
على الوفا : على الوفاء ، وهو صيانة العهد وحفظه .
والعهد المشار إليه هنا عند الصوفية هو العهد الذي أخذه الحق تعالى على كل مخلوق حين أقرّ له بالربوبية **بقوله :** بلى ، حيث قال الله عزّ وجلّ :أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ؟. .
والوفاء عند عامة المؤمنين هو عبادة الله عزّ وجلّ رغبة ورهبة .
وعند الخاصة هو الوقوف مع الأمر الإلهي لا رغبة ولا رهبة .
وعند خاصة الخاصة هو العبودية على التبري من الحول والقوة .
والوفاء عند المحب ، كما هو حال الجيلي ، هو صون القلب عن الإتساع لغير المحبوب . [راجع الكمشخانوي . جامع الأصول . ص 74] .
جامع : أي جامع لكل حسن .

المعنى :

ركع العابد العاشق الذي هو الجيلي ، فانعدمت الموجودات الكونية كلها لديه ، وها هو يقوم الآن من ركوعه ، وقيامه لا يعني عودة الموجودات ؛ بل في القيام كما في الركوع ، يظل العاشق على الوفاء مقيما ، وبالعهد الإلهي قائما ، وقلبه مصان عن الأغيار لا يتسع لغير الحق تعالى .
هذا معنى الوفاء عند الجيلي ، معناه أن يصون قلبه فلا ينظر إلى جمال غير جمال الحق لأنه تعالى واحد الحسن ، وجامع لكل حسن يظهر في الكون .

(75) وأقرأ من قرآن حسنك آية ..... فذلك قرآني إذا أنا خاشع

المفردات :

خاشع : الخشوع هو ذوبان القلب لقيامه بين يدي الحق في الصلاة ، مظهره خشوع الجوارح وسكونها . قال تعالى :قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خاشِعُونَ [المؤمنون : 1 و 2] .

المعنى :

يتابع الجيلي تصوير صلاته : فيقول ؛ وعندما أقرأ القرآن في صلاتي وأنا خاشع فإنما أنا أقرأ من قرآن حسنك آية .
بمعنى أن كل آية أقرآها من القرآن فهي في الواقع تخبرني عنك وعن جمالك يا متعال

(76) وأسجد أي أفنى ، وأفنى عن الفنا ..... وأسجد أخرى ، والمتيّم والع

المفردات :

وأفنى عن الفنا : أي أفنى عن الفناء ، بمعنى أرجع عن الفناء في الحق إلى البقاء بالعبودية .
والمتيم : الولهان العاشق .

المعنى :

يقول الجيلي في [الإنسان الكامل 2 / 88] : " السجود عبارة عن سحق آثار البشرية ومحقها باستمرار ظهور الذات المقدسة (. . .)
ثم السجدة الثانية إشارة إلى مقام العبودية وهو الرجوع من الحق إلى الخلق " .
وهكذا عندما يسجد الجيلي السجدة الأولى يفنى من استمرار ظهور التجليات الإلهية عليه ، ثم في السجدة الثانية ومن استمرار ظهور التجليات الإلهية ، يفنى عن فنائه ، أي يرجع عن الفناء بالحق إلى البقاء بالعبودية للحق . . .
سجدة أولى هي فناء بالتجليات وسجدة أخرى هي بقاء بالعبودية . . .
وفي السجدتين ، في الفناء والبقاء ، الجيلي هو دائما ذاك الوالع الولهان.

(77)وقلبي مذ أبقاه حسنك عنده ..... تحيّاته منكم إليكم تسارع

المفردات :

تحياته : دعاء التحيات الذي يقرأ في ختام الصلاة .

المعنى :

يقول الجيلي في [الإنسان الكامل 2 / 88] : " التحيات إشارة إلى الكمال الحقي والخلقي ، لأنه عبارة عن ثناء على الله تعالى وثناء على نبيّه صلّى الله عليه وسلم وعلى عباده الصالحين . وذلك هو مقام الكمال .
فلا يكمل الولي إلا بتحققه بالحقائق الإلهية ، واتباعه لمحمد صلّى الله عليه وسلم ، وبتأدبه بسائر عباد الله الصالحين . " . . .
وهنا يخبّر الجيلي عن حال قلبه الفاني بالجمال الإلهي الباقي بالعبودية للحق ، وكيف أنه لا ينفك عن اللهج بالتحيّات للحق ، تحيات قلب يتسارع فيه الثناء من الحق إلى الحق ؛ وهنا نجد مرجعنا في قول النبي صلّى الله عليه وسلم : اللهم لا أحصي ثناء

عليك أنت كما أثنيت على نفسك . . . ولكن في التحيات هنا التي هي دعاء وثناء ، يعجز قلب الجيلي العاشق المأخوذ بالحسن الإلهي عن الثناء على الحق فيتسارع الثناء من الحق إلى الحق.

(78) صيامي هو الإمساك عن رؤية السّوى .... وفطري أنّي نحو وجهك راجع

المفردات :

السوى : كل ما سوى الله عزّ وجلّ . وفطري : الفطر والإفطار بمعنى واحد .

المعنى :

يقول الجيلي في [الإنسان الكامل 2 / 88] : " الصوم إشارة إلى الامتناع عن استعمال المقتضيات البشرية ليتصف [الإنسان الصائم] بصفات الصمدية ، فعلى قدر ما يمتنع - أي يصوم عن مقتضيات البشرية - تظهر آثار الحق فيه . "

وهكذا لا يكتفي الجيلي في صيامه بالإمساك عن الطعام والشراب وسائر المفطرات المنصوص عليها في الأحكام الشرعية ، بل يعدّ النظر إلى الخلق من المفطرات . ولذلك فهو يعلن كعاشق أنه لا ينظر إلى سوى الحق عزّ وجلّ لأن كل رؤية للخلق ، تفسد صيامه .

والإفطار - عند الجيلي - هو النتيجة لهذا الامتناع عن رؤية المخلوقات .

بكلام آخر ، إن إفطار الجيلي هو رؤيته لوجه الحق عزّ وجلّ أينما ولّى وجهه . . . **يصوم عن رؤية الأغيار فيفطر برؤية وجه الحق أينما ولّى وجهه.**

(79) وبذلي نفسي في هواك صبابة ..... زكاة جمال منك في القلب ساطع

المفردات :

بذلي نفسي : بذل النفس هو الجود بها وإعطاؤها . صبابة : شوقا وعشقا .

زكاة جمال منك في القلب ساطع : بمعنى زكاة نعمة سطوع جمالك في قلبي

المعنى :

إن الصوفي يزكّي على كل نعمة إلهية ، وها هو بشر بن الحارث يقول لطلبته : أدوا زكاة الأحاديث ، واعملوا بخمس من كل مائتين منها .

وهنا يرى الجيلي أن سطوع الجمال الإلهي على قلبه العاشق هو نعمة ، وهو لذلك يستوجب زكاة ، أسوة بكل النعم الإلهية . . . وزكاة سطوع هذا الجمال الإلهي على قلبه هي أن يبذل نفسه فداء في العشق.

(80) أرى مزج قلبي مع وجودي جنابة ..... فماء طهوري أنت ، والغير مائع

المفردات :

جنابة : الجنابة شرعا هي أمر معنوي يقوم بالبدن يمنع صحة الصلاة .

طهوري : الطهور والتطهر كل ما يتطهر به من ماء وغيره .

وفي القرآن وَأَنْزَلْنا مِنَ السَّماءِ ماءً طَهُوراً[الفرقان : 48] أي يتطهّر به .

مائع : سائل . وهنا يؤكد الجيلي على أن الطهارة عنده لا تكون إلا بالماء.

المعنى :

نلاحظ أن الجيلي بعد أن تكلم على الشهادتين وعلى الصلاة وعلى الزكاة ، سيأتي ابتداء من هذا البيت ووصولا إلى البيت (رقم 112) على ذكر رموز الحج بحسب تسلسل أركانه . وفي هذا البيت نلمح إشارة إلى غسل الإحرام.

والجدير بالذكر أن ثلاثة من الأئمة قد اتفقوا على أن هذا الغسل هو غسل نظافة ، إلا المالكية نظرت إليه على أنه غسل طهارة فلا تفعله الحائض ولا النفساء .

ونرى أن الجيلي هنا يوافق مالك في كون غسل الإحرام هو غسل طهارة .

يبدأ الجيلي هذا البيت بتعريفنا أنه في شرع عشقه ، كل مزج بين القلب والوجود هو جنابة . بكلام آخر ، إن مزج الحق مع الخلق هو الجنابة التي تقوم في قلب الإنسان وتمنع كمال صحة عبادته.

وعبّر الجيلي عن الحق بالقلب ، لأن قلب المؤمن هو الذي وسع الحق ، وعبّر عن الخلق بالوجود ، لأن الوجود هو المخلوق.

وحيث أنه لم يسلم إنسان من أن يمزج بين قلبه ووجوده .

لذلك عليه أن يتطهر من هذا المزج قبل العزم على حجّة الهوى ، عليه أن يتطهر من كل المخلوقات حتى من وجوده الشخصي .

ولا يتطهر الإنسان من الخلق إلا عندما تحتلّ التجليات الإلهية مساحة قلبه الإنساني بكليته ، غير تاركة فيه فسحة لغير وسوى من المخلوقات .

(81) أيا كعبة الآمال وجهك حجّتي ..... وعمرة نسكي أنّني فيك والع

المفردات :

حجتي : الحجّة هي المرة الواحدة من الحج .

عمرة : العمرة هي الزيارة ، وشرعا هي قصد الكعبة للنسك المعروف بالعمرة ، وتمام العمرة أن يطوف المسلم بالبيت ويسعى بين الصفا والمروة فقط.

المعنى :

يشير الجيلي هنا بعمرة النسك إلى طواف القدوم ، ومعنى الحج وحقيقته عند الجيلي هو استمرار قصد الإنسان في طلب الله تعالى [را . الإنسان الكامل 2 / 88] ، لذلك يقول هنا مخاطبا محبوبه " أيا كعبة الآمال " يريد بها " يا قبلة آمالي " ، " وجهك حجتي " بمعنى " وجهك قصدي "

إذ عندما نادى منادي الحج قام الجيلي يقصد وجه الحق ملبيا ، وسارع إلى طواف القدوم مسارعة والع عاشق .

(82) وتجريد نفسي عن مخيط صفاتها ..... بوصفك ، إحرامي عن الغير قاطع

المفردات :

مخيط : ثوب مخيط أي داخلته خياطة .

ويقول الجيلي في [الإنسان الكامل 2 / 88] : " ترك المخيط إشارة إلى تجرده (أي طالب الله) عن صفاته المذمومة بالصفات المحمودة " .
إحرامي : دخولي في الإحرام . ويقول الجيلي في [الإنسان الكامل 2 / 88] :
" الإحرام إشارة إلى ترك شهود المخلوقات " .
عن الغير قاطع : يقطعني ويمنعني عن الانشغال بالمخلوقات

المعنى :

في الإحرام يحرم على الرجل أن يلبس مخيطا على بدنه ، أو محيطا ببدنه أو ببعضه كالقميص والسراويل والعمامة والجبة ، والخف ، إلا إذا لم يجد نعلين فيجوز لبس الخفين بعد أن يقطعهما أسفل من الكعبين [راجع الفقه على المذاهب الأربعة 1 / 644].
ويقابل عدم لبس المخيط على البدن عند الجيلي ، تجرّد الإنسان في أعماقه عن صفاته المذمومة وتحلّيه بالوصف الإلهي المحمود .
فالجيلي بعد أن يحرم ويتجرد عن لبس المخيط لا ينشغل لحظة بالمخلوقات ، لأنه لو أراد الالتفات إلى مخلوق قام الإحرام على بدنه مذكرا إياه بمعنى الإحرام الحقيقي وهو ترك شهود المخلوقات .
بكلام آخر ، إن إحرام البدن هو فعل يقوم في ظاهر الإنسان يمنعه من النسيان ، أو يذكره إذا نسي ، بأنه قاصد لوجه الحق تارك لشهود المخلوقات.

(83) وتلبيتي أنّي أذلّ مهجتي ..... لما منك في ذاتي من الحسن لامع

المفردات :

وتلبيتي : التلبية مصدر لبّى ، وهو أن يقول الحاج أو المعتمر : لبيك اللهم لبيك ، لبيك لا شريك لك لبيك ، إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل رموز أعمال حجّه ، فيقول ؛ عندما ألبيّ مرددا عبارة " لبيك اللهم لبيك " ، فإنني - في الباطن - إنما أظهر ذلّة عبوديتي أمام تجليات حسنك الملتمعة في ذاتي .

(84) كأنّ صفات منك تدعو إلى العلا ..... لذاتي ، فلبّت ، فاستبانت شواسع

المفردات :

فلبت : لبّت دعوة أي استجابت .
فاستبانت : فظهرت .
شواسع : جمع شاسع ، وهو المكان البعيد ، وهنا المقصود : الفرق البعيد

المعنى :

يتابع الجيلي تعريفنا بدوافع تلبيته القلبية لدعاء الحق ، فيقول ؛ عندما تجلّت لوامع من حسنك على ذاتي ، فكأنما بذلك كنت تدعوني إلى العلا ، فلبّت ذاتي دعوة العلا هذه .

وعندها ظهر الفرق الشاسع بين صفات الحق العالية وبين صفات العبد التي كمالها هو عين فنائها .

(85) فتركي لطيبي والنّكاح فإنّ ذا ..... صفاتي ، وذا ذاتي ، فهنّ موانع

المفردات :

فتركي لطيبي والنكاح : إشارة إلى ترك الطيب والنكاح ، وهما مما لا يحق للمحرم فعله بعد دخوله في الإحرام.

المعنى :

عندما يوجب الجيلي على ظاهره ترك الطيب يتحقق في باطنه بترك صفاته ، وكذلك عندما يتحلى ظاهره بترك النكاح يتحقق في باطنه بترك ذاته . وبالجملة فإن ترك الطيب والنكاح في الظاهر يقابلان في الباطن عند الجيلي ضرورة تجرّد الحاجّ عن صفاته وعن ذاته ، لأن صفات الإنسان وذاته هي موانع وحجب تحجب عنه وجه الحق عزّ وجلّ .

(86) وإعفاء حلق الرّأس ترك رياسة ..... فشرط الهوى أنّ المتيّم خاضع

المفردات :

إعفاء : ترك وتجاوز ، وترك حلق الرأس من شعائر المحرم . وورد في الفقه على المذاهب الأربعة [ج 1 / ص 646] : " يحرم على المتلّبس بالإحرام أن يزيل شعر رأسه بالحلق أو القص أو غيرهما " .

المعنى :

يقول الجيلي في [الإنسان الكامل ج 2 / ص 88] : " ترك حلق الرأس إشارة إلى ترك الرياسة البشرية " .

والجيلي هنا عندما يمتنع في بدنه عن حلق رأسه يتحقق في قلبه وباطنه بترك الرياسة .

وقد جمع الجيلي بين الرأس والرياسة لما بينهما من تجانس لفظي .

وترك الرياسة هذا هو شرط لازم من شروط العشق الإلهي ، إذ أن العاشق الحق لا ينازع معشوقه في أمر ، بل يسلّم له في كل ما يريد ، ويخضع .

(87) إذا ترك الحجّاج تقليم ظفرهم ..... تركت من الأفعال ما أنا صانع

المفردات :

تقليم ظفرهم : قلم الظفر يحرم على المحرم [الفقه على المذاهب الأربعة 1 / 644] .

المعنى :

الجيلي عندما يمتنع في الظاهر عن تقليم أظافره ، فهو في باطنه وقلبه يترك أفعاله كلها . وقد ربط الجيلي بين الظفر والفعل ، لأن الفعل هو صنع اليد التي يشكل الظفر جزءا منها .
فكأنما يقول بذلك : إذا ترك الحجاج تقليم ظفرهم ، تركت أنا كل ما تصنع يداي ، بمعنى لم أعد أنسب أفعالي إلى صنيعي.

(88) وكنت كآلات وأنت الّذي بها ..... تصرّف بالتقدير ما هو واقع

المفردات :

بالتقدير : بما قدّرته سبحانك .

المعنى :

يتابع الجيلي وصف إحرامه في الباطن ، فيقول ؛ عندما أترك صنعي وأفعالي أصبح كآلة يصرّفها الحق عزّ وجلّ بما هو واقع من تقادير .

(89) وما أنا جبريّ العقيدة ، إنّني ..... محبّ فنى فيمن خبته الأضالع

المفردات :

جبري العقيدة : الجبرية طائفة نسبت إلى القول بالجبر وهي تقول : إن الإنسان مجبر على أفعاله ولا استطاعة له أصلا ، وهذه الطائفة متهمة عند الصوفيين لأنهم ينسبون أفعالهم مهما تضمنت من ذنوب ، إلى الحق عزّ وجلّ

خبته : خبأته أي سترته

المعنى :

بعد أن أثبت الجيلي أنه آلة يصرّفها الحق عزّ وجلّ ، ينفي أن يكون قوله هذا مشابها لقول الجبرية . فالجيلي لا ينسب أفعاله إلى الحق عزّ وجلّ [وهذا قول الجبرية] بل يعلن عن فناء إرادته الشخصية في الإرادة الإلهية ، وفناء فعله في التصريف الإلهي.

(90) فها أنا في تطواف كعبة حسنها ..... أدور ، ومعنى الدّور أنّي راجع

المفردات :

تطواف : الطواف حول الكعبة ، وهو الدوران حولها على شكل مخصوص .
والإشارة هنا إلى طواف القدوم .

المعنى :

يقول الجيلي أنه عندما يطوف حول الكعبة المشرفة ، أي يدور حولها ببدنه فهو في باطنه يتحقق بمعنى الدور . ومعنى الدور هو أن يرجع الإنسان في كل طوفة من ذاته إلى الله عزّ وجلّ .

(91) ومذ علمت نفسي صفاتك سبعة ..... فأعدو وتطوى في حماك سوابع

المفردات :

سبعة : إشارة إلى الصفات الذاتية الإلهية السبعة وهي : **الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام .**
سوابع : سبعة وراء سبعة . وهي الأعداد التي يطويها الحاج أو المعتمر بين طواف وسعي.
المعنى :
يفهم الجيلي من الرقم سبعة ، الذي هو من شروط الطواف عند الشافعية والمالكية والحنابلة ، وهو من واجبات الطواف عند الحنفية [را جع الفقه على المذاهب الأربعة 1 / 653 - 655 ، 658] ؛ إشارة إلى الصفات الإلهية السبع .
وها هو يطوف في الظاهر ببدنه سبعا حول الكعبة ويسعى في الظاهر ببدنه سبعا بين الصفا والمروة ؛ وفي باطنه يرجع من صفاته الذاتية السبعة إلى صفات الحق السبع .
يقول في [الإنسان الكامل ج 2 / 89] : " وكونه (أي الطواف) سبعة إشارة إلى الأوصاف السبعة التي بها تمت ذاته (أي الإنسان) ، وهي : **الحياة والعلم والإرادة والقدرة والسمع والبصر والكلام .**
وثمّ نكتة باقتران هذا العدد بالطواف وهو ليرجع (الإنسان) من هذه الصفات إلى صفات الله تعالى ، فينسب حياته إلى الله ، وعلمه إلى الله ، وإرادته إلى الله ، وقدرته إلى الله ، وسمعه إلى الله ، وبصره إلى الله ، وكلامه إلى الله ، فيكون كما قال : أكون سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به . . . الحديث " .

(92) أقبّل خال الحسن في الحجر الّذي ..... لنا من قديم العهد فيه ودائع
المفردات :
خال الحسن : إشارة إلى الحجر الأسود . وتقبيل الحجر الأسود تقبيلا خفيفا هو من سنن الطواف في المذاهب الأربعة .
لنا من قديم العهد فيه ودائع : إشارة إلى هبوط الحجر من السماء ، وإنه مستودع الأسرار . [را . تاريخ مكة للأزرقي] .
المعنى :
يقبّل الجيلي الخجر الأسود ، الذي هبط من السماء والذي حوى من عهد قديم ودائع وأسرارا .

(93) ومعناه أنّ النّفس فيها لطيفة ..... بها تقبل الأوصاف ، والذات شائع
المفردات :
لطيفة : صفة رقيقة ودقيقة .
المعنى :
عندما يقبّل الجيلي في الظاهر الحجر الأسود ، يعتبر في باطنه من اسوداد الحجر .
وذلك أن الجيلي يشبّه الحجر الأسود باللطيفة الإنسانية التي فطرها الحق عزّ وجلّ على صورة الحقائق الإلهية ، ثم اسودت من هبوطها إلى الطبائع والعادات والعلائق

والقواطع ؛ تماما كما أنزل الله عزّ وجلّ الحجر الأسود من السماء أشد بياضا من اللبن فسوّدته خطايا بني آدم . [راجع الإنسان الكامل 2 / 89] .

(94) وأستلم الركن اليمانيّ ، إنّه ..... به نفس الرّحمن والنّفس جامع

المفردات :

الركن اليماني : للكعبة أربعة أركان ، الحجر الأسود في أحدها ، والركن الذي قبله هو اليماني .
واستلام الركن اليماني من سنن الطواف عند المالكية والحنابلة وهو مستحب عند الحنفية [را . الفقه على المذاهب الأربعة 1 / 656 - 658] .
نَفَس الرحمن : إشارة إلى الحديث الشريف " ألا إن الإيمان يمان ، والحكمة يمانية ، وأجد نفس ربّكم من قبل اليمن " [مسند الإمام أحمد بن حنبل 2 / 541 .]
والنفس كما يعرّفه الشيخ محيي الدين بن العربي " روح يسلّطه الله عزّ وجلّ على نار القلب ليطفىء شررها لأجل سلطان الحقيقة " . [الفتوحات المكية 2 / 132] .
والنفس : يراد منه ترويح القلوب بلطائف الغيوب [را . الرسالة القشيرية 1 / 262] ، وهو يكون للمنتهي الواصل وليس للمبتدىء أو لمتوسط الحال [راجع السهروردي . عوارف المعارف . ص 530] .

المعنى :

عندما يستلم الجيلي في الظاهر الركن اليماني ، يتنسّم في باطنه نسائم الإيمان والرحمة من قبل الرحمن . . . نسائم رحمة تروّح قلبه بلطائف الغيوب .

(95) وأختم تطواف الغرام بركعة ..... من المحو عمّا أحدثته الطّبائع

المفردات :

بركعة : إشارة إلى الركعتين اللتين يختم بهما الطائف طوافه عند مقام إبراهيم .
وأداء ركعتين عند مقام إبراهيم بعد الطواف واجب عند الأحناف والمالكية ، وهو من سنن الطواف عند الحنابلة والشافعية . [راجع الفقه على المذاهب الأربعة ، 1 / 654 ، 656 ، 657 ، 658] .
ويرى الجيلي أن أداء هاتين الركعتين خلف مقام إبراهيم هو إشارة إلى مقام الخلة . [را . الإنسان الكامل ، 2 / 89] .
من المحو : محا الشيء بمعنى أذهب أثره .
الطبائع : ج . طبع وطبيعة .

المعنى :

إن الجيلي - كما مر سابقا - يزيل في طوافه صفات طبيعته البشرية بارجاعها إلى الحقّ عزّ وجلّ . . . ثم يختتم هنا هذه الإزالة بركعتين خلف مقام إبراهيم تمحوان ما بقي من آثار بشريّته .

(96) ترى هل لموسى القلب من زمزم اللّقا ..... مراضع لا حرّمن تلك المراضع

المفردات :

زمزم : بئر مباركة مشهورة بمكة ، ويستحب عند الحنفية أن يأتي الحاجّ زمزم بعد صلاة الركعتين وقبل الخروج إلى الصفا ، فيشرب منها حتى تمتلئ أضلاعه وترتوي . [را . الفقه على المذاهب الأربعة . 1 / 658] .

لا حرمن : دعاء بمعنى : اللهم لا تحرمنا.

المعنى :

في البيت إشارة إلى موسى عليه السّلام الذي شملته العناية الإلهية فأرضعته لبن أمه بعد مفارقتها . . . ويتمنى الجيلي هنا ألا يحرم قلبه رضاع العلوم الإلهية ، وشربها من منبع اللقاء .

(97) فتذهب نفسي في صفاء صفاتكم ..... لتسعى بمروى الذّات وهي تسارع

المفردات :

صفاء : إشارة إلى الصفا . والصفاء غاية صوفية عزيزة لأنها اسم للبراءة من الكدر ، وإشارة إلى سقوط التلوين الواقع في الوقت [را . الكمشخانوي جامع الأصول 209] ، ويذهب معظم الصوفية في تعريفهم للتصوف إلى الدوران في فلك الصفاء والتصفّي والمصافاة .

ويجمع أبو علي الروذباري بين الصوف والصوفي والصفاء في تعريفه فيقول ، وقد سئل عن الصوفي : من لبس الصوف على الصفا [را جع الكلاباذي التعرف ص 34] .

لتسعى : لتقوم بفعل السعي بين الصفا والمروة ؛ وهو ركن من أركان الحج عند ثلاثة من الأئمة ، وخالف الحنفية فقالوا : إن السعي واجب لا ركن ، فلو تركه الحاج لا يبطل حجه ، وعليه فدية

بمروى : إشارة إلى المروة .

المعنى :

يسعى الجيلي ببدنه بين الصفا والمروة ، وفي باطنه يصفي صفاته من الصفات الخلقية ليرتوي من الشرب بكاسات الأسماء والصفات الإلهية [راجع الإنسان الكامل ، 2 / 89].

(98) فليس الصّفا إلا صفائي ، ومروتي ..... بأنّي عن تحقيق حقّي صادع

المفردات :

ومروتي : هنا يشير الجيلي إلى المروءة "والمروءة شعبة من الفتوة " [الكمشخانوي . جامع 166] .

والفتوة الصوفية هي الإيثار ، يقول أبو علي الدقاق " كمال الفتوة والإيثار لم يكن لأحد من البشر إلا لمحمد صلّى الله عليه وسلم ، فإن كل نبي يقول يوم القيامة : نفسي نفسي ، وهو صلّى الله عليه وسلم يقول : أمتي أمتي " . [المرجع السابق 165] .
صادع : منصرف وتارك .

المعنى :

يرى الجيلي أن الصفا هو صفاؤه ، وأن المروة هي مروءته وفتوته ، لأنه ترك تحقيق حقه . فكأنما الجيلي هنا عندما يسعى ببدنه بين الصفا والمروة فإنه يسعى بروحه بين الصفاء والمروءة .

(99) وما القصر إلّا عن سواكم حقيقة ..... ولا الحلق إلّا ترك ما هو قاطع

المفردات :

القصر : تقصير الشعر .
الحلق : حلق الشعر . وحلق الرجل وتقصير الأنثى من واجبات الحج عند المالكية والحنابلة والحنفية ، وهو من سنن الحج عند الشافعية [را . الفقه على المذاهب الأربعة . 1 / 665 ، 668 ، 670]
قاطع : مانع .

المعنى :

إن الجيلي هنا عندما يحلق شعره في ظاهر الفعل ، فهو يفهم من الحلق ترك كل ما يقطع عن الحق أي ترك ذاته والمخلوقات .
وإذا لم يتمكن من الحلق يكتفي بتقصير الشعر ، وفي التقصير إشارة إلى أنه قصّر عن بلوغ الكمال في ترك القواطع ، واكتفى بعدم الالتفات إلى ما سوى الحق من المخلوقات .

(100)ولا عرفات الوصل إلا جنابكم ..... فطوبى لمن في حضرة القرب راتع

المفردات :

عرفات : عرفة وعرفات واحد ، والوقوف بها من أركان الحج باتفاق بين المذاهب .
راتع : متنعم

المعنى :

يقف الجيلي بأرض عرفة ببدنه ، ويقف بروحه في مقام المعرفة بالله.
وذلك أن الحاجّ العارف العاشق عندما يصل إلى الوقوف بعرفة يفهم من ذلك ، عن طريق الإشارة ، وصوله إلى التحقق بمقام المعرفة بالله .
ويقول الجيلي في [الإنسان الكامل ج 2 / 89] : " عرفات عبارة عن مقام المعرفة بالله . " ولعله ربط بين عرفة ومعرفة لتجانس الحروف .
وعندما يصل العاشق الحاجّ إلى مقام المعرفة بالله فإنه يرتع ويتنعم في حضرة القرب .

(101) على علمي معناك ضدّان جمّعا ، ..... ويا لهفي ضدّان كيف التّجامع

المفردات :

علميّ : مظهريّ ، دليليّ ، ولعل الجيلي قصد هنا بالعلمين عرفة ومزدلفة لأنهما مرتفعان .

ضدان : الضدان هما الصفتان الوجوديتان اللتان يستحيل اجتماعهما في موضع واحد كالسواد والبياض . [را . تعريفات الجرجاني ص 143] ، أو ما لا يجوز وجود أحدهما مع بقاء وجود الآخر في حال واحد] الهجويري . كشف المحجوب ص 630]

المعنى :

بعد أن وصل الحاجّ العاشق إلى عرفات الوصل ، وتنعّم في حضرة القرب ، تتجلى عليه المعرفة الإلهية جامعة للضدين . ومعرفة الله عند الصوفية تتصف بجمع الأضداد فهو تعالى المعزّ المذل ، وهو الرافع الخافض ، وهو المنتقم العفوّ ، وهكذا . . .
والجيلي هنا يتلهف أمام تجلي المعرفة ، الجامع للأضداد.
بقوله : ويا لهفي ضدان كيف يجتمعان .
والأضداد هنا يقصد بهما الجيلي : الجمال والجلال .
يقول في [الإنسان الكامل ج 2 / 89] : " والعلمين عبارة عن الجمال والجلال اللذين عليهما سبيل المعرفة بالله لأنهما الأدلاء على الله تعالى " .

(102) بمزدلفات في طريق غرامكم ..... عوائق من دون اللّقا وقواطع

المفردات :

مزدلفات : مفردها مزدلفة ، وهي المكان المعروف الذي يبيت فيه الحاجّ بعد نزوله من عرفة . والنزول ليلا من عرفة إلى مزدلفة من واجبات الحج باتفاق بين المذاهب مع اختلاف في مدة البقاء فيها .

عوائق : جمع عائقة ، وهي كل ما يعترض طريق الطالب ويعوقه عن الوصول.

المعنى :

الصعود إلى عرفة يتبعه نزول إلى مزدلفة . . . كذلك العاشق يرتع في القرب والمعرفة ثم لا يلبث أن تقوم في طريق غرامه دون لقاء الحبيب قواطع وموانع . . .
وقد عبّر الجيلي عن تعالى مقام المعرفة وصعوبته بمزدلفة ، وعبّر عن تحصيل مقام المعرفة وإمكانيته بعرفة . [را . الإنسان الكامل 2 89 /]

(103)فإن حصل الإشعار في مشعر الهوى ..... وساعد جذب العزم فالفوز واقع

المفردات :

الإشعار : الإعلام .

وهنا إشارة إلى هداية الحق لعبيده في المشعر الحرام ؛ قال تعالى :" فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ وَاذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ"[البقرة : 198] .

مشعر الهوى : إشارة إلى المشعر الحرام . وسمي مشعرا من الشعار وهو العلامة ، لأنه من معالم الحج . والوقوف بالمشعر الحرام هو من سنن الحج عند الشافعية وهو من المندوبات عند المالكية [را . الفقه على المذاهب الأربعة ، 1 / 670 - 671] .

المعنى :

يقف الجيلي ببدنه في المشعر الحرام ، وفي باطنه يقف مع الأمور الشرعية تعظيما للحرمات الإلهية . لأن المشعر الحرام عنده هو عبارة عن تعظيم حرمات الله بالوقوف مع أوامره الشرعية [را . الإنسان الكامل 2 / 89 .]

وهذا الوقوف بالبدن في المشعر الحرام والوقوف بالباطن والقلب مع الأمور الشرعية ، هو الفوز الأكيد الثابت الذي لا يتغير

(104) على مشعر التّحقيق عظّمت في الهوى ..... شعائر حكم أصّلتها الشّرائع

المفردات :

شعائر : ج . شعيرة وهي المناسك .

الشرائع : ج . شريعة .

المعنى :

على المشعر الحرام عظّم الجيلي الشعائر التي هي أصول شرعية كالصلاة والمبيت والدعاء .

قال تعالى : "فَإِذا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفاتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرامِ وَاذْكُرُوهُ كَما هَداكُمْ[البقرة : 198]

(105) وكم من منى لي في منى حضراتكم ..... ويا حسراتي والمحسّر شاسع

المفردات :

من منى : ج . المنية ، وهي ما يتمنى المرء .

منى : بالكسر ، الوادي الذي ينزله الحاجّ ويرمي فيه الجمار .

والمبيت بمنى من واجبات الحج باتفاق الفقهاء وإن اختلفوا في مدته [را . الفقه على المذاهب الأربعة 1 668 - 665 /].

والمُحَسّر : وادي محسّر هو واد بين مزدلفة ومنى ، سمي بذلك لأنه حسر أي عجز فيه الفيل الذي أراد أبرهه هدم الكعبة به [را . الفقه على المذاهب الأربعة 1 / 670]

المعنى :

يقف الجيلي ببدنه أمام وادي محسّر الفاصل بين مزدلفة ومنى ، ويقف بأعماقه الملتهبة شوقا يتحسر على ما يفصله عن تحقيق أمانيه في القرب الإلهي . وقد ربط الجيلي بين

منى والمنى والأرجح أن هذا الربط للتجانس اللغوي ، يقول : " منى عبارة عن بلوغ المنى لأهل مقام القربة " . [الإنسان الكامل 2 / 89] .

(106) رميت جمار النّفس بالروح فانثنت ..... جهنّمها ماء وصاحت ضفادع

المفردات :

رميت جمار النفس : أصل رمي الجمار واجب باتفاق المذاهب الأربعة .
فانثنت : فانقلبت .

المعنى :

ينزل الجيلي ببدنه منى ، ويرجم بسبع حصيات كل واحد من الأعمدة الثلاثة التي ترمز إلى إبليس . ورمي الجمار هذا في الظاهر يواكبه في باطن الجيلي رمي جمار النفس ، بمعنى أن الجيلي يحصب جمار النفس الثلاث ، وهي النفس والطبع والعادة ، بسبع حصيات هي قوة آثار السبع الصفات الإلهية . [را . الإنسان الكامل 2 / 89] .
وعندما يرجم الجيلي أصنام نفسه الثلاثة ، أي يرجم نفسه وطبعه وعادته بقوة آثار الصفات الإلهية السبع ، تفنى هذه الأصنام وتذهب وتنقلب نار جهنم نفسه ماء ، تسبّح كائناتها الله عزّ وجلّ.

(107) وأبدل رضوان بمالك وانتشى ..... بها شجر الجرجير والغصن يانع

المفردات :

رضوان : خازن الجنان .
بمالك : مالك هو خازن جهنم .
الجرجير: نبت معروف ، وفي الصحاح الجرجير : بقل .
وانتشى : نبت بكثرة ، وتطاول .

المعنى :

بعد أن فنيت أباليس نفس الجيلي وذهبت ، أبدل الله عزّ وجلّ جهنّمها جنّة ، وحرسها رضوان بدلا عن مالك ، وأينعت أرض نفسه واخضرّت.
يقول الجيلي في [الإنسان الكامل 2 / 30] : " إن النار لمّا كان أمرها عارضا في الوجود جاز زوالها . . .
وبذهاب الإحراق عنها تذهب ملائكتها وتردّ ملائكة النعيم ، فينبت بورود ملائكة النعيم في محلها شجر الجرجير ، وهو خضرة " .

(108) ففاضت على ذاتي ينابيع وصفها ..... وناهيك صرف الحقّ تلك الينابع

المفردات :

وصفها : وصف الروح ، والروح يطلق بإزاء الملقى إلى القلب من علم الغيب على وجه مخصوص . [را . اصطلاحات ابن عربي ص 389] .
صرف الحق : الصرف هو البحت الذي لم يمزج . أي : حقا صرفا .

المعنى :

يقول أبو بكر بن أبي سعدان وهو من أصحاب الجنيد والنوري] السلمي . طبقات الصوفية . ص 422] : " خلقت الأرواح من النور وأسكنت ظلم الهياكل .
فإذا قوي الروح جانس العقل ، وتواترت الأنوار ، وأزالت عن الهياكل ظلمتها ، فصارت الهياكل نورانية بأنوار الروح . " . . .
وهنا يخبرنا الجيلي بأنه بعد أن فنيت جمار نفسه وذهبت أباليسها ، فاضت على ذاته ينابيع وصف الروح ، وظلت تتواتر أنوار الروح عليها ، وتتوالى فيوضاتها من ينابيع هي حق صرف غير ممزوج بباطل خلق .

(109) فطفت طوافا للإفاضة بالحمى ..... وقمت مقاما للخليل أبايع

المفردات :

طوافا للإفاضة : إشارة إلى طواف الإفاضة أو طواف الركن ، وهو من أركان الحج باتفاق الأئمة ، يقوم به الحاج بعد أن ينزل من عرفات إلى مزدلفة فمنى فالكعبة .
مقاما للخليل : إشارة إلى مقام إبراهيم .

المعنى :

يرجع الجيلي ببدنه من منى إلى الكعبة للقيام بركن من أركان الحج وهو طواف الإفاضة ، وفي باطنه يرى أن طواف الإفاضة هو عبارة عن دوام الترقي ودوام الفيض الإلهي [را . الإنسان الكامل ، 2 / 89] .
فالإنسان وإن تحقق بكماله الإنساني وفاضت على ذاته ينابيع وصف الروح فإنه لا يقف ويتوقف ، بل على العكس يستمر في الترقي إلى ما لا نهاية ؛ لأن الفيض الإلهي لا ينقطع عن عبيده المحبين .
ولعل الجيلي هنا ربط بين طواف الإفاضة وبين دوام الفيض الإلهي للمقاربة اللفظية بين مفردي إفاضة وفيض .
وبعد أن طاف الجيلي طواف الإفاضة وتحقق بكماله الإنساني وراقب دوام ترقيه صلى ركعتين في مقام الخليل ، وبايعت روحه حبيبه على الحبّ والخلّة .

(110) فمكّنت من ملك الغرام وها أنا ..... مليك وسيفي في الصّبابة قاطع

المفردات :

مليك : صفة مشبهة على وزن فعيل ، تعني مالك على الدوام .
فمُكِّنت : يستعمل الصوفية التمكين في مقابل التلوين ، فيجعلون التلوين صفة أرباب الأحوال والتمكين صفة أهل الحقائق . والمتمكن لا يغيب عنه أبدا ولا يتوارى ما مكّن منه .

المعنى :

بعد أن حصّل الجيلي ملك الغرام تمكّن فيه . . . وها هو مالك للغرام على الدوام ، ملك متمكن من ملك الغرام ، وسيفه في العشق قاطع .

(111) وحقّقت علما واقتدارا جميع ما ..... تضمّنه ملكي ، وما لي منازع

المفردات :

واقتدارا : قدرة واستطاعة .

منازع : خصم ، من ينازعني الملك .

المعنى :

تحقق الجيلي بجميع ما فاض عليه من ينابيع الحق الصرف ، وهذا التحقق تمّ وعمّ المستويين العلمي القولي والعملي السلوكي ، أي كان تحققا عقائديا وتحققا سلوكيا .
وبعد هذا التحقق لم يعد له منازع يستطيع أن ينزع منه ما تحقق به من علم وعمل .

(112) فلمّا قضينا النسك من حجّة الهوى ..... وتمّت لنا من حيّ ليلى مطامع

المعنى :

بعد أن بيّن الجيلي تسلسل أركان مناسك الحج على الوجهة الشرعية السابقة ، وتممها في أعماقه بما يناسبها من شرع العشاق والوالهين في حجّهم ، تحققت مطامعه من المحبوب .
وها هو الآن يستعدّ لترك المسجد الحرام ، ويشدّ الرحال نحو المقام النبوي في المدينة المنورة .

خامسا شرح الأبيات 113 إلى 126 : المقام المحمدي

(113) شددنا مطيّ العزم نحو محمّد ..... وطفنا وداعا والدّموع هوامع
(114) وجبنا بتهذيب النّفوس مفاوزا ..... سباسب فيها للرّجال مصارع
(115) حمى درست للعاشقين رسومه..... فعزّ وكم قد خاب في العزّ طامع
(116) محلّ مجال القرب حال طريقه ..... وأوج منيع دونه البرق لامع
(117) ينكّس رأس الرّيح عند ارتفاعه ..... وكم زال عنه السّحب والغيث هامع
(118) ترى تحته بهرام في الأوج ساجدا ..... وكيوان من فوق السّموات راكع
(119) وكم رامح مذ رامه صار أعزلا ..... وفي قلبه من عقرب الفقر لاذع
(120) سريت به والليل أدجى من العمى ..... على بازل أفديه ما هو ضالع
(121) يجوب الفلا جوب الصّواعق في الدّجى ..ويرحل عن مرعى الكلا وهو جائع
(122) وإن مرّ بعد العسر بالماء إنّه ..... على ظمأ عن ذاك بالسّير قانع
(123) هي النّفس نعمت مركبا ، مطمئنّة ..... فليس لها دون المرام موانع
(124) فيا سعد إن رمت السعادة فاغتنم ..... فقد جاء في نظم البديع بدائع
(125) مفاتيح أقفال الغيوب أتتك في ..... خزائن أقوالي ، فهل أنت سامع
(126) كشفت عن اسرار الشّريعة فاتحها ..... فما وضعت إلا لتلك الشّرائع

شرح الأبيات :-

(113) شددنا مطّي العزم نحو محمّد ..... وطفنا وداعا والدّموع هوامع

المفردات :

مطي : جمع . مطية ، وهي الناقة التي يركب مطاها أي ظهرها . وطفنا وداعا : إشارة إلى طواف الوداع ، وهو الطواف الذي يقوم به الحاجّ قبل مغادرته مكة .

المعنى :

طاف الجيلي طواف الوداع قبل مغادرته مكة ، ثم شدّ العزم نحو المقام المحمدي . نفهم من ذلك أن الجيلي بعد أن قام بالأركان الخمسة على تمام أحكامها وأسرارها ، يتهيّأ ويشد عزمه ليتهذب بالمقامات ويترقى فيها

. وها هو حين يضع قبالة توجّه بدنه روضة النبي صلّى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ، يضع قبالة توجه أعماقه المقام المحمدي الذي هو غاية كل مقرب وأعلى مقامات القرب الإلهي ، وهو أوج منيع دونه البرق لامع.

(114) وجبنا بتهذيب النّفوس مفاوزا ..... سباسب فيها للرّجال مصارع

المفردات :

جبنا : قطعنا ، واخترقنا .

مفاوزا : مهالكا ، ج . مفازة ، وسميت الصحراء مفازة لأن من خرج منها وقطعها فاز .
سباسب : جمع . سبسب ، وهو الأرض المقفرة .
مصارع : مقاتل ، مهالك ، ومصارع القوم حيث قتلوا .
المعنى :
يقول الجيلي ؛ قطعنا طرقا مهلكة لتهذيب نفوسنا . وهذه الطرق كم قتل فيها من رجال .

(115) حمى درست للعاشقين رسومه ..... فعزّ ، وكم قد خاب في العزّ طامع
المفردات :
حمى : موضع محمي مصان .
درست : محيت ، وزالت .
رسومه : آثاره ،
المعنى :
إن المقام المحمدي محمي مصان عن كل دخيل ، والطريق إليه كذلك مصانة ومسيجة بأنواع المقاتل والمهالك من تخلّق وتعبّد وتهذيب . . .
وقد محيت آثارها وعلاماتها بحيث يزداد الوصول إلى المقام المحمدي صعوبة واعتزازا . . .
وكم ارتدّ عن طريقه طامع ، وخاب في الإقتراب من أعتابه.

(116) محلّ مجال القرب حال طريقه ..... وأوج منيع دونه البرق لامع
المفردات :
حال طريقه : استحال وصعب . **أوج** : حصن ، قمة . **منيع** : يمتنع الوصول إليه .

المعنى :
إن المقام المحمدي ، بل فلك هذا المقام ومجاله ، يستحيل الطريق اليه ويصعب ، لأنه حصن منيع يعلو فوق البرق .

(117) ينكّس راس الرّيح عند ارتفاعه ..... وكم زال عنه السّحب والغيث هامع
المفردات :
ينكس رأس الريح : يميل الريح ويقلبها إلى أسفل . **والغيث هامع** : والمطر هاطل ، وفي ذلك إشارة إلى الإغاثة والإمداد غير المنقطع .

المعنى :

هذا الحصن المنيع المرتفع ، يميل الريح عندما تريد الارتفاع إليه ، ويرجعها منكّسة إلى الأسفل . . . ويحمّل السحب أنواع رحماته ، فتغادره مثقلة بعطايا ترسلها غوثا للطالبين الملهوفين .

(118) ترى تحته بهرام في الأوج ساجدا ..... وكيوان من فوق السّموات راكع

المفردات :

بهرام : اسم المريخ . **كيوان :** زحل ، والمانع له من الصرف العجمة.

المعنى :

إن المقام المحمدي هو حصن منيع يعلو في رتبته فوق الأجرام السماوية ، ونرى تحته المريخ ساجدا ، وزحل من فوق السماوات راكعا . . .

والجيلي هنا يستوحي سجود الملائكة لآدم سجودا حسيا ، ليصور سجود الأجرام السماوية كلها للنبي صلّى الله عليه وسلم سجود مرتبة . . .

ولا نستغرب تصوير الجيلي سجود المريخ وزحل بالمرتبة للنبي صلّى الله عليه وسلم ، لأنه هو وحده الموعود من دون كل الكائنات " **بالمقام المحمود** " أعلى مكان ومقام في الجنة ، والجنة تعلو على الأجرام كلها .

(119) وكم رامح مذ رامه صار أعزلا ..... وفي قلبه من عقرب الفقر لاذع

المفردات :

رامح : نجم في السماء يقال له السماك ، سمي بالرامح لأن قبله كوكبا كأنه له رمح .

رامه : طلبه وأراده .

من عقرب الفقر : من عقرب الحرمان والعجز عن الوصول إلى مطلوبه .

المعنى :

كم نجم رامح أراد الوصول إلى المقام المحمدي ، ولكنه قصّر ولذعه عقرب الحرمان .

(120) سريت به والليل أدجى من العمى ..... على بازل أفديه ما هو ضالع

المفردات :

سريت : سرت ليلا . **أدجى :** أشدّ ظلاما . **بازل :** البعير إذا استكمل السنة الثامنة ، وفطر نابه يقال له حينئذ بازل ، والإشارة هنا إلى النفس البشرية التي يمتطيها الطالب للوصول إلى المقام المرجو .

أفديه : بمعنى نفسي فداه . **ما هو ضالع** : لما هو فاعل .

المعنى :

يقول الجيلي ؛ سرت في طريقي إلى طلب المقام المحمدي ، والليل أشدّ ظلاما من العمى . ركبت نفسي ، امتطيتها ولجمت رغباتها واهواءها كلها ، ولم أكتف بلجمها وامتطائها بل قدمتها فداء في مقابل ما تجنيه من قرب.

(121) يجوب الفلا جوب الصّواعق في الدّجى ...ويرحل عن مرعى الكلا وهو جائع

المفردات :

يجوب الفلا : يخترق الفلاة . **مرعى الكلا** : موضع الأكل والعشب .
جائع : الجوع من أركان الطريق الصوفي في البدايات عند أهل السلوك .

المعنى :

يتابع الجيلي وصف أحواله في طلب المقام المحمدي ، فيقول ؛ هذا البازل الذي هو نفسي ، يخترق الفلوات اختراق الصواعق للظلمات ، ويمر على مواضع الأكل دون أن يقترب بل يرحل عنها وهو جائع . . .
هنا سيبدأ الجيلي في تعداد مجاهداته على طريق التحقق بالمقام المحمدي ، وهو مقام يفنى فيه الواصل عن ذاته لتصبح ذاته مرآة تنعكس عليها أنوار كمالات محمد صلّى الله عليه وسلم.

(122) وإن مرّ بعد العسر بالماء إنّه ..... على ظمأ عن ذاك بالسّير قانع

المفردات :

بالسير قانع : مقتنع ، أي أنه مقتنع بأن يكمل سيره دون أن يشرب .

المعنى :

وكما يمر البازل ، الذي يرمز إلى نفس الجيلي ، على المراعي ويرحل عنها جائعا ، كذلك يمر بعد الظمأ بالماء ولكنه يقتنع بأن الأجدى والأولى له هو أن يترك الماء ويسير على ظمأ . . . مجاهدات تختلف من سالك لآخر . . .
قال أبو جعفر الحداد [الرسالة القشيرية 1 / 446] : " رآني أبو تراب النخشبي ، وأنا في البادية جالس على بركة ماء ، ولي ستة عشر يوما لم آكل ولم أشرب ، فقال لي : ما جلوسك ؟
فقلت : أنا بين العلم واليقين أنتظر ما يغلب فأكون معه ؛ يعني ، أن غلب عليّ العلم شربت ، وإن غلب اليقين مررت " . . .
وهكذا لكل سالك مجاهدات مخصوصة ، والغاية المطلوبة واحدة .

(123) هي النّفس نعمت مركبا ، ومطيّة ..... فليس لها دون المرام موانع

المفردات :

المرام : المراد والمطلوب .

المعنى :

هنا يعبّر الجيلي عن رضاه عن نفسه ، فهي نعم المركب والمطية إلى المطلوب ؛ لأنها لا تقف ولا تتعثر ولا تلتفت إلى أي مانع يحاول أن يقطع عليها طريق مطلوبها .

(124) فيا سعد إن رمت السعادة فاغتنم ، ..... فقد جاء في نظم البديع بدائع

المفردات :
رمت : أردت ، طلبت .
في نظم البديع بدائع : إشارة إلى قصيدته هذه العينية ، المنظومة .
المعنى :
يقول الجيلي هنا مخاطبا الطالبين للمقام المحمدي ؛ يا سعد إن أردت السعادة فاغتنم هذه الفرصة ، ذلك أنني أفصل لك في قصيدتي هنا أسرار طريق المقام المحمدي الذي تتم سعادتك بالوصول إليه .

(125) مفاتيح أقفال الغيوب أتتك في ..... خزائن أقوالي ، فهل أنت سامع
المفردات :
الغيوب : ج . غيب .
أقوالي : أي قصيدتي . **والمعنى** أن مفاتيح أقفال الغيوب مخزونة في هذه القصيدة .
المعنى :
يخاطب الجيلي طالب المقام المحمدي بقوله ؛ إن مفاتيح أقفال الغيوب تكشفت لك في قصيدتي هذه ، فهل أنت سامع ؟
بكلام آخر ، أيها السامع إفهم كلامي ، واعمل به ؛ تفتح لك أقفال الغيوب .

(126) كشفت عن اسرار الشّريعة فانحها ..... فما وضعت إلا لتلك الشّرائع
المفردات :
كشفت : الكشف في المفرد الصوفي هو بيان ما يستتر على الفهم ، فيكشف عنه للعبد كأنه رأي عين [الطوسي ، اللمع ، ص 422] .
فانحها : فاتجه نحو معرفتها .
المعنى :
كشفت لك أيها الطلب عما استتر على فهمك من أسرار الشريعة في قصيدتي هذه ، فتوجه نحو معرفتها وفهمها .
لأن الشرائع إنما وضعت من أجل الأسرار التي تطويها.

سادسا شرح الأبيات من (127) إلى البيت (140) : من مظاهر التوحيد "وحدة الوجود"

الجزء الأول

(127) وها أنا ذا أخفي وأظهر تارة ..... لرمز الهوى ، ما السرّ عندي ذائع
(128) وإيّاك أعني فاسمعي جارتي ، فما ..... يصرّح إلّا جاهل أو مخادع
(129) ولكنني آتيك بالبدر أبلجا ..... وأخفيه أخرى ، كي تصان الودائع
(130) خذ الأمر بالإيمان من فوق أوجه ..... ونازع إذا نفس أتتك تنازع
(131) فللمرء في التّنزيل أوفى أدلّة ..... ولكنّ قلبي بالحقائق والع
(132) وفي السّنّة الزّهراء كلّ عبارة ..... بها من إشارات الغرام وقائع
(133) فإن كنت ممّن ما له يد مأخذ ..... سوى بصريح للتّشكّك قانع
(134) سأنشي روايات إلى الحقّ أسندت ..... وأضرب أمثالا لما أنا واضع
(135) وأوضح بالمعقول سرّ حقيقة ..... لمن هو ذو قلب إلى الحق راجع
(136) تجلّى حبيبي في مرائي جماله ..... ففي كل مرأى للحبيب طلائع
(137) فلمّا تبدّى حسنه متنوّعا ..... تسمّى بأسماء فهنّ مطالع
(138) فأبرز منه فيه آثار وصفه ..... فذلكم الآثار ما هو صانع
(139) فأوصافه والاسم والأثر الذي ..... هو الكون ، عين الذات والله جامع
(140) فما ثمّ من شيء سوى الله في الورى ..... ولا ثمّ مسموع ولا ثمّ سامع

شرح الأبيات :-

(127) وها أنا ذا أخفي وأظهر تارة ..... لرمز الهوى ، ما السرّ عندي ذائع

المفردات :

لرمز الهوى : الرمز في لغة المتصوفين هو المعنى الباطن المخزون تحت كلام ظاهر لا يظفر به إلا أهله [الطوسي ، اللمع ، ص 422] .

السر : يطلق المتصوفون لفظ السر على ما يكون مصونا مكتوما بين العبد وربه من الأحوال ، والسر لا يذاع بل يرمز إليه بالإشارات .
[الكمشخانوي ، جامع الأصول ، ص 193 . الهجويري ، كشف المحجوب ، ص 629].

المعنى :

لا تظن ، أيها الطالب ، أنني سأصرح لك بالعبارة عن أسرار الشريعة كلها ، فما أنا ممن يذيع الأسرار . . .
ولكنني أبدي لك تارة حال العابد العاشق ، وأخفيه عنك طورا ، حتى يفهم العاشق منكم إشاراتي ، وتخفى رموزها على اللاهي .

(128) وإيّاك أعني فاسمعي جارتي ، فما ..... يصرّح إلّا جاهل أو مخادع

المفردات :

يصرح : يكشف الأسرار صراحة ، ويستخدم المتصوفة " **التصريح** " في مقابل " **التلويح** " بالأسرار .

المعنى :
وأنت أيها الطالب للمقام المحمدي ، أنت مقصودي بالخطاب مهما ورّيت برمز أو بإشارة ، فاسمع وافهم عني . . .
وإنني لن أصوغ لك الأسرار عبارة صريحة . فما يصرّح بالأسرار إلا جاهل غفل عن كون الأسرار لا تحتملها الكلمات ، أو مخادع يصرّح بالأسرار حتى يقال عنه إنه صاحب سر ، ويشار إليه بالعرفان والولاية .

(129) ولكنني آتيك بالبدر أبلجا ..... وأخفيه أخرى ، كي تصان الودائع

المفردات :
أبلجا : واضحا ، ظاهرا ، بيّنا . تصان : تحفظ .

المعنى :
يقول الجيلي ؛ هذه الأسرار سأوضحها لك تارة فتظهر بدرا غير منقوص ، وأخفيها تارة أخرى صونا لها لأنها ودائع لا تعطى إلا لأهلها .

(130) خذ الأمر بالإيمان من فوق أوجه ..... ونازع إذا نفس أتتك تنازع

المفردات :
من فوق أوجه : من فوق وجهات النظر العقلية المتعددة . فللعقل أوجه كثيرة وسبل متعددة . **نازع :** خاصم النفس ، وحاربها .

المعنى :
يخاطب الجيلي طالب الأسرار ، قائلا ؛ خذ أيها الطالب هذه الأسرار التي أوضحتها لك بالإيمان من فوق وجهات النظر العقلية المتعددة.
فالإيمان يعلو بوحدته على تعددية السبل العقلية . . . سلّم لمضمون الإيمان ، ولكن إذا ما بدأت النفس بتقديم الحجج فنازعها وجاذبها حجة بحجة ، دفاعا عن إيمانك .

(131) فللمرء في التّنزيل أوفى أدلّة ..... ولكنّ قلبي بالحقائق والع

المفردات :
التنزيل : القرآن . أدلة : ج . **دليل** : وهو الحجة العقلية المنطقية .
بالحقائق : ج . حقيقة . والحقائق في لغة المتصوفين هي المعاني القائمة بالقلوب ، وهي منح من الله عزّ وجلّ تنكشف من الغيوب ،
ونجد معناها في قول النبي صلّى الله عليه وسلم لحارث :
" **كيف أصبحت** ؟ قال : أصبحت مؤمنا حقا . . . الحديث " [الكمشخانوي ، جامع الأصول . ص 38] .

المعنى :
يقول الجيلي مخاطبا الطالب للمقام المحمدي ؛ إن لم يسلّم قلبك للإيمان من فوق أوجه العقل ، فارجع إلى القرآن الكريم تجد فيه أدلة كافية على ما أطلب منك الإيمان به تسليما ،
ولكن قلبي أنا - أي الجيلي - مولع بالحقائق ، مسلّم لا يريد ولا يطلب دليلا ، لأنه لا ترضيه درجة اليقين الموجودة في الدليل العقلي .
والجيلي هنا تولّع قلبه بالحقائق ، ولكنه بدل أن يطلب الدليل العقليّ عليها ينتظر أن يمنّ الله عليه فتنكشف له هذه الحقائق من الغيوب ، وتتنزّل سكينة على قلبه .
والجيلي وإن كان لا يريد الدليل العقلي على الحقائق ، فهو يريد أن يتحقّق قلبه بمعاني هذه الحقائق .

(132) وفي السنّة الزّهراء كلّ عبارة ..... بها من إشارات الغرام وقائع
المفردات :
عبارة : تفصيل وبيان . **إشارات :** رموز وتوريات . وعند الصوفية هناك مواضيع تحتمل أن يعبّر عنها في جمل واضحة مفصّلة ، ومواضيع لا تحتملها الجمل ، ولا تقبل معانيها التفصيل لذلك يشيرون إليها إشارة .وعلى اللبيب أن يلتقطها .
وقائع : ج . وقعة ، وهي المرة من السقوط والوقوع ، والمقصود هنا أن السنة النبوية يقع فيها الكثير من إشارات الغرام .
المعنى :
يقول الجيلي مخاطبا الطالب للمقام المحمدي ، إن لم يسلّم قلبك للإيمان ، فارجع إلى القرآن الكريم ففيه أدلة كافية ، وارجع إلى السنّة النبوية الزهراء الواضحة ، ففيها كل بيان وتفصيل ؛ وستجد في تفصيلاتها إشارات للعبّاد العشّاق الذين تولّعت قلوبهم بالمعاني والحقائق .

(133) فإن كنت ممّن ما له يد مأخذ ..... سوى بصريح للتّشكّك قاطع
المفردات :
ما له يد مأخذ : لا يقدر على الأخذ بالإشارات . بصريح للتشكك قاطع : لا يقطع تشكّكه إلا صريح العبارة . . . .
المعنى :
فإن كنت أيها الطالب ، ممن لا يقدر على الأخذ بالإشارات ، ولا يقطع تشكّكه إلا صريح العبارة .

(134) سأنشي روايات إلى الحقّ أسندت ..... وأضرب أمثالا لما أنا واضع
المفردات :
أسندتُ : نسبت . لما أنا واضع : لما أنا منشىء من الكلام ، لما أقول .

المعنى :
يخاطب الجيلي طالب الحق ، قائلا ؛ إن كنت أيها الطالب ممن لا يفهم الإشارات ويكتفي بها ، فسأورد لك روايات أسندت إلى الحق عزّ وجلّ خاطبنا بها في القرآن والأحاديث القدسية .
وسأضرب لك الأمثال على أقوالي هذه .
ونلاحظ أن الجيلي سيبدأ في الأبيات اللاحقة ببيان وبتفصيل علاقة الحق بالخلق ، نقلا وعقلا وتمثيلا .

(135) وأوضح بالمعقول سرّ حقيقة ..... لمن هو ذو قلب إلى الحقّ راجع

المفردات :
راجع : إن الانقلاب من الدنيا إلى الحق عزّ وجلّ هو في الواقع رجوع ، فالإنسان يرجع إلى الحق من الخلق ومن نفسه ، والغفلة عارضة .
المعنى :
يتابع الجيلي خطابه مع طالب الحق ، فيقول ؛ سأوضح لك ، أيّها الطالب ، بالأدلة العقليّة أسرار الحقائق .
فإن كنت صاحب قلب يطلب الرجوع إلى الحق ، فإنك ستقتنع بها وتحصّلها.

(136) جلّى حبيبي في مرائي جماله ..... ففي كل مرأى للحبيب طلائع

المفردات :
تجلى : ظهر . وتجلّي الحق في المرائي يكون للخواص من الصوفية.
يقول القشيري [الرسالة 1 / 243] : " وأما الخواص فهم بين طيش وعيش ، لأنهم إذا تجلّى لهم طاشوا ، وإذا ستر عليهم ردّوا إلى الحظ فعاشوا . " وإذا تجلى الحق عزّ وجلّ للإنسان في المرائي فإنه يشهده في كل مرأى .
مرائي :ج . مرأى ، وهو المنظر المرئي . **طلائع :** ج . طلعة وهي هنا تعني الظهور.
المعنى :
يقول الجيلي ؛ ظهر حبيبي في مرائي المخلوقات ، فلا ينظر ناظر إلى مشهد إلا ويرى نور جمال الحق طالعا فيه .
فالحق عزّ وجلّ إذا تجلّى لإنسان في مرائي المخلوقات ، وأشهده جماله في كل صورة ومرأى ، أنطقه " بوحدة الشهود " . ووحدة الشهود هي أن يشهد الإنسان الحق عزّ وجلّ في كل موجود ، ولا يرى لغيره وجودا . . .
ينظر إلى المخلوقات ولا يرى بعين قلبه إلا الله عزّ وجلّ ، لأنه تعالى لا يخلو منه مكان أو إنسان أو زمان .
وسيفصّل الجيلي في الأبيات اللاحقة ، كيف أن الوجود بأسره تحوّل إلى مظهر والظاهر فيه هو الحق عزّ وجلّ .

(137) فلمّا تبدّى حسنه متنوّعا ..... تسمّى بأسماء فهنّ مطالع

المفردات :

تبدّى : ظهر . **مطالع** : ج . مطلع وهو موضع الطلوع ، وهنا هو ما نطلع منه إلى المعنى الواحد من هذه المناظر الجميلة المتعددة .

يقول الكمشخانوي [جامع الأصول ، ص 55] : " المطلع وهو مقام شهود الحق في كل شيء ، متجليا بصفاته التي ذلك الشيء مظهرها " .

قال النبي صلّى الله عليه وسلم : " إن لكل آية ظهرا وبطنا وحدّا ومطلعا " ، باختصار ، يمكن تعريف مطلع الشيء بأنه وجه الحق فيه [را . المعجم الصوفي . للشارحة].

المعنى :

تبدّى جمال الواحد متنوعا في حسن المظاهر الجميلة ؛ فأطلقنا على هذه المظاهر المتعددة أسماء جمال ، ولكنها أسماء فقط نطلع منها إلى المسمى الواحد ، إلى الجمال الأوحد .

فالجيلي ينظر إلى كل جميل على أنه مظهر للجمال الإلهي ، وبالتالي مدخل يرجعه إلى الواحد الجميل .

(138) فأبرز منه فيه آثار وصفه ..... فذلكم الآثار ما هو صانع

المفردات :

فأبرز منه فيه : فاظهر الحق منه في الكون . **الآثار** : أتى الجيلي بالآثار هنا معرّفة للتأكيد على هويتها ، فهي ليست كأي أثر آخر بل هي آثار صنعته تعالى .

ما هو صانع : لما هو صانع ، حذفت اللام للضرورة الشعرية .

المعنى :

أبرز الحقّ عزّ وجلّ في الكائنات آثار صفاته العلية . . . ويا من تنكر تجلّيه في الكائنات ، أنظر حولك هل تجد سوى آثار صنعته تعالى؟! .

(139) فأوصافه والاسم والأثر الذي ..... هو الكون ، عين الذات ، والله جامع

المفردات :

والله جامع : المقصود هنا هو مرتبة الألوهية الجامعة لوجهي الحق والخلق .

المعنى :

إن الأوصاف الإلهية والأسماء ، والكون الذي هو آثار الأوصاف والأسماء ، كل ذلك هو عين الذات ، فلا تعدّد ولا تعديد .

ومرتبة الألوهية تجمع الذات والأوصاف والأسماء والآثار .

ويرى الجيلي أن اسم " الله " هو اسم علم للذات الإلهية من جهة ، وهو من جهة ثانية اسم ترجع إليه الأسماء والصفات الإلهية كلها مع آثارها .

(140) فما ثمّ من شيء سوى الله في الورى ..... ولا ثمّ مسموع ولا ثمّ سامع

المعنى :

الجيلي هنا ، وبعد أن أنطقه جمال الحق المتجلي في مرائي المخلوقات بوحدة الشهود ، يقرر أنه لا وجود حقيقي لشيء في الوجود ، وإن الموجودات كلها فانية وحقيقة ذاتها الفناء ، لأنها لا تقوم بنفسها بل تقوم بقيوم السماوات والأرض .

ويقرر أيضا أنه ما من شيء في الوجود ، وما ثمة إلّا الله عزّ وجلّ ، فالحق تعالى هو الظاهر في كل شيء من الأشياء .

وينبغي هنا أن نسارع إلى التأكيد بأنه عند القائلين بوحدة الشهود فالله عزّ وجلّ وإن كان موجودا في كل شيء فهو ليس موجودا في شيء من الأشياء على التحديد ، وعين الكفران بالله تحديده عزّ وجلّ بشيء بعينه دون شيء .

تماما كما نؤكد عقلا ونقلا بأن الله عزّ وجلّ في كل مكان ، دون أن نحدّه تعالى بمكان دون مكان .

سادسا شرح الأبيات من (141) إلى البيت (159) : ظهور الحق عزّ وجلّ في كل شيء

الجزء الثاني

وفيما يلي من الأبيات [من البيت رقم 141 إلى البيت رقم 153] ، سيفصل الجيلي ظهور الحق عزّ وجلّ في كل شيء ابتداء من العرش والكرسي ووصولا إلى الجسم والدم .

وعلى الناظر ألا ينحجب بصورة العرش مثلا عن رؤية أن الحق عزّ وجلّ هو هويته ، وكذا في كل شيء .

فالله عزّ وجلّ هو الظاهر في الأشياء وهو عين ظهورها ، والأشياء كلها عدم محض وصور لا تقوم بنفسها لحظة واحدة .

(141) هو العرش والكرسيّ والمنظر العلى ..... هو السّدرة الّلاتي إليها المراجع
(142) هو الأصل حقا ، والهيولى مع الهبا ..... هو الفلك الدوّار ، وهو الطبائع
(143) هو النّور والظّلماء والماء والهوا ..... هو العنصر الناريّ ، وهو البلاقع
(144) هو الشمس والبدر المنير هو السّها .... و الأفق وهو النّجم وهو المواقع
(145) هو المركز الحكميّ والأرض والسّما ..... هو المظلم المقتام وهو اللّوامع
(146) هو الدّار وهو الحيّ والأثل والغضى..... هو النّاس والسّكان وهو المرابع
(147) هو الحكم والتّأثير والأمر والقضا ..... هو العزّ والسّلطان والمتواضع
(148) هو اللفظ والمعنى ، وصورة كلّ ما ..... يخال من المعقول أو هو واقع
(149) هو الجنس وهو النّوع والفصل إنّه ..... هو الواجب الذّاتيّ وهو الممانع
(150) هو العرض الطاري نعم وهو جوهر..... هو المعدن الصلدي وهو الموائع
(151) هو الحيوان الحيّ وهو حياته ..... هو الوحش والإنسيّ وهو السّواجع
(152) هو القيس بل ليلاه ، وهو بثينة ..... أجل بشرها ، والخيف وهو الأجارع
(153) هو العقل وهو النّفس والقلب والحشا ..... هو الروح وهو الجسم والمتدافع
(154) هو الموجد الأشياء وهو وجودها ..... وعين ذوات الكلّ وهو الجوامع
(155) بدت في نجوم الخلق أنوار شمسه ..... فلم يبق حكم النّجم والشمس طالع
(156) حقائق ذات في مراتب حقّه ..... تسمّى باسم الخلق والحقّ واسع
(157) وفي فيه من روحي نفخت كفاية ..... هل الرّوح إلا عينه يا منازع
(158) ونزّهه عن حكم الحلول فما له ..... سوى وإلى توحيده الأمر راجع
(159) فيا أحديّ الذّات في عين كثرة ..... ويا واحد الأشياء ذاتك شائع

<u>شرح الأبيات :-</u>

(141) هو العرش والكرسيّ والمنظر العلى .... هو السّدرة الّلاتي إليها المراجع

<u>المفردات :</u>

العرش : مظهر العظمة الإلهية ، وهو فلك محيط بجميع الأفلاك المعنوية والصورية ، شامل لجميع أنواع الموجودات .
ويرى الجيلي أن العرش في الوجود الكوني هو نظير الجسم في الوجود الإنساني ، من حيث أن الجسم جامع لجميع ما تضمنه وجود الإنسان من روح وعقل وقلب وأمثال ذلك [الإنسان الكامل ، 2 / 4 - 5] .
الكرسي : مظهر الاقتدار الإلهي ، ومحل نفوذ الأمر والنهي ، منه يبرز الأمر الإلهي في الوجود ، فهو محل فصل القضاء [الجيلي ، الإنسان الكامل ، 2 / 5] .
المنظر العلى : يرى الجيلي أن العرش هو المنظر الأعلى [الإنسان الكامل ، 2 / 4] .
السدرة اللاتي إليها المراجع : يقول الجيلي في [الإنسان الكامل ، ج 2 / ص 7] :
" سدرة المنتهى ، هي نهاية المكانة التي يبلغها مخلوق في سيره إلى الله تعالى . . .
ولا يمكن البلوغ إلى ما بعد سدرة المنتهى لأن المخلوق هناك مسحوق ممحوق ومدموس مطموس ملحق بالعدم المحض " .

المعنى :

يخاطب الجيلي الناظر إلى الكثرة بقوله ؛ لا تتحجب أيها الناظر بصورة العرش والكرسي والمنظر العلى وسدرة المنتهى ، فالحق عزّ وجلّ هو حقيقة كل ما نذكر . . . وهكذا يفصّل الجيلي الصور المقيدة للجمال المطلق المتجلي ، ابتداء من هذا البيت ووصولا إلى البيت رقم 153 ، لذلك سنكتفي في أكثر الأحيان بشرح مفردات هذه الأبيات فقط .

(142) هو الأصل حقا والهيولى مع الهبا ..... هو الفلك الدوّار وهو الطبائع

المفردات :

هو الأصل حقا : يراد بالأصل هنا اللوح المحفوظ ، ويشرحه الجيلي قائلا [الإنسان الكامل ، 2 / 6] : " إن اللوح المحفوظ عبارة عن نور إلهي حقي متجل في مشهد خلقي ، انطبعت الموجودات فيه انطباعا أصليا ، فهو أمّ الهيولي لأن الهيولي لا تقتضي صورة إلا هي منطبعة في اللوح المحفوظ .
والهيولى : الهيولى هي المادة الأولى غير المتعينة .
الهبا : الهباء عند المتصوفة ، هو المادة المحدثة التي خلق الله فيها صور العالم ، هو الجوهر المظلم الذي قبل صور أجسام العالم . جوهر يقبل المعاني . [را . المعجم الصوفي للشارحة مادة : الهباء] .
الفلك الدوار : إشارة إلى الأفلاك المحيطة بالموجودات ، والتي تسبح الموجودات ضمن مجالها .

المعنى :

يقول الجيلي [الإنسان الكامل ، 2 / 67] : " إن جملة الأفلاك التي خلقها الله تعالى في هذا العالم ثمانية عشر فلكا .

الفلك الأول : العرش المحيط ،
الفلك الثاني : الكرسي ،
الفلك الثالث : الأطلس وهو فلك سدرة المنتهى ،
الفلك الرابع : الهيولى ،
الفلك الخامس : الهباء ،
الفلك السادس : العناصر ،
الفلك السابع : الطبائع . . . الخ . . . ثم لكل موجود في العالم فلك وسيع يراه المكاشف ، ويسبح فيه ، ويعلم ما يقتضيه ، فلا تحصى الأفلاك لكثرتها .
قال الله تعالى :كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ[الأنبياء : 33]
الطبائع : إشارة إلى الطبائع الأربعة وهي : **الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة** .

(143) هو النّور والظّلماء والماء والهوا ..... هو العنصر الناريّ وهو البلاقع

المفردات :

البلاقع : ج . بلقع ، وهي الأرض القفراء الخالية ، وهنا الإشارة إلى عنصر التراب .

المعنى :

إن الله عزّ وجلّ هو حقا عين العناصر جميعها : النور والظلام ، الماء والهواء ، النار والتراب.

(144)هو الشمس والبدر المنير هو السّها ... هو الأفق وهو النّجم وهو المواقع

المفردات :

البدر المنير : يقول الجيلي [الإنسان الكامل ، 2 / 60 - 61] " : إن القمر جرم كمودي لا ضياء له في نفسه من حيث هو ، بل إنه إذا قابل الشمس بنصفه أخذ منها النور ، فلا يزال نصفه منيرا ونصفه الذي لم يقابل الشمس يكون مظلما ، ولهذا لا يرى نور القمر إلا من جهة الشمس أبدا بخلاف بقية الكواكب السيّارة ، فإن كل كوكب منها يقابل الشمس في جميعها .
فمثلها (أي الكواكب) مثل البلورة الشفافة إذا وقع فيها النور سرى في ظاهرها وباطنها ، بخلاف القمر فإنه كالكرة المعدنية المصقولة لا تقبل النور إلا في مقابلة الشمس ولهذا ينقص نوره في الأرض ويزيد ، بخلاف بقية الكواكب."
"**السها :** كويكب صغير خفي الضوء ، **والمراد هنا** : جنس الكواكب .
المواقع : أي مواقع النجوم ، وقد أقسم بها رب العالمين .

المعنى :

إن الله عزّ وجلّ هو - حقا - الشمس والقمر ، هو الكواكب وآفاقها ، هو النجوم ومواقعها .

(145) هو المركز الحكميّ والأرض والسّما .... هو المظلم المقتام وهو اللّوامع

المفردات :
المركز الحكمي : مركز الأحكام ج . حكم . قال تعالى :إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ[الأنعام : 57 ، يوسف : 40 ، 67] . المقتام : الشديد السواد .
المعنى :
إن لله عزّ وجلّ الأحكام في الأرض والسماء ، وهو - حقا - الأرض والسماء . وسبق أن أشار الجيلي في البيت رقم 143 إلى أن الله عزّ وجلّ هو -حقا - **الظلام والنور** ، وهنا يقول إن الله هو - حقا - المظلم المنير .
فالله عزّ وجلّ هو - حقا - النور والظلام وهو كل منير ومظلم .

(146) هو الدّار وهو الحيّ والأثل والغضى ..... هو النّاس والسّكان وهو المرابع
المفردات :
الحي : مجموع الدور . **والأثل :** نوع من الشجر . **الغضى :** شجر ، واحدته غضاة.
المعنى :
إن الله عزّ وجلّ هو - في الحقيقة والشهود - الدار بل هو الحي ومجموع الدور كلها ، وهو تعالى الشجر والناس والسكان والمكان .

(147) هو الحكم والتّأثير والأمر والقضا ..... هو العزّ والسّلطان والمتواضع
المفردات :
والمتواضع : القريب من العباد ، وظهور الحق عزّ وجلّ في مجالي القرب نجد دليله في أكثر من حديث قدسي .
المعنى:
ورد في الخبر ؛ أنّ الله عزّ وجلّ يقول : يا عبدي مرضت فلم تعدني .
فيقول : يا رب كيف أعودك وأنت رب العالمين .
فقال : يا عبدي ، أما علمت أنّ عبدي فلانا مرض فلم تعده ، أما إنك لو عدته لوجدتني عنده .

(148) هو اللفظ والمعنى وصورة كلّ ما ..... يخال من المعقول أو هو واقع
المفردات :
كل ما يخال : كل ما يتصور ، وهو الممكن عقلا .
المعنى :
إن الله عزّ وجلّ هو - في الحقيقة والباطن - اللفظ وهو معناه ، وهو تعالى - الظاهر - فيما هو موجود واقع ، وما هو ممكن الوقوع ، معقول.

(149) هو الجنس وهو النّوع والفصل إنّه .... هو الواجب الذّاتيّ ، وهو الممانع
المفردات :

الجنس : هو اللفظ الكلي المقول على الكثرة من الأنواع التي تشترك فيما بينها بصفة واحدة أو أكثر . أو هو اللفظ الجامع لنوعين فصاعدا ، حيوان مثلا هو جنس بالنسبة لنوع الإنسان ولنوع الثعلب .
النوع : لفظ كلي يطلق على الحقيقة المشتركة بين جزئيات متكثرة بالعدد فقط في جواب ما هو ، كالإنسان مثلا هو نوع بالنسبة إلى سقراط وسقراط هو واحد من أعداد نوع الإنسان .
الفصل : المقول على الشيء في جواب أي شيء هو في ذاته ، أي ما يفصل النوع عن غيره من أنواع جنسه ، كالنطق للإنسان يفصله عن غيره من أنواع الحيوان .
الواجب الذاتي : الواجب الذاتي هو الله واجب الوجود بذاته لا بغيره .
الممانع : الذي يمتنع وجوده . وهو المحال .

المعنى :

إن الله عزّ وجلّ هو - في الحقيقة والشهود - الظاهر في الجنس في كل ما يحويه من أنواع وفصول ، وهو تعالى واجب الوجود بذاته وهو الممتنع الوجود في صورة تحصره وتحدّه .

(150) هو العرض الطاري نعم وهو جوهر .....هو المعدن الصلدي وهو الموائع

المفردات :

العرض الطاري : الطارىء ، بمعنى الحادث الذي يطرأ ويزول .
جوهر : القائم بنفسه الحامل لغيره ، أي الحامل للأعراض . أو هو الذي لا يفتقر وجوده إلى شيء آخر .
المعدن الصلدي : الصلب القاسي .
الموائع : ج . مائع ، هو السائل .

المعنى :

إن الحق عزّ وجلّ يظهر في الجوهر الثابت وفي الأعراض الزائلة ، كما يظهر في الصلب وفي السوائل .

(151) هو الحيوان الحيّ وهو حياته ..... هو الوحش والإنسيّ وهو السّواجع

المفردات :

الحيوان الحي : أي كل حي يتحرك ، تمييزا له عن النبات .
الوحش : الحيوان . **الإنسي :** الإنسان . **السواجع :** الطيور ، لأنها تسجع .

المعنى :

إن الحق عزّ وجلّ هو الظاهر في كل حي متحرك بل هو حياة كل حي ، وهو تعالى يظهر بما يليق به من التنزيه في الوحش والإنس والطير .

(152) هو القيس بل ليلاه وهو بثينة ..... أجل بشرها والخيف وهو الأجارع

المفردات :

القيس : هو المحبّ العاشق ، أو جنس العشّاق . وقد تفرد قيس لجنونه من بين العشاق بحيث أصبح اسمه علما على العشاق المهيّمين الوالهين .
ليلاه : هي المحبوبة ، وهنا كذلك المراد : جنس المحبوبة مطلقا
والخيف : المكان من الجبل مرتفع عن السيل .
الأجارع : ج . أجرع ، وهو المكان السهل المنبسط ، ولعل الجيلي أراد هنا بالخيف والأجارع أماكن لقاء أو سكنى العشاق والمعشوقين.

المعنى :

إن الله عزّ وجلّ يظهر في العاشق والمعشوق ، هو قيس وليلاه هو بثينة وبشرها . . . هو السكان وهو المكان ، كذاك هو العشاق وهو أماكن لقاهم وسكناهم .

(153) هو العقل وهو النّفس والقلب والحشا .... هو الروح وهو الجسم والمتدافع

المفردات :

والمتدافع : المدفوع دفعا ، ونفهم إشارة الجيلي هنا على أنها الدم المتدافع في العروق .

المعنى :

بعد أن تجوّل نظر الجيلي في السماوات والأرض وشهد أن الله عزّ وجلّ هو عين كل شيء ، هو العرش والكرسي ، هو الشمس والقمر ، هو الأحياء وحياتها ، هو الشجر والناس والمكان ، هو الكلمة ومعناها ؛ باختصار أينما ولّى الجيلي وجهه شهد الحقّ ظاهرا في كل مرأى . . . وكما في الآفاق كذلك في الأعماق .
وهنا ينظر الجيلي إلى أعماقه ، إلى ذاته ، ويشهد أنّ الحق عزّ وجلّ كذلك هو عين وجود عقله ونفسه وقلبه وحشاه وروحه وجسمه ودمه.

(154) هو الموجد الأشياء وهو وجودها ..... وعين ذوات الكلّ وهو الجوامع

المعنى :

إن الله عزّ وجلّ هو الذي أوجد الأشياء جميعها ، وقد تجلّى فيها حين أوجدها .
فهو تعالى موجد الأشياء وهو وجودها ، أي عين لذواتها.

(155)بدت في نجوم الخلق أنوار شمسه ..... فلم يبق حكم النّجم والشمس طالع

المعنى :

إن الصورة التقليدية التي تجمع بين الشمس والنجوم وردت في قول الشاعر (النابغة)
فإنّك شمس والنجوم كواكب ..... إذا طلعت لم يبد منهنّ كوكب
ومعناه ، إن نور الشمس إذا بدا خبت من سطوعه أنوار النجوم ، بكلام آخر ، الفارق بين نور الشمس ونور النجم والكوكب هو فارق في شدة الضياء وضعفه.

ولكن الجيلي هنا يفارق هذه الصورة التقليدية ويرى أن النور البادي في النجوم صفته الأساسية أنه ليس ذاتيا ، بل هو نور مستعار يرجع في أصله إلى الشمس ؛ وإن الفرق بين نور الشمس وبين نور الكواكب هو كالفرق بين ما هو ذاتي وما هو معار .

وكيف للإنسان أن ينسب للنجم نورا ، والشمس - الذي وهبته نوره - طالعة ؟!
ولا حكم للجزء أو المظهر وهو النجم ، عند ظهور الأصل وهو الشمس (حاشية رقم 144 . شرح لفظ " بدر).
فيكون معنى هذا البيت ، أن الخلق هم كالنجوم ، نورهم معار من الشمس ، وتظهر فيهم أنوار شمس الحق ، لذلك حين تطلع شمس الحق في أفق الكون لا يبقى للخلق حكم .

(156) حقائق ذات في مراتب حقّه ..... تسمّى باسم الخلق والحقّ واسع

المفردات :

مراتب : ج . مرتبة ، والجيلي يبني جوانب كثيرة من نظريته في الخلق والكون والإنسان على الذات الواحدة والمراتب المتعددة .
فالذات عند الجيلي هي حقيقة دائما وتتمتع بوجود حقيقي ، على حين أن المرتبة هي حقيّة ولكن وجودها معار .
تسمى : أي تتسمى ، والمقصود حقائق ذات تتسمى

المعنى :

كل ما هو كونيّ إنساني عند الجيلي فهويته الحقيقية أنه مرتبة وليس ذاتا ؛ وعلى سبيل المثال ، فالإنسان حين يتصف بالعلم لا يمتلك العلم إمتلاكا ذاتيا ، بل يظل علمه مرتبة معرضة للزوال في كل حين . والعالم ذاتا لا رتبة هو الله عزّ وجلّ فقط .
وهكذا كل صفة من صفات الخلق هي مرتبة وكل صفة من صفات الحق عزّ وجلّ هي ذات.
فإن ظهرت في إنسان صفة إلهية ، كالعلم أو الحياة أو القدرة أو السمع أو البصر أو غيرها ، فظهورها يظل في الواقع ظهور مرتبة ولا يبلغ جوهر الذات ؛ أي ظهورا عرضي وليس ظهورا جوهريا ذاتيا .
فيكون معنى هذا البيت ، أنّ حقائق الذات أي الصفات الإلهية عندما ظهرت وتنزلت في مراتب الكائنات ، تسمّت في مظاهرها باسم الخلق ، ولكن هي أسماء فقط ، لأن الحق عزّ وجلّ هو أوسع من أن تحصره رتبة أو يحده مظهر.

(157)وفي " فيه من روحي نفخت " كفاية ..... هل الرّوح إلا عينه يا منازع

المفردات :

وفي " فيه من روحي نفخت " : وفي آية :فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ[الحجر : 29] .

كفاية : دليل كاف . **يا منازع :** يا مجادل في الحق .

المعنى :

يخاطب الجيلي المنازع بقوله ؛ يا من تنازع وترفض أن تشاهد الحق في المرائي ، لك في الآية الكريمة :فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ[الحجر : 29] دليل كاف .

فالحق عزّ وجلّ نفخ من روحه في آدم عليه السّلام ، وهل الروح إلا العين؟!

(158) ونزّهه عن حكم الحلول فما له ..... سوى ، وإلى توحيده الأمر راجع

المفردات :

الحلول : القول بأن الله عزّ وجلّ يحل في الإنسان ، " اللاهوت يحل في الناسوت " .

راجع حاشية البيت (رقم 203) .

سوى : غير يشاركه الوجود .

المعنى :

يقول الجيلي ؛ ولا تظن أيها السامع ، أنّني أقول بحلول الحق عزّ وجلّ في المخلوقات ، بل العكس ؛ إنني أقول بتنزيه الحق عن الحلول بمخلوق .

ونقول : إن مقولة الجيلي تغاير مقولة الحلول ، لأن الحلول يفترض إثنينية في الكون ، يفترض حالّا ومحلا يتشاركان الوجود ويتشاطرانه ، والجيلي لا يرى - عقلا وعقيدة - سوى الحق ، ولا يرى - شهودا - سوى الحق .

هذا هو التوحيد الذي يثبته الجيلي ويدافع عنه عقلا وشهودا .

فالتوحيد في نظره يستوجب تنزيها للحق ، والتنزيه هو ألّا يشاركه في الوجود سواه .

فإن لم يتمكّن الإنسان من شهود هذا التنزيه فعليه أن يؤمن به قلبا ، أو يقتنع به عقلا .

(159) فيا أحديّ الذّات في عين كثرة ..... ويا واحد الأشياء ذاتك شائع

المفردات :

فيا أحديّ الذات : الأحدية اسم لصرافة الذات المجردة عن كل اسم أو صفة [الإنسان الكامل ، 1 / 25 - 26] .

ويا واحد الأشياء : الواحدية اسم للذات التي تظهر فيها الأسماء والصفات ، ولكن ظهور الأسماء والصفات في الواحدية يكون بحكم الذات ، لذلك كل اسم هو عين الاسم الآخر ، فالمنعم هو عين المنتقم وهكذا .

ذاتك شائع : واحديتك شائعة في المخلوقات .

المعنى :

الجيلي هنا يناجي ربّه مناجاة عارف لم تضله تجليات الحق المتنوعة في صور الكائنات ، فهو يشهد من خلف الكثرة أحدية ذات الأحد ، ويعلم حقا أنه مهما تنوعت تجليات الحق وشاعت في المظاهر المخلوقة ، فهو أبدا واحد من خلف حجب الأشياء.

بكلام آخر ، يجول الجيلي بعينه وينظر إلى صور الكائنات ، ويشهد تجلي الحق في الصور ، ولكن قلبه المقيم على شهود الواحد من خلف حجب الصور ، يناجي ربه **قائلا :** واحد أحد .

سابعا شرح الأبيات من (160) إلى (185) نظرية الجيلي في الجمال الإلهي والجمال الكوني .

(160) تجلّيت في الأشياء حين خلقتها ..... فها هي ميطت عنك فيها البراقع
(161) قطعت الورى من ذات نفسك قطعة ..... ولم تك موصولا ولا فصل قاطع
(162) ولكنّما أحكام رتبتك اقتضت ..... ألوهيّة ، للضدّ فيها التّجامع
(163) فأنت الورا حقّا ، وأنت أمامنا ..... وإنّك ما يعلو وما هو واضع
(164) وما الخلق في التّمثال إلا كثلجة ..... وأنت بها الماء الذي هو نابع
(165) فما الثلج في تحقيقنا غير مائه ..... وغيران في حكم دعته الشّرائع
(166) ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه ..... ويوضع حكم الماء والأمر واقع
(167) تجمّعت الأضداد في واحد البها ..... وفيه تلاشت ، فهو عنهنّ ساطع
(168) فكلّ "بهاء في ملاحة صورة ..... على كلّ قدّ ، شابه الغصن ، يانع
(169) وكلّ اسوداد في تصافيف طرّة ..... وكلّ احمرار في الطّلائع ناصع
(170) وكلّ كحيل الطّرف يقتل صبّه ..... بماض كسيف الهند ، حالا مضارع
(171) وكلّ اسمرار في القوائم كالقنا " ..... عليه من الشّعر الرّسيل شرائع
(172) وكلّ مليح بالملاحة قد زها ..... وكلّ جميل بالمحاسن بارع
(173) وكلّ لطيف جلّ أو دقّ حسنه ..... وكلّ جليل وهو باللطف صادع
(174) محاسن من أنشا ، لذلك كلّه ..... فوحّد ولا تشرك به ، فهو واسع
(175) وإيّاك لا تلفظ بغيريّة البها ..... فما ثمّ غير وهو بالحسن بادع
(173) وكلّ قبيح إن نسبت لحسنه ..... أتتك معاني الحسن فيه تسارع
(177) ولا تحسبنّ الحسن ينسب وحده ، ..... إليه البها والقبح بالذّات راجع
(178) يكمّل نقصان القبيح جماله ..... فما ثمّ نقصان وما " ثمّ "باشع
(179) ويرفع مقدار الوضيع جلاله ..... إذا لاح فيه فهو للوضع رافع
(180) فلا تحتجب عنه لشين بصورة ..... فخلف حجاب العين للحسن لامع
(181) وأطلق عنان الحقّ في كلّ ما ترى ..... فتلك تجلّيات من هو صانع
(182) فقد خلق الأرضين بالحقّ والسّما ..... كذا جاء في القرآن إن أنت سامع
(183) وما الحقّ إلا الله لا شيء غيره ..... فشمّ شذاه فهو في الخلق ضائع
(184) وشاهده حقّا فيك منك فإنّه ..... هويّتك اللآتي بها أنت يانع
(185) وفي أينما حقّا تولّوا وجوهكم ..... فثمّة وجه الله ، هل من يطالع

شرح الأبيات :-

(160) تجلّيت في الأشياء حين خلقتها ..... فها هي ميطت عنك فيها البراقع

المفردات :

ميطت : أي أميطت بمعنى كشفت . **البراقع :** وهنا الحجب على الحق .

المعنى :

إن الحق عزّ وجلّ تجلى في الأشياء حين خلقها ، وما ينظر الجيلي إلى شيء إلا ويبصر وجه الحق فيه ، وها هي قد كشفت حجب المظاهر عن صفحة الأشياء فظهر وجه الحق فيها .

(161) قطعت الورى من ذات نفسك قطعة ..... ولم تك موصولا ولا فصل قاطع

المفردات :

ولم تك موصولا : أي موصولا بالخلق . ولا فصل قاطع : ولا مفصولا عن الخلق .

المعنى :

في هذا البيت يبين الجيلي طبيعة العلاقة بين الحق والخلق ؛ فالحق عزّ وجلّ نفخ في الإنسان من روحه ، فكان الإنسان من روح الله ، دون حلول أو اتحاد ، وفي الوقت نفسه دون فصل أو وصل.

(162) ولكنّما أحكام رتبتك اقتضت ..... ألوهيّة ، للضدّ فيها التّجامع

المفردات :

رتبتك : رتبة الألوهية الجامعة للأضداد .

المعنى :

إن الله واحد أحد ، ولكن حيث أن رتبته تعالى اقتضت ألوهيته للأكوان ؛ فهو تعالى إله الكائنات وربها .

بكلام آخر ، هناك علاقة بين الله وبين مخلوقاته تظهر في ربوبيته لهم . فالله عزّ وجلّ وإن كان هو الواحد في صفاته والأحد في ذاته فهو أيضا الذي يجمع الأضداد في ألوهيته وربوبيته لعبيده . فالواحد الأحد في ذاته هو النافع والضار وهو الرافع الخافض وهو المعز المذل في علاقته بمخلوقاته .

(163) فأنت الورا حقّا ، وأنت أمامنا ..... وإنّك ما يعلو وما هو واضع

المفردات :

الورا : جهة الوراء . **أمامنا :** إشارة إلى جهة الأمام . **وأنك ما يعلو** : إشارة إلى العلو وجهة الفوق . **وما هو واضع** : إشارة إلى جهة التحت.

المعنى :

يخاطب الجيلي هنا ربّه قائلا : فأنت الأول وأنت الآخر وأنت الظاهر وأنت الباطن ، ويستخدم الجيلي في هذا الخطاب لغة الجهات الأربع ، فالأمام إشارة إلى اسمه تعالى الأول ، والوراء إشارة إلى اسمه تعالى الآخر ، والعلو والفوق إشارة إلى اسمه تعالى الظاهر ، والتحت إشارة إلى اسمه تعالى الباطن .

(164) وما الخلق في التّمثال إلا كثلجة ..... وأنت بها الماء الذي هو نابع

المفردات :

وما الخلق : وما المخلوقات . **في التمثال :** في المثل ، وعلى التشبيه .

المعنى :

يستخدم الجيلي صورة تشبيهية هي الثلجة وماؤها ، ليعبّر عن تصوره لنمط العلاقة بين الحق والخلق .

فيقول ، ولله المثل الأعلى ، إن المخلوقات في التمثال هي كالثلجة ، وإن الحق تعالى هو كالماء الذي يمدّها بالوجود .

فالخلق متوهم ، ولا يوجد بمعزل عن الحق القائم به أبدا.

(165) فما الثلج في تحقيقنا غير مائه ..... وغيران في حكم دعته الشّرائع

المفردات :

في تحقيقنا : في التحقيق ، في الحقيقة التي تظهر عند تدقيق النظر .

غيران : مثنى غير ، أي اثنان متغايران .

المعنى :

وإن كان الثلج ليس غير مائه على التحقيق ، إلا إننا بحكم الشرع ننظر إليهما على أنهما غيران أي اثنان مختلفان .

فنقيم الحدّ مثلا ، ويجب علينا ذلك ، على كل إنسان ظهر عليه ما يوجب إقامة الحدّ في حكم الشرع .

ولا نتعلل بقولنا إنّ الثلج ليس غير مائه [را. الجيلي .الإنسان الكامل ، 34 / 1].

(166) ولكن بذوب الثلج يرفع حكمه ..... ويوضع حكم الماء والأمر واقع

المفردات :

يرفع : ينسخ ويبطل .

المعنى :

يتابع الجيلي صورة الثلجة ومائها ، فيرى أنه متى ذاب الثلج أي فني العبد ، يرفع حكم العبد ويكون البقاء لله وحده بعد فناء خلقه .

(167) تجمّعت الأضداد في واحد البها ..... وفيه تلاشت ، فهو عنهنّ ساطع

المفردات :

البها : البهاء هو الحسن . **تلاشت** : ذابت الأضداد واختفت . **عنهن** : بدلا منهن ، نيابة عنهن .

المعنى :

إن معاني الأسماء الإلهية المتقابلة تظهر في الكائنات على تضادها ، فالرافع غير الخافض ، والمعز غير المذل .

ولكن هذا التضاد يزول ويتلاشى حين تتوحّد معاني هذه الأسماء بتوجهها مجتمعة للدلالة على ذات الله تعالى ، وهنا الرافع هو الخافض ، والمعز هو المذل ، وكل الأسماء على تضاد معانيها تتوحد في دلالتها على مسمى واحد .
والجيلي هنا ، وبعد أن شهد معاني الأضداد في الكائنات أي شهد الحق متجليا في خلقه ، يشير إلى شهوده تجمع الأضداد في واحد البها أي يشير إلى فنائه عن رؤية الخلق بشهود الواحد . وأخيرا ، يفنى عن رؤية الأسماء بشهود الأحد.

(168) فكلّ بهاء في ملاحة صورة ..... على كلّ قدّ ، شابه الغصن ، يانع

المفردات :

يانع : ناضج ، مكتمل .

المعنى :

يرى الجيلي أن جمال الله تعالى الذي هو عبارة عن أوصافه العليا وأسمائه الحسنى ،
على نوعين :

النوع الأول معنوي ، وهو معاني الأسماء الحسنى والأوصاف العليا ، وهذا النوع اختص الحق بشهود كماله على ما هو عليه.
والنوع الثاني من الجمال الإلهي صوري ، وهو عالم المخلوقات ، من حيث أنه مجلى من مجالي الجمال الإلهي المطلق .
ولا يفرّق الجيلي في المخلوقات بين القبيح منها والمليح ، إذ لا قبح عنده في الوجود . فكل مخلوق قبيحا كان أم جميلا على الإنسان ألا ينظر إلى هيئته ، بل ينظر إلى موجده ، وينسبه إلى المتجلي فيه ، أي إلى الجمال الإلهي المطلق . . . فالوجود بأكمله جميل لأنه مجلى للجمال الإلهي ، وصنع الجميل المتعال . [را . الإنسان الكامل ، 1 / 53 - 54] .
وسيفصل الجيلي في الأبيات اللاحقة ووصولا إلى البيت رقم (174) ، صورا من الجمال المقيد في المخلوقات ، منبها إلى أنه مجرد مطلع يطلع منه إلى مشاهدة خالق هذا الجمال ، إلى الجميل الأزلي الأبدي الواحد .
وفي هذا البيت يرسم الجيلي صورة بهاء أينع في ملاحة وجه فوق قامة ممشوقة ناضجة كغصن أكتمل وأزهر .

(169) وكلّ اسوداد في تصافيف طرّة ..... وكلّ احمرار في الطّلّائع ناصع

المفردات :

تصافيف طرة : تصافيف غرة الشعر . **الطلائع** : ج . طلعة ، بمعنى وجه .

المعنى :

يرسم الجيلي هنا صورة بهاء ظهر في وجه ناصع البياض أحمر ، تدلّت على جبهته خصلات من الشعر الأسود.

(170) وكلّ كحيل الطّرف يقتل صبّه ..... بماض كسيف الهند ، حالا مضارع

المفردات :

كحيل الطرف : كحيل العين . **صبّه** : عاشقه . **بماض** : بنظر فاتن حادّ قاطع .
كسيف الهند حالا مضارع : إن هذا الطرف الكحيل يضارع حاله ، أي يشبه حاله ، حال سيوف الهند المشهورة بحدتها وجودتها .

المعنى :

يرسم الجيلي هنا صورة بهاء ظهر في عيون كحلاء ، تقتل عاشقها فتنة بنظر أمضى من السيف الهندي .

(171) وكلّ اسمرار في القوائم كالقنا ..... عليه من الشّعر الرّسيل شرائع

المفردات :

في القوائم : ج . قائم ، أي مستقيم ، والقوائم هنا صفة للقدود ، بمعنى في قدود مستقيمة . كالقنا : كالرماح . **الشعر الرسيل** : الشعر المرسل.
شرائع : ج . شرعة ، والشرعة حبالة تجعل شركا يصاد به الطير.

المعنى :

يمثل الجيلي هنا بصورة جمالية ، نساء مدبرات بقدود مستقيمة كالرماح ، والشعر مرسل شباكا للناظرين .

(172) وكلّ مليح بالملاحة قد زها ..... وكلّ جميل بالمحاسن بارع

المعنى :

بعد أن فصّل الجيلي في الأبيات السابقة صورا من الجمال المقيد ، يجمل هنا كل مليح وجميل .
فكلّ مليح زها بملاحته ، وكل جميل برعت محاسنه أي ظهر بحسن لم يسبق إليه

(173) وكلّ لطيف جلّ أو دقّ حسنه ..... وكلّ جليل وهو باللطف صادع

المفردات :

جل : عظم . دق : صغر وقلّ . صادع : ظاهر .

المعنى :

كل لطيف مهما عظم أو قلّ حسنه ، وكل جليل ظهر باللطف والحسن. . .

(174) محاسن من أنشا ، لذلك كلّه ..... فوحّد ولا تشرك به ، فهو واسع

المفردات :

محاسن : هو محاسن ، أي أن كل الحسن الذي عدده الجيلي في الأبيات السابقة هو محاسن . **من أنشا لذلك كله :** الصانع والمنشىء لهذا الحسن كله .
واسع : يتسع لكل مظاهر الحسن ، وفي ذلك إشارة إلى الوسع الإلهي .

المعنى :

يخاطب الجيلي الناظر إلى الحسن المقيد ويقول ؛ كل حسن قيّدته المظاهر السابقة هو في الحقيقة حسن المصور المبدع لهذا الحسن

فوحّد ، أيها الناظر ، ولا تشرك بحسنه ، مهما وقع نظرك على حسن مقيّد.

(175) وإيّاك لا تلفظ بغيريّة البها ..... فما ثمّ غير وهو بالحسن بادع

المفردات :

وإياك : تحذير بمعنى أحذرك . **بغيرية البها** : أن تقول بوجود بهاء غير البهاء الإلهي . **بالحسن بادع** : بالحسن ظاهر .

المعنى :

يتابع خطابه للناظر ، فيقول ؛ أحذّرك من القول بوجود بهاء غير البهاء الإلهي ، لأنه ما ثمّ غير وسوى في الكون ، وهو تعالى وحده فقط الظاهر بالحسن .

(176) وكلّ قبيح إن نسبت لحسنه ..... أتتك معاني الحسن فيه تسارع

المفردات :

إن نسبت لحسنه : إن نسبته وأرجعته للحسن الإلهي .

المعنى :

وكل قبيح تقع عليه عيناك في الكون ، إن أرجعته ونسبته للحسن الإلهي المصوّر له ، بمعنى إن نظرت إليه لترى أنه صنعة الله الجميل ، رأيت معاني الحسن تتسارع فيه .

(177) ولا تحسبنّ الحسن ينسب وحده ، ..... إليه البها والقبح بالذّات راجع

المفردات :

ينسب وحده : أي ينسب لذاته.

المعنى :

يتابع الجيلي خطابه للناظر إلى الحسن المقيد ، فيقول ؛ لا تظن - أيها الناظر - أن الحسن ذاتي للمخلوق الجميل ، بل إلى الحق عزّ وجلّ ترجع كل صورة وتنسب سواء أكانت جميلة أم قبيحة .

(178) يكمّل نقصان القبيح جماله ..... فما ثمّ نقصان وما ثمّ باشع

المفردات :

جماله : الجمال الإلهي . **باشع :** بشع .

المعنى :

إذا نظرت إلى القبيح ونسبته إلى مبدعة ، جاء الجمال الإلهي ليكمل نقصان القبيح ، فليس في الكون نقصان وليس في الكون باشع ، قبيح.

(179) ويرفع مقدار الوضيع جلاله ..... إذا لاح فيه فهو للوضع رافع

المفردات :

مقدار : قدر وقيمة . **الوضيع :** إشارة إلى كل من تدنى قدره لأي سبب .
إذا لاح فيه : إذا لاح الجلال الإلهي في الوضيع .

المعنى :

كما يكمل الجمال الإلهي نقصان القبيح ، كذلك يرفع الجلال الإلهي مقدار الوضيع إذا لاح فيه .

(180) فلا تحتجب عنه لشين بصورة ..... فخلف حجاب العين للحسن لامع

المفردات :

لشين : لعيب . حجاب العين : العين هي الحجاب على الحسن ، وليس القبح في الواقع هو الحجاب . للحسن لامع : للحسن لمعان والتماع .

المعنى :

يتابع الجيلي خطابه للناظر ، فيقول ؛ ولا يحجبك ، أيها الناظر ، القبح والعيب الذي تراه في صورة من الصور ، وتعتقد خطأ بأن العيب والقبح هما في الصورة . بل تأكد بأن الحسن يلمع في كل صورة وبأن الحجاب هو في عينك أنت . . . أزل حجاب العين تر التماع الحسن الإلهي في الصور كلها ، جميلها وقبيحها.

(181) وأطلق عنان الحقّ في كلّ ما ترى ..... فتلك تجلّيّات من هو صانع

المفردات :

وأطلق عنان الحق : لا تقيّد الحقّ بصورة ؛ والإطلاق في علم الكلام الصوفي هو ضد التقييد . **تجليات :** مظاهر .

المعنى :

الكلام موجّه أيضا للناظر ، **يقول الجيلي :** إذا أبصرت التماع الحسن الإلهي في صورة من الصور ، فإيّاك أن تقيّد الحقّ عزّ وجلّ في صورة . فالحق عزّ وجلّ له الإطلاق المطلق لا تقيّده صورة ولا مظهر ؛ وكل ما تراه من حسن في الكائنات هو تجلّيات صنعته تعالى .

(182) فقد خلق الأرضين بالحقّ والسّما ..... كذا جاء في القرآن إن أنت سامع

المفردات :

بالحق : إشارة إلى قوله تعالى :وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّماواتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ[الأنعام : 73] .المعنى :
يتابع الجيلي مخاطبة الناظر ، يقول ؛ جاء في القرآن الكريم أنّ الله عزّ وجلّ خلق السماوات والأرض بالحق ، فهل أنت فاهم - أيها السامع - لهذا الخطاب الإلهي . . . .

(183) وما الحقّ إلا الله لا شيء غيره ..... فشمّ شذاه فهو في الخلق ضائع

المفردات :

شذاه : عبقه . **ضائع :** متضوّع .

المعنى :

يتابع الجيلي كلامه للناظر ، يقول ؛ وهل الحق المشار إليه في الآية الكريمة السابقة إلا الله عزّ وجلّ .

فانظر أيها الطالب حواليك ، إنك لن ترى الله عزّ وجلّ ولكنك ستشمّ شذاه ، أي ترى آثاره عابقة في مخلوقاته .

(184) وشاهده حقّا فيك منك فإنّه ..... هويّتك اللآتي بها أنت يانع

المفردات :

حقا : على التحقيق ، في الحقيقة . **أنت يانع :** أنت ناضج ، أي بهذه الهوية أنت قاربت كمالك الإنساني.

المعنى :

يخاطب الجيلي طالب الحق قائلا له ما معناه ؛ بعد أن تنظر في الآفاق ، انظر في نفسك - أيها الطالب للحق - لأن الله عزّ وجلّ يقول :سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ[فصلت : 53] .

وعندما تنظر في نفسك ، سوف تتحقق أن الحق عزّ وجلّ هو القيّوم الذي قامت به هويتك وارتفعت ؛ وبالحق تعالى أينعت بالكمال وزهيت بالنضج من بين أنواع الكائنات الأخرى.

(185) وفي أينما حقّا تولّوا وجوهكم ..... فثمّة وجه الله هل من يطالع

المفردات :

فثمة وجه الله : إشارة إلى الآية :وَلِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ [البقرة : 115].

يطالع : ينظر ويرى .

المعنى :

أينما تولي وجهك أيها الطالب للحق فوجه الله عزّ وجلّ هو القاهر فوق كل المظاهر المرئية ، وهو الظاهر في كل مكان .

ولكن الجيلي هنا يتحسر ، ويتبرم أسىّ لقلة المطالعين لوجه الحق عزّ وجلّ فيقول هل من يطالع ؟ الحق عزّ وجلّ في كل مكان ، وقليل من يشهد .

ثامنا الأبيات من (186) إلى (234) وصايا وحكم صوفية
الجزء الأول

(186) فبع منك نفسا بالإله وكنه إذ ..... تكون كما إن لم تكن وهو صارع
(187) ودع عنك أوصافا بها كنت عارفا ..... لنفسك فيها للإله ودائع
(188) وشاهد بوصف الحقّ نفسك أنت هو ..... ولا تلبسن للخلق ما أنت خالع
(189) وكن باليقين الحقّ للخلق جاحدا ..... وجمعك صله إنّ فرقك قاطع
(190) ولا تنحصر بالاسم فالرّسم دارس ..... ولا تفتقر للعين فالعين تابع
(191) وإيّاك جزما ، لا يهولك أمرها ..... فما نالها إلا الشّجاع المقارع
(192) حنانيك واحذر من تأدّب جاهل ..... فيا ربّ آداب لقوم قواطع
(193) وكن ناظرا في القلب صورة حسنه ..... على هيئة المنقوش يظهر طابع
(194) فقد صحّ في متن الحديث : تخلّقوا ..... بأخلاقه ، ما للحقيقة مانع
(195) فها هو سمع بل لسان أجل يد ..... لنا هكذا بالنّقل أخبر شارع
(196) فعمّ قوانا والجوارح كونه ..... لسانا وسمعا ثمّ رجلا تسارع
(197) ولسنا سوى هذي الجوارح والقوى ..... هو الكلّ منّا ، ما لقولي دافع
(198) ويكفيك ما قد جاء في الخلق أنّه ..... على صورة الرحمن آدم واقع
(199) ولو لم يكن في وجه آدم نوره ..... لما سجد الأملاك وهي خواضع
(200) ولو شاهدت عين لإبليس وصفه ..... على آدم ، لم يعص وهو مطاوع
(201) ولكن جرى المقدور فهو على عمى ..... عن العين إذ حالت هناك موانع
(202) فلا تك من إبليس في شبه ستره ..... ودع قيده العقليّ ، فالعقل رادع
(203) وغص في بحار الاتّحاد منزّها ..... عن المزج بالأغيار إن أنت شاجع
(204) وإيّاك والتّنزيه فهو مقيّد ..... وإيّاك والتشبيه فهو مخادع
(205) وشبّهه في تنزيه سبحات قدسه..... ونزّهه في تشبيه ما هو ضارع
(206) وقل هو ذا بل غيره وهو غير ما ..... عرفت وعين العلم فالحقّ شائع
(207) فلا تك محجوبا برؤية حسّنه ..... عن الذّات أنت الذّات أنت المجامع
(208) فعينك شاهدها بمحتد أصلها ..... فإنّ عليها للجمال لوامع
(209) أنيّتك اللّاتي هي القصد والمنى ..... بها الأمر مرموز وحسنك بارع
(210) ونفسك تحوي بالحقيقة كلّ ما ..... أشرت بحدّ القول ، ما أنا خادع
(211) تهنّ بها واعرف حقيقتها فما ..... كعرفانها شيء لذاتك نافع
(212) فحقّق وكن حقّا ، فأنت حقيقة ..... بحقّك ، والمخلوق بالذّات جامع
(213) ووحّده في الأشياء فهو منزّه ..... وخلف حجاب الكون للنّور ساطع
(214) ولا تطلبن فيه الدّليل فإنّه ..... وراء كتاب العقل تلك الوقائع
(215) ولكن بإيمان وحسن تتبّع ..... إذا قمت ، جاءتك الأمور توابع
(216) فإن قيّدتك النفس فاطلق عنانها ..... وسر معها حتّى تهون الوقائع
(217) وبرهن لها التّحقيق عقلا مؤيّدا ..... بنقل ، به جاءت إليك الشّرائع

(218) وثمّ أصول في الطّريق لأهله ..... وهنّ إلى سبل النّجاة ذرائع
(219) تمسّك بها تنج ، وزن كلّ وارد ..... بقسطاسها عدلا ، فثمّ قواطع
(220) ودع ما تراه مال عن خطّ عدلها ..... إلى أن تفاجيك الشّموس الطّوالع
(221) فذاك سبيلي رده إن ترد العلا ..... ولا تعد عنه ، تعتريك القواطع
(222) وإيّاك فاصبر لا تملّ ، فإنّما ..... بصبر الفتى جاءت إليه المطامع
(223) وهوّن على النّفس ارتكابا لهولها..... فغير محبّ من دهته الفجائع
(224) ورد كلّ حوض للرّدى فيه مورد ..... وردّ إذا ما العقل جاء يدافع
(225) وشمّر ببذل النّفس ساق عزيمة ..... على قدم الإقدام ، فالعجز مانع
(226) ودع عنك علّ أو عسى ولربّما ..... وسوف ، إذا نوديت قمت تسارع
(227) فليس لنفس غير حالة وقتها ..... وقد فات ماضيها وغاب مضارع
(228) وجدّد مع الأنفاس صدق إرادة ..... وداوم على إقبال ما أنت تابع
(229) وجرّع حشاك السّمّ في طاعة الهوى ..... فما خاب من للسّم في الحب جارع
(230) وعدّ على اللحظات أنفاسك التي ..... على غفلات قد صدرن زوامع
(231) وغضّ عن الآلام جفن مطالع ، ..... إلى تعب في الحبّ نفس تقارع
(232) ولا تنتظر أيّام صحّتك الّتي ..... تمنّيك نفس ، فالأماني خدائع
(233) وسر فوق نيران الغرام مهرولا ..... إليها ، ففي قصد السّلام مصارع
(234) فكلّ البلا إن خضته في بلائها ..... هوانا فللأسوا عليك صنائع

شرح الأبيات :-

(186) فبع منك نفسا بالإله وكنه إذ ..... تكون كما إن لم تكن وهو صارع

المفردات :

فبع منك نفسا بالإله : اجعل وجودك خالصا لله ، لا توجد لنفسك بل للحق فقط . وكنه : وكن هذا الوجود المخصوص الخالص لله .

وهو صارع : يمعنى أن الحق عزّ وجلّ يصرع ويفني هويّة المخلوقات فتكون كأنها لم تكن.

المعنى :

الفناء في هذا البيت يطابق معناه معنى الفناء عند الجنيد ، شيخ الطائفة ، يرى الجنيد أن الإنسان يبلغ كمال وجوده حين يفنى ، أي حين يكون كما كان قبل أن يوجد في هذا العالم المشهود ، حين أخذ الله عزّ وجلّ الميثاق على بني آدم بقوله : ألست بربكم .

فقالوا : بلى .

فالإنسان هنا في هذا المشهد أي في مشهد الميثاق هو فان ، وبالتالي غير موجود لنفسه وغير واع لوجوده ، بل هو موجود لله فقط ، يسمع عنه ويجيبه.

والجيلي هنا يطلب من السالك أن يبيع نفسه ووجوده ، لأنها الثمن الوحيد لتجلي الوجود الإلهي فيه .

فالحق عزّ وجلّ عند الصوفية وعشاقهم لا يقبل شريكا يشاطره قلب محبّه وعاشقه وطالبه ، وهو لا يتجلّى تعالى في قلب يشغله غيره .
لذلك نظّر الصوفيون ودافعوا عن فكرة أن الإخلاص والوفاء لله تكون بتخلية القلب عن كل شيء .
وهنا يدعو الجيلي السالك العاشق لله ، إلى أن يبيع وجوده ، ويترك إحساسه به ، ولا يلتفت إلى أي شيء تتعلق به نفسه ، حتى يكون عبدا خالص العبودية لله ؛ ومتى تخلّص قلب الإنسان من كل ما سوى الله ؛ تجلى الله عزّ وجلّ فيه وأفناه ، فأصبح كأنه غير موجود .
لأن الحق عزّ وجلّ إن تجلى على عبد يصرع هويته ويفنيها ، فيكون موجودا غير موجود.

(187) ودع عنك أوصافا بها كنت عارفا ..... لنفسك فيها للإله ودائع

المفردات :

عارفا لنفسك : أي عالما صفات نفسك ، وهنا يشير الجيلي بمفرد " عارفا " إلى علم اليقين الذي لا اضطراب فيه عند الصوفية .
فيها للإله ودائع :أي أن هذه الأوصاف التي عرفت بها نفسك هي ودائع الحق في النفس .

المعنى :

أشار الجيلي في البيتين رقم (92 و 93) من هذه القصيدة إلى أن الحجر الأسود هبط من السماء ، وإلى أنه مستودع الأسرار وفيه للحق عزّ وجلّ ودائع ، كما أشار كذلك إلى أن الحجر وودائعه يوازيان النفس البشرية ولطيفتها .
فاللطيفة الإنسانية هي التي قبلت أمانة صورة الرحمن وتحلت بالأوصاف الإلهية ، وكان فيها ودائع للحق عزّ وجلّ .
والجيلي هنا يدعو السالك لأن يترك كل الأوصاف النفسية البشرية التي لوّنت لطيفته الإنسانية ، ليرى ما أودع الله فيها من جمال أوصافه تعالى .
فاللطيفة الإنسانية فيها ودائع إلهية صفاتية ، يراها السالك إن أزال عن عين شهوده حجاب الصفات الخلقية .

(188) وشاهد بوصف الحقّ نفسك أنت هو ..... ولا تلبسن للخلق ما أنت خالع

المفردات :

وشاهد بوصف الحق : إشارة إلى مقام " عين اليقين " عند الصوفية
ويبلغه الإنسان عندما يشاهد عينا ما كان يعتقده يقينا في مرحلة سابقة ، مثلا يعلم كل إنسان يقينا - أي علما لا يتغير ولا يتحول - وجود الموت ومعناه ، ولكنه متى عاين ملائكة الموت وصل إلى عين اليقين .
ولا تلبسن للخلق : أي ولا تتزين أمام المخلوقات بصفات سبق أن خلعتها .

المعنى :
بعد أن نبّه الجيلي السالك ، في الأبيات السابقة ، إلى أن أوصافه الإنسانية هي حجاب على نفسه البشرية يمنعه من رؤية الودائع الإلهية المودعة فيها ؛ يدعوه هنا لأن يشهد بعين بصيرته مضمون هذا القول .
أي يدعوه لأن يشهد فناءه ، ويشهد أوصاف الحق فيه . وبعد أن يرى الإنسان فناءه ويخلع عن نفسه أوصافه البشرية ، ينصحه الجيلي بألا يتزين أمام المخلوقات بالصفات التي سبق أن خلعها لله .

(189) وكن باليقين الحقّ للخلق جاحدا ..... وجمعك صله إنّ فرقك قاطع

المفردات :
باليقين الحق : إشارة إلى " حق اليقين " ، وهو عبارة صوفية تشير إلى مرتبة متقدمة من مراتب اليقين .
يجعل الصوفية اليقين على مراتب أربع هي علم وعين وحق ثم حقيقة .
فعلم اليقين هو الاعتقاد الذي لا يداخله شك ؛ وإذا شاهد الإنسان اعتقاده بالعين وصل إلى مرتبة عين اليقين .
وإذا تحقق بهذا الإعتقاد اليقيني وصل إلى مرتبة حق اليقين .
ونكمل المثل الذي أوردناه في البيت السابق فنقول ؛ متى عاين الإنسان ملائكة الموت وصل إلى عين اليقين ، ولكنه متى ذاق الموت فيكون قد وصل إلى حق اليقين .
جاحدا : منكرا . **جمعك صله :** داوم على حال الجمع ، وحال الجمع هو رؤية الحق دون النظر إلى الخلق [را . شروحات البيت رقم 2] .
إن فرقك : إن إقامتك في حال الفرق ، وهو رؤية المخلوقات [را . شروحات البيت رقم 2] . **قاطع :** يقطع عن الحق .

المعنى :
ينصح الجيلي هنا السالك بأن يتذّوق عدم المخلوقات جميعا ، وأن يواصل رؤيته للحق عزّ وجلّ فقط ؛ لأن رؤية المخلوقات تقطع عن الحق.

(190) ولا تنحصر بالاسم فالرّسم دارس ..... ولا تفتقر للعين فالعين تابع

المفردات :
فالرسم : الأثر ، الهيئة . **دارس :** زائل ، فان . **ولا تفتقر للعين :** ولا تتبع العين ، ولا تطلب العين .

المعنى :
ينصح الجيلي هنا السالك بألا يحصره اسم المخلوقات ، أو يشغله رسمها ، أي هيئتها ومظهرها ، لأن الهيئة فانية زائلة . . . بل يذهب إلى أبعد من ذلك ، وينصحه بألا يلتفت أيضا إلى عين المخلوقات بعد أن يترك اسمها ورسمها ؛ لأن عينها تابعة في الواقع للاسم والرسم في الفناء.

(191) وإيّاك جزما ، لا يهولك أمرها ..... فما نالها إلا الشّجاع المقارع

المفردات :

وإيّاك جزما : حضّ على الجزم والحزم . **لا يهولك :** لا يخيفك .
أمرها : أمر المرتبة الأخيرة من اليقين ، أي حق اليقين . **المقارع :** المقاتل ، المقدام .

المعنى :

يخاطب الجيلي السالك قائلا ، إياك أن تتهيّب من عظمة ما تطلب ، اطلب الفناء في الحق ، واطلب تذوق فناء المخلوقات ، فلا ينال هذه المراتب إلا كل مقدام شديد شجاع .

(192) حنانيك واحذر من تأدّب جاهل ..... فيا ربّ آداب لقوم قواطع

المفردات :

حنانيك : دعاء بمعنى ، رحمك الله . **تأدب جاهل :** الأدب هو مجموعه السلوكيات المتعارف عليها بين قوم ، وللصوفية آداب في كل فعل وترك ، في السفر والحضر ، وفي الحياة والموت ، في العزلة والخلطة .
وهنا يحذّر الجيلي من إتّباع جهلة الصوفية المقلدين ، بل يحث على أدب ينبع من التجربة الذاتية ويكون سبيل ترق عرفاني .
قواطع : تقطع عليهم طريق الحق.

المعنى :

يحذّر الجيلي السالك قائلا ؛ رحمك الله ، إيّاك أن تتأدب بما تسمعه من أقوال أو بما تقرأه في الكتب ، بل أعبد الله عزّ وجلّ وأطلب اليقين فيه من ذاتك وليس تقليدا.
ولا تخف من طلب أعلى درجات اليقين في الله ، بل لا تخف من طلب أعلى درجات القرب ، وإياك أن تتبّع قوما من قواعدهم السلوكية أن يتأدب السالك في طلبه لله ولا يطلب شيئا .
إذ كثير ما قطع هذا التأدب الجاهل على السالك طريقه إلى معرفة الله وإلى القرب الإلهي .

(193) وكن ناظرا في القلب صورة حسنه ..... على هيئة المنقوش يظهر طابع

المفردات :

في القلب : إشارة إلى الحديث الشريف : " ما وسعني سماواتي ولا أرضي ، ووسعني قلب عبدي المؤمن " .

المعنى :

يطلب الجيلي من السالك هنا أن يداوم النظر إلى قلبه ، لأن القلب هو الذي وسع صورة الحسن الإلهي .

ويستعير الجيلي هنا صورة الطابع والمطبوع ، فالقلب أشبه بمطبوع تنتقش فيه صورة الحسن الإلهي ، فإذا نظرت أيها الطالب إلى قلبك عرفت مقام ربّك .

(194) فقد صحّ في متن الحديث " : تخلّقوا ..... بأخلاقه " ما للحقيقة مانع

المفردات :

ما للحقيقة مانع : لا شيء يمنع هذا التحقق .

المعنى :

جاء في متن الحديث الصحيح : " تخلّقوا بأخلاق الله " ، ولم يقم أي مانع شرعي أو عقلي يمنع من هذا التحقق .

(195) فها هو سمع بل لسان اجل يد ..... لنا ، هكذا بالنّقل أخبر شارع

المفردات :

فها هو : أي الله عزّ وجلّ . **بالنقل :** نقلا عن الله عزّ وجلّ . **شارع :** مشرّع ، صاحب الشريعة صلّى الله عليه وسلم .

المعنى :

يقول الجيلي ؛ ها هو الحق عزّ وجلّ سمع لنا ، نحن عبيده ، بل لسان لنا ، ويد لنا . وهذه الأقوال لم أبتدعها على الحق عزّ وجلّ ، بل عرفتها نقلا عن صاحب الشريعة صلّى الله عليه وسلم حين أخبر عن ربه عزّ وجلّ في الحديث القدسي :
" ما تقرّب إليّ عبدي بشيء أحبّ إليّ مما افترضت عليه ، ولا يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها .

(196) فعمّ قوانا والجوارح كونه ..... لسانا وسمعا ثمّ رجلا تسارع

المفردات :

قوانا : ج . قوة وهي القدرة . **الجوارح :** الأعضاء . **كونه :** لكونه ، لأنه .

المعنى :

بعد أن أشار الجيلي في البيت السابق إلى حديث قرب النوافل الذي يبشّر الله سبحانه فيه من أحبّهم من عبيده بأنه لسانهم وسمعهم وبصرهم.
يخاطب السالك هنا ويساعده ليستنتج معه عقليا ، أنّه عندما يكون الحق عزّ وجلّ لسان العبد وبصره فهذا يعني أن الله عزّ وجلّ يعمّ كل أعضاء الإنسان الظاهرة وكل قواه الباطنة ، باختصار يعمّ الإنسان كلّه ظاهرا وباطنا .

(197) ولسنا سوى هذي الجوارح والقوى ..... هو الكلّ منّا ، ما لقولي دافع

المفردات :

دافع : منكر ، رافض .

المعنى :
بعد أن تقرر لدى الجيلي أن الحق عزّ وجلّ هو جوارح الإنسان وقواه ، يقول ؛ وهل نحن العبيد غير هذه الجوارح الظاهرة وهذه القوى الباطنة فيها ، فالحق عزّ وجلّ إذن هو الكل منا . ومن يتجرأ وينكر أقوالي هذه بعد أن سمع الحديث القدسي من الصادق الأمين .

(198) ويكفيك ما قد جاء في الخلق أنّه ..... على صورة الرحمن آدم واقع

المفردات :
في الخلق : في خلق آدم . إشارة إلى الحديث : " خلق الله آدم على صورته " .

المعنى :
يؤكد الجيلي في كل كتاباته على قيمة الإنسان في الكون ، وهنا بعد أن بيّن أن الحقّ عزّ وجلّ هو القائم في كل جوارح الإنسان وقواه .
يقول إن الإنسان خلق على صورة الرحمن ، بدلالة الحديث : " خلق الله آدم على صورته" .

(199) ولو لم يكن في وجه آدم نوره ..... لما سجد الأملاك وهي خواضع

المفردات :
نوره : نور الحق . **الأملاك :** الملائكة .

المعنى :
يقول الجيلي ؛ لو لم يظهر النور الإلهي في وجه آدم عليه السّلام ، لم تسجد الملائكة خضوعا للأمر الإلهي .
وهنا الإشارة إلى سجود الملائكة لآدم عليه السّلام
قال تعالى :فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ ساجِدِينَ ..... فَسَجَدَ الْمَلائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ[الحجر : 29 و 30] .

(200) ولو شاهدت عين لإبليس وصفه ..... على آدم ، لم يعص وهو مطاوع

المفردات :
وصفه : وصف الحق عزّ وجلّ .

المعنى :
يتابع الجيلي تبيين الأسرار المخزونة في قصة خلق آدم ، فيقول ؛ لو شاهد إبليس وصف الحقّ على آدم عليه السّلام ، لسجد وأطاع الأمر الإلهي ، ولكنه انحجب عن هذه الرؤية بصورة نفسه وانيّته ،
فقال : أنا خير منه . . . وهذا الإنحجاب بالنفس أوصله إلى معصية ربّه عزّ وجلّ .

(201) ولكن جرى المقدور فهو على عمى ..... عن العين إذ حالت هناك موانع

المفردات :

عن العين : عن عين الحق ، عن ذات الحق . **موانع :** حجب منعت الرؤية ، والمقصود هنا صورة آدم .

المعنى :

يتابع الجيلي سياق قصة آدم وإبليس ويبين للسالك خطر الإنحجاب بالصور ، فيقول ؛ ولكن ما كان مقدّرا على إبليس من معصية فقد جرى ووقع ، وها هو قد حجب عن رؤية نور الحق في آدم لأنه نظر إلى صورته الظاهرة ، إذ قامت صورة آدم حجابا منع إبليس من رؤية حقيقته أي من رؤية نور الحق المتجلي فيه.

(202) فلا تك من إبليس في شبه ستره ..... ودع قيده العقليّ ، فالعقل رادع

المفردات :

في شبه : شبيها له . **ستره :** ما حجب عنه من معرفة الحق . **قيده العقلي :** إشارة إلى القياس العقلي الوارد في الآية الكريمة :قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ[الأعراف 12 :].

رادع : مانع من معرفة الحقيقة .

المعنى :

يحذر الجيلي السالك قائلا ؛ إياك أن تشابه إبليس في انحجابه بصورة نفسه عن رؤية الحق .

ودع قياس العقل ، فها هو إبليس حين انقاد للقياس العقلي منع ، وقطع به ، وطرد من القرب .

(203) وغص في بحار الاتّحاد منزّها ..... عن المزج بالأغيار إن أنت شاجع

المفردات :

الاتحاد : شهود الواحد المطلق ، ويعرّفه الكشخانوي في [جامع الأصول ص 54] **بقوله :** هو " شهود الوجود الحق الواحد المطلق ، الذي الكل أي الوجود بكامله موجود بالحق ، فيتحد به الكل من حيث كونه موجودا به معدوما بنفسه ، لا من حيث أن له أي للإنسان وجودا خاصا اتحد به أي بالله عزّ وجلّ ، فإنه أي اتحاد الإنسان بالله محال " .

بالأغيار : بكل ما سوى الله عزّ وجلّ . **شاجع :** شجاع .

المعنى :

يشجّع الجيلي السالك على الفناء في التوحيد فيقول له ؛ غص في بحار شهود الواحد المطلق ، ولا تنظر إلى غير ، بل نزّه الحقّ عزّ وجلّ عن مزج بالكائنات ، فما ثمة غير في الوجود .

وفي الأبيات اللاحقة سوف يظهر تباعا علم التوحيد كما كشف عنه أفراد الصوفية .

(204) وإيّاك والتّنزية فهو مقيّد ..... وإيّاك والتشبيه فهو مخادع

المفردات :

وإياك والتنزيه : إحذر أن تقيد الحق عزّ وجلّ بالتنزيه المطلق فتكون من المعطلة .
مقيد : ملزم بمعنى أن التنزيه يقيدنا بوجه واحد نضطر معه إلى التأويل فيما بقي من وجوه .
وإياك والتشبيه : احذر أن تقيد الحق بما ورد من صفات تقتضي تشبيهه عزّ وجلّ بالكائنات ، فتكون من فرقة المشبهة أو الصفاتية .
مخادع : مضلّ .

المعنى :

يحذّر الجيلي السالك هنا من تشبيه دون تنزيه أو تنزيه دون تشبيه فيقول ؛ إياك أن تقيّد معرفتك للحق عزّ وجلّ بالتنزيه فتعطّل الصفات وتحرم بالتالي من معرفتها . . . .
وإياك أيضا أن تتصوّر تشبيهه عزّ وجلّ بالكائنات فتضلّ طريقك إلى معرفته تعالى .

(205) وشبّهه في تنزيه سبحات قدسه ..... ونزّهه في تشبيه ما هو ضارع

المفردات :

ضارع : مماثل ، مشابه . **ونزهه في تشبيه ما هو ضارع** : إذا تخايل لك مماثل له تعالى فسارع إلى التنزيه وقل : ليس كمثله شيء .

المعنى :

يعلّم الجيلي السالك عقيدته في التنزيه والتشبيه فيقول ؛ إيّاك أن تتقيّد بالتنزيه وحده أو بالتشبيه وحده ، بل شبّهه في تنزيه سبحات وجهه ، ونزّهه إذا ما تسارع خاطرك إلى تشبيهه بالكائنات .
فمعرفة الحق عزّ وجلّ لا تكمل إلا بتنزيه في تشبيه ، وتشبيه في تنزيه .

(206) وقل هو ذا بل غيره وهو غير ما ..... عرفت وعين العلم فالحقّ شائع

المفردات :

وعين العلم : وعين ما علمت .

المعنى :

يتابع الجيلي تعليمه للسالك العقيدة الحقة في الله عزّ وجلّ ، فيقول ؛ أيها المشاهد للوجود الواحد المطلق ، إياك أن تتقّيد بتنزيه أو بتشبيه ، وإياك أن تتقّيد بعرفان أو بجهل ، بل قل : الحق هو ما أشاهد ، وهو كذلك غير كل ما أشاهد .
الحق هو غير كل ما عرفت ، وهو كذلك عين كل ما عرفت . . .وسبحان من جعل معرفته في العجز عن معرفته .

(207) فلا تك محجوبا برؤية حسّنه ..... عن الذّات أنت الذّات أنت المجامع

المفردات :

فلا تك . . . عن الذات : عن رؤية الذات .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل عقيدته فيقول ؛ شاع حسن الحق عزّ وجلّ في الكائنات ، ولكن لا تنحجب أيها المشاهد برؤية هذا الحسن الظاهر في الوجود وتقنع به ، ولا تطلب معرفة الذات الإلهية المنزهة .

وإذا نظرت إلى نفسك أيها الإنسان تجد أنك جمعت في كونك الصورتين : الحق والخلق .

(208) فعينك شاهدها بمحتد أصلها ..... فإنّ عليها للجمال لوامع

المفردات :

بمحتد : بمصدر ، بأصل . **لوامع :** أدلة على الجمال ظاهرة تلتمع .

المعنى :

يدعو الجيلي الإنسان إلى النظر في ذاته بعد أن تجوّل معه في الكون ، ويقول ؛ انظر أيها المشاهد إلى ذاتك .

وشاهدها على أنها صنيعة الخالق ، عندها ستلتمع عليها شواهد الحق تنطق بأن جمالك المقيّد هو لمعة من الجمال الإلهي المطلق .

(209) أنيّتك اللّاتي هي القصد والمنى ..... بها الأمر مرموز وحسنك بارع

المفردات :

أنيتك : الأنيّة مشتقة من قولنا " أنا " ، وأنيّة الإنسان تعني وجوده المتعيّن الواقع الذي يميزه عن غيره . مرموز : خفي . **بارع :** ظاهر .

المعنى :

يخاطب الجيلي المشاهد السالك منبها إياه إلى حقيقة أنيته قائلا ؛ إن أنيتك هي سرّ إلهي ، خفي فيه صنع الخالق عزّ وجلّ ، وظهر فيه حسنك ووجودك المقيد .

(210) ونفسك تحوي بالحقيقة ، كلّ ما ..... أشرت بحدّ القول ، ما أنا خادع

المعنى :

يكمل الجيلي تعليمه للسالك فيقول ؛ إن نفسك تحوي كل ما بينته لك فيما سبق ، فالحق عزّ وجلّ يعمّ جوارحك وقواك ، وأنت على صورة الرحمن ، وفيك تجلّى الحسن والصنع الإلهي .

وأنا هنا أقول لك الحق ، ولا أخدعك.

(211) تهنّ بها واعرف حقيقتها فما ..... كعرفانها شيء لذاتك نافع

المفردات :

كعرفانها : كمعرفتها.

المعنى :
يدعو الجيلي هنا السالك لأن يتنعم بمعرفة ذاته ، فيقول له : تهنّ بنفسك ، وانتفع بمعرفتك أنّك على صورة الرحمن ، وأن الحقّ يعمّ قواك وجوارحك ، وأنك تجلي الحسن الإلهي .

(212) فحقّق وكن حقا فأنت حقيقة ..... بحقّك ، والمخلوق بالذّات جامع

المفردات :
فحقق : تحقّق بكل ما تعرف عن حقيقة نفسك . **وكن حقا :** فأنت حق إذا تحققت ، وهنا نلمس رؤية الجيلي الخاصة التي تقول ؛ بأن الإنسان خلق ولكنه يكتسب صفات الحق ، ويصبح حقا بقدر تحققه بالصفات الحقيّة .
فأنت حقيقية بحقك : فأنت أيها الإنسان تصبح حقيقة موجودة إذا حصّلت الصفات الحقية .
والمخلوق بالذات جامع : ذات المخلوق تجمع صفات الحق والخلق .\
المعنى :
يتابع الجيلي تعاليمه للسالك المشاهد فيقول ؛ تحقّق بكل ما عرفته عن حقيقة نفسك . فالإنسان ، وكل مخلوق ، هو خيال لا وجود حقيقي له ، ولكنه متى تحقّق بالصفات الإلهية يصبح حقيقة موجودة .
واعلم ، أن ذات المخلوق تجمع في استعدادها بين صفات الحق وبين صفات الخلق ، وأنّ الإنسان كلما ارتفع باتجاه التحقق بصفات الحق يصبح حقا ، وكلما انحدر باتجاه التحقق بصفات الخلق يظل خيالا ووهما .

(213) ووحده في الأشياء فهو منزّه ..... وخلف حجاب الكون للنّور ساطع

المفردات :
حجاب الكون : كون الأشياء هو الحجاب على النور الإلهي . **للنور ساطع :** للنور سطوع ، أي انتشار وظهور .
المعنى :
يتابع الجيلي تعاليمه العقائدية ، فيقول للسالك ؛ إذا نظرت إلى كثرة الأشياء لا تنحجب بها ووحّد الله عزّ وجلّ فيها ، لأنه منزّه عن الشريك في الوجود .
ولا تحجبك صور الأكوان ، فخلف حجاب الأكوان يسطع النور الإلهي.

(214) ولا تطلبن فيه الدّليل فإنّه ..... وراء كتاب العقل تلك الوقائع

المفردات :
فيه : في سطوع النور الإلهي خلف حجاب الكون .
المعنى :

يكمل الجيلي تعاليمه لطالب الجمال الإلهي فيقول ؛ لا تطلب الدليل على ظهور النور الإلهي في الأشياء ، فهذا الشهود هو مما لا يستطيع العقل أن يتصوره أو يحدّه .

(215) ولكن بإيمان وحسن تتبّع ..... إذا قمت ، جاءتك الأمور توابع

المفردات :

وحسن تتبع : تتبع للنبي صلّى الله عليه وسلم . **إذا قمت :** إذا قمت بحقوق الإيمان والاتباع . **توابع :** متتابعة .

المعنى :

الجيلي هنا يدلّ السالك على طريق اليقين ، بعد أن حذره من طريق الأدلة العقلية . فيقول ؛ إنّ شهود النور الإلهي في الأشياء يتجلى تباعا لناظريك ، إذا تمكنت في إيمانك ، وأحسنت اتّباعك للنبي صلّى الله عليه وسلم .

(216) فإن قيّدتك النفس فاطلق عنانها ..... وسر معها حتّى تهون الوقائع

المفردات :

فاطلق عنانها : حررها من قيودها ، وهي الشهوات والرغبات والأهواء . **الوقائع :** الأقدار ، البلاء .

المعنى :

يبدأ الجيلي ببيان طريق السلوك الصوفي للسالك فيقول ؛ إن قيّدتك النفس بالشهوات والرغبات والأهواء ، وحجبتك عن شهود الواحد المتجلي في الأكوان ، فحررها من هذه القيود كلها ، وسر معها إلى الحق فلا بدّ من أن يهون البلاء تباعا .

(217) وبرهن لها التّحقيق عقلا مؤيّدا ..... بنقل ، به جاءت إليك الشّرائع

المفردات :

وبرهن لها : وبرهن للنفس . والبرهان هو أن تساعدها بأنواع البيان حتى ترى ، قال تعالى عن يوسف عليه السّلام :لَوْلا أَنْ رَأى بُرْهانَ رَبِّهِ[يوسف : 24] .

التحقيق : أن يتحقق الإنسان بالصفات الإلهية . عقلا مؤيدا بنقل : برهانا عقليا تؤيده بما تنقله من آيات كريمة وأحاديث شريفة .

المعنى :

يتابع الجيلي نصائحه للسالك ويعلمه أسرار معاملة النفس قائلا ؛ إثبت لنفسك أهمية التحقق بالصفات الإلهية ومفارقة الصفات الخلقية ، واستخدم لإقناعها سبيل البرهان العقلي الذي يدعمه النص الشرعي .

(218) وثمّ أصول في الطّريق لأهله ..... وهنّ إلى سبل النّجاة ذرائع

المفردات :

لأهله : لأهل الطريق الصوفي . **وهن :** هذه الأصول . **ذرائع :** ج . ذريعة بمعنى وسيلة .

المعنى :

يكمل الجيلي تعليم السالك أصول الطريق ، فيقول ؛ وإذا اقتنعت نفسك بضرورة التحقق بالصفات الإلهية ، فاعلم أن أهل الطريق إلى الله عزّ وجلّ قد وضعوا أصولا ومناهج اختطت سبل النجاة .

(219) تمسّك بها تنج ، وزن كلّ وارد ..... بقسطاسها عدلا ، فثمّ قواطع

المفردات :

بها : بهذه الأصول . **وارد :** كل ما يرد على قلب السالك من خواطر وإلهامات ومعان . **بقسطاسها :** بقسطاس أو بميزان هذه الأصول .

عدلا : الوزن العدل هو الذي لا زيادة فيه ولا نقصان .

قواطع : ج . قاطع . وهو ما يقطع على السالك طريق الحق عزّ وجلّ .

المعنى :

إن كل ما يرد على قلب الصوفي من إلهامات ومشاهدات ومعان ، معرّض لمداخلة الوهم والخيال والشيطان .

وهذه قواطع تحرم السالك من الوصول ، لذلك ينصح الجيلي السالك بأن يزن كلّ وارد بميزان عدل ، هو أصول الطريق الصوفي .

وأهم أصول الطريق الصوفي تنحصر في محورين هما الكتاب والسنة ، ثم ضبط الأوقات وترك الرخص واتهام النفس .

إلى غير ذلك من أصول

تختلف من طريق صوفي إلى آخر ، ولكن الطرق كلها تجمع على جعل " الكتاب والسنة " أصلا أولا .

(220) ودع ما تراه مال عن خطّ عدلها ..... إلى أن تفاجيك الشّموس الطّوالع

المفردات :

عدلها : استقامتها ، أي استقامة أصول الطريق .

المعنى :

يتابع الجيلي تعليم السالك أصول الطريق ، يقول ؛ دع كل وارد يخرجك عن استقامة أصول الطريق الصوفي ؛ وانتظر في الإستقامة حتى تأتيك الفتوحات والمشاهدات ، جلية غير ممزوجة بخفاء ، كأنها شموس طوالع ؛ ويلمع لك نور الحق في الكائنات قاهرا لكل الصور .

(221) فذاك سبيلي رده إن ترد العلا ..... ولا تعد عنه ، تعتريك القواطع

المفردات :

رده : فعل أمر من ورد ، بمعنى إسلكه واتبعه . **إن ترد العلا :** إن كنت تريد الرفعة وتطلبها . **ولا تعد عنه** : بمعنى إياك أن تحيد عنه . **تعتريك القواطع :** تعترضك الموانع .

المعنى :

من البيت رقم (215) إلى هذا البيت أي إلى رقم (221) يجمل الجيلي أصول طريقه الصوفي للسالك وتتلخص :

بإيمان يقيني ، وبحسن اتباع للنبي صلّى الله عليه وسلم ، وبمجاهدة النفس والهوى ، وبوزن الواردات بميزان الأصول ، ثم بانتظار الفتح والتجلي .

ثم هنا يقول الجيلي للسالك ، ها قد بينت لك معالم طريقي في السلوك إلى الحق عزّ وجلّ ، فاسلكه إن كنت تطلب الرفعة والعلا ، وإياك أن تحيد عنه فتعترضك قواطع تمنعك من الوصول.

(222) وإيّاك فاصبر لا تملّ فإنّما ..... بصبر الفتى جاءت إليه المطامع

المفردات :

وإياك فاصبر : يحذره من الملل ، ويطلب منه الصبر . **جاءت إليه المطامع :** نال مراده .

المعنى :

إن الوصول إلى شهود الواحد عزّ وجلّ مطلب عزيز ، وقد يقع في زمن قصير وقد يطول دونه الزمان ، وذلك لإعتبارات متعددة كاستعداد السالك وقوة مجاهداته ، وحظه من الوصول .

لذلك يحذّر الجيلي هنا السالك من الملل ، وينصحه بالصبر والمتابعة ، حتى ينال مراده . . . والصبر من مقامات السالكين.

(223) وهوّن على النّفس ارتكابا لهولها ..... فغير محبّ من دهته الفجائع

المفردات :

لهولها : لمطالبها . **دهته :** أفقدته صوابه . **الفجائع :** ج . فجيعة ، وهي المصيبة .

المعنى :

يتابع الجيلي تعاليمه الصوفية للسالك فيقول ؛ وهوّن على نفسك كل ما تعانيه من وقع المصائب والبلاء حتى لا تسقطك عن شروط المحبة ، لأنه غير محبّ من أخافه البلاء وأبعده عن طريق محبوبه .

والمحبة أصل من أصول الصوفية ، وعليه يبنى كل حال ومقام .

(224) ورد كلّ حوض للرّدى فيه مورد ..... وردّ إذا ما العقل جاء يدافع

المفردات :

ورِد : واقصد . **للردى :** للموت . **ورُدّ :** وارفض ، وادفع بالحجة .

جاء يدافع : أي جاء يمنعك من أن تقصد موارد الردى .

المعنى :

يشجّع الجيلي السالك قائلا ؛ وسارع إلى كل مقام يجرّعك الموت ، وإذا قام العقل عندك يدافع عن النفس وموتها ، فادفع عنك حججه وتابع مجاهداتك .

(225) وشمّر ببذل النّفس ساق عزيمة ..... على قدم الإقدام ، فالعجز مانع

المفردات :

فالعجز مانع : إن الإحساس بالعجز يمنع الإنسان من الإقدام ، وبالتالي من الوصول .

المعنى :

يتابع الجيلي تشجيعه للسالك على اقتحام الطريق ، فيقول ؛ واعزم عزما أكيدا على بذل نفسك ، وأقدم على هذا البذل ، واقتحم مقامات موت النفس ؛
وإياك أن يداخلك إحساس بالعجز ، لأن العجز يطفئ وميض الهمّة ويقعد الإنسان عن الإقدام والوصول.

(226) ودع عنك علّ أو عسى ولربّما ..... وسوف ، إذا نوديت قمت تسارع

المفردات :

ودع عنك عل أو عسى ولربما وسوف : اترك كل التعليلات التي تبرر بها لنفسك أن تتخلف أو تتكاسل أو تتخاذل .

قمت تسارع : أي سارع بالقيام للإجابة .

المعنى :

يطلب الجيلي من السالك ، أن يسارع في الإجابة إذا ناداه الحق عزّ وجلّ ، ويترك كل التعليلات الداعية إلى الكسل والتخلف ، فلا يقول مثلا : علّ الغد يكون أكثر اتساعا ، وعسى صحتي أن تعينني غدا بشكل أفضل وهكذا.

(227) فليس لنفس غير حالة وقتها ..... وقد فات ماضيها وغاب مضارع

المفردات :

غير حالة وقتها : إشارة إلى الحال الحاضر .

وقد اهتم المتصوفون كثيرا بالوقت ، وهو عندهم الحال الحاكم على الإنسان ، وأقاموا علاقة بين الإنسان وبين أحكام الوقت ، فلكل وقت آداب وعمل ، والصوفي الصادق هو الذي يقوم بحق الأوقات ويكون بالتالي : ابن وقته .

وغاب مضارع : فالمستقبل غائب وغيب .

المعنى :

ينبّه الجيلي السالك إلى أهمية الوقت ، فيقول ؛ لا تعلل النفس بالغد وعمل الغد ، فليس للنفس إلا حالها الراهن ، لأن المستقبل غيب في علم الله وقد لا يأتي أبدا . ويخاف

الصوفي كثيرا من فوت الوقت ، ولا يؤجل عبادة خوف أن يدركه أجل الموت فيرحل عن الدنيا مقصّرا .

(228) وجدّد مع الأنفاس صدق إرادة ..... وداوم على إقبال ما أنت تابع

المفردات :

وداوم على إقبال : استمر في التقدم لا تتراجع . **ما أنت تابع :** ما أنت متّبع ، الطريق الذي تتبعه .

المعنى :

يطالب الجيلي هنا السالك ، بأن يراقب إرادته ويتحرّى صدقها مع كل نفس من أنفاسه ، وبأن يداوم على تقدمه في طريق المجاهدات ومنازلة المقامات التي تمكّنه من قتل أهواء نفسه ونوازعها .

والمراقبة مع الأنفاس والصدق في الإرادة هما من مقامات الصوفية.

(229) وجرّع حشاك السّمّ في طاعة الهوى .... فما خاب من للسّم في الحب جارع

المفردات :

جارع : متجرع ، شارب .

المعنى :

إن للحبّ شروطا ولوازم ، أهمها أن المحب للحبيب مطيع ، وفي مرتبة أعلى ليس للمحبّ مع المحبوب إرادة ، ثم يرقى المحبّ في حبّه حتى لا يبقى له مع المحبوب وجود .

والجيلي هنا ينصح السالك بأن يجرّع نفسه السم إذا تجرأت وطالبت بوجود لها مع المحبوب .

وما خاب من تجرّع السم في حبّه لمحبوبه .

والسمّ رمز لكل المذاقات القاتلة التي يتجرعها العاشق في هوى معشوقه .

(230) وعدّ على اللحظات أنفاسك التي ..... على غفلات قد صدرن زوامع

المفردات :

عدّ على اللحظات أنفاسك : أي راقب أنفاسك وعدّدها نفسا نفسا ، لحظة بلحظة ، فلا يصدر أحدها على غفلة ، وقد قال المتصوفون بأن عدّ الأنفاس مع الله سبحانه وتعالى هو أفضل العبادات . [را . الرسالة القشيرية 1 / 262] .

صدرن زوامع : زمع بمعنى أسرع ، وهنا المراد بالضمير الأنفاس التي تصدر مسرعة ، وعلى عجل .

المعنى :

يتابع الجيلي تعليم السالك أصول المجاهدة ، فيقول ؛ انتبه إلى أنفاسك ، راقبها ، وعدّها نفسا نفسا ، ولحظة بلحظة ، وإيّاك أن يصدر منك على عجل نفس ، وأنت في حال غفلة عن الله عزّ وجلّ .

(231) وغضّ عن الآلام جفن مطالع ، ..... إلى تعب في الحبّ نفس تقارع

المفردات :

وغضّ عن الآلام جفن مطالع : أي لا تنظر إلى الآلام .

المعنى :

ينصح الجيلي السالك بأن يغضّ طرفه ولا ينظر إلى ما يعانيه من الآلام ، لأنّ النفس إن أحبّت حقا وصدقا تقدّمت لمنازلة ألوان المتاعب والبلاءات ، غير ملتفة إلى ما يصيبها من آلام.

(232) ولا تنتظر أيّام صحّتك التي ..... تمنّيك نفس ، فالأماني خدائع

المفردات :

أيام صحتك : الصحة هنا تشمل كل أنواع النعم من غنى وعافية وجاه ووقت .
التي تمنيك نفس : التي تعدك نفسك بقدومها .
خدائع : ج . خديعة .

المعنى :

ينبه الجيلي السالك إلى خدع النفس ويقول ؛ تعدك نفسك وتمنّيك بقدوم أيام النعم ، من غنى أو عافية أو وقت ولكن إيّاك أن تصدّق أماني النفس ، وأن تنساق إلى غفلة على أمل صحو الغد .
لأن هذه الأماني هي خدائع من النفس ، حتى تتمكّن من نوال شهواتها وتفرّ من محوها وموتها .

(233) وسر فوق نيران الغرام مهرولا ..... إليها ، ففي قصد السّلام مصارع

المفردات :

نيران الغرام : نار العشق الإلهي . **إليها :** إلى الحضرة الإلهية . **قصد السلام :** طلب النجاة والسلامة من نار الغرام . **مصارع** : مقاتل .

المعنى :

يشجع الجيلي السالك على الإقدام قائلا ؛ إسع بل هرول إلى الحضرة الإلهية ، وسر فوق نيران عشقك .
وإياك أن تطلب السلامة من نار العشق ، بل احترق بها ، فالموت عشقا هو الحياة وطلب السلامة هو الموت الحقيقي

(234) فكلّ البلا إن خضته في بلائها ..... هوانا ، فللأسوا عليك صنائع

المفردات :

إن خضته في بلائها : إن أقدمت عليه من أجلها . **هوانا :** هينا .
فللأسوأ : الأسوآ . ج . سوء . **صنائع :** ج . صنيعة ، أي فضل ومعروف .

المعنى :

يوضّح الجيلي للسالك دور البلاء أو المصيبة في الترقي والسلوك ، فيقول ؛ كل بلاء إن أقدمت عليه من أجل محبوبك ، ونظرك يتبع محبوبك ، يهون عليك .
بل كل بلاء أو كل سوء يصيبك له عليك فضل ومعروف ، لأنه سيتيح لك فرصة أن تشكر الله أو أن تصبر ، وفي كلا الحالتين أنت تبرهن على صدق محبتك لله عزّ وجلّ .
فالبلاء إذن هو الموقف الذي تبيّن فيه صدق محبتك .

ثامنا الأبيات من (235) إلى (281) وصايا وحكم صوفية
الجزء الثاني

(235) وإن شبّ نار النّفس يوما ملالها..... فصبّ سحابا بالتصبّر هامع
(236) وإن خاطبتك النّفس يوما برجعة ..... فشنّف لها كأسا من السمّ ناقع
(237) فعاقب وركّبها على متن بازل ..... بما هو فيما هالها متدافع
(238) وجرّد لها من غمد عزمك صارما ..... يبتّ التّواني ، للعلائق قاطع
(239) وألبس سرابيل الخلاعة خالعا ..... ثياب الغنى ، تخلع عليك خلائع
(240) وقم ، وأقم حربا على النّفس حاذرا ..... فما موتها للآمنين مخادع
(241) ودع عنك آمالا ، فكم من مؤمّل ..... لشؤم هوى آماله العمر ضائع
(242) وحاسب على الخطرات قلبك حافظا ..... له عن حديث النّفس فهو شنائع
(243) وأضبط لها الإحساس فيه مراقبا ..... فإنّ لنفس الحسّ في النّفس طابع
(244) ووردك في صبح الهوى ومسائه ..... أسى وعيون بالدّموع دوامع
(245) وقاطع لمن واصلت أيام غفلة ، ..... فما واصل العذّال إلا مقاطع
(246) وجانب جناب الأجنبيّ لو أنّه..... لقرب انتساب في المنام مضاجع
(247) فللنّفس من جلاّسها كلّ نسبة ، ..... ومن خلّة للقلب تلك الطّبائع
(248) ولا تنهمك في القول أو في استماعه ..... ولو أنّ فيه من بلاغ مصاقع
(249) فكلّ حديث قيل أو سنقوله ..... عن العين ، في التّحقيق للعين رادع
(250) فسرّ الهوى عن قائليه محجّب ..... فكيف وسمّاع الحديث توابع
(251) حديث الهوى سرّ وفي السرّ لم يزل ..... وما القيل للعشّاق والقال نافع
(252) ورمز الهوى : كنز ، ومدفنه الحشا ..... وإيّاك ، فالتّصريح عنه موانع
(253) وإنّي ، لمن في الحبّ يهدي بهديه ..... بأنّك لا تهدي من أحببت، قانع
(254) ودع عنك دعوى القول في نكتة الهوى .... فراحلة الألفاظ في السّير ضالع
(255) ومن دون هذا الاستماع مهالك ..... وما كلّ أذن فيه تلك المسامع
(256) وسر في الهوى بالروح واصغ إلى الهوى ... لتسمع منه سرّ ما أنت سامع
(257) وشمّر ولذ بالأولياء فإنّهم ..... لهم من كتاب الله تلك الوقائع
(258) هم الذّخر للملهوف والكنز للرّجا..... ومنهم ينال الصّبّ ما هو طامع
(259) بهم يهتدي للعين من ضلّ في العمى ..... بهم تجذب العشّاق والربع شاسع
(260) هم السّؤل والمطلوب والقصد والمنى ..... للصّبّ في الحبّ نافع
(261) هم الناس فالزم إن عرفت طريقهم..... ففيهم لضرّ العالمين منافع
(262) وإن جهلوا ، فانظر بحسن عقيدة ..... إلى كلّ من تلقاه بالفقر صادع
(263) وحافظ مواثيق الإرادة قائما ..... بشرع الهوى ، إن أنت في الحبّ شارع
(264) وداوم على شرطين : ذكر أحبّة ..... وتسليك نفس بالخلاف تسارع
(265) ولا تهملن ذكر الأحبّة لمحة..... وداوم خلاف النّفس فهي تتابع
(266) وقم واستقم في الحبّ لا تخش ضلّة ..... فميل الفتى عمّا يحاول رادع

(267) فإن ساعد المقدور أو ساقك القضا ..... إلى شيخ حقّ في الحقيقة بارع
(268) فقم في رضاه واتّبع لمراده ..... ودع كلّ ما من قبل كنت تصانع
(269) وكن عنده كالميت عند مغسّل ، ..... يقلّبه ما شاء ، وهو طاوع
(270) ولا تعترض فيما جهلت من أمره .....عليه ، فإنّ الاعتراض تنازع
(271) وسلّم له مهما تراه ولم يكن ..... على غير مشروع ، فثمّ مخادع
(272) ففي قصّة الخضر الكريم كفاية ..... بقتل غلام والكليم يدافع
(273) فلمّا أضاء الصّبح عن ليل سره ..... وسلّ حساما للمحاجج قاطع
(274) أقام له العذر الكليم وإنّه ..... كذلك علم القوم فيه بدائع
(275) وواظب شهود العلم فيك ، فإنّه..... هو الحقّ ، والأنوار فيك سواطع
(276) ورقّ مقام القلب من نجم ربّه ..... إلى قمر الرّحمن إذ هو طالع
(277) إلى شمس تحقيق الألوهة رافعا ..... إلى ذاته للقدر إن أنت رافع
(278) فللّه خلف الاسم والوصف مظهر ..... وعنه عيون العالمين هواجع
(279) فليس يرى الرّحمن إلا بعينه ..... وذلك حكم في الحقيقة واقع
(280) وإيّاك لا تستبعد الأمر ، إنّه ..... قريب على من فيه للحق تابع
(281) وها أنذا أنبيك عن سبل الهدى ..... وأفصح عمّا قد حوته المشارع

شرح الأبيات :-

(235) وإن شبّ نار النّفس يوما ملالها ..... فصبّ سحابا بالتصبّر هامع

المفردات :

إن شبّ نار النفس يوما ملالها : إن أشعل الملال نار النفس . **بالتصبر هامع :** يمطر صبرا وتصبرا .

المعنى :

يتابع الجيلي نصائحه السلوكية ، يقول ؛ وإن أشعل الملل يوما نار نفسك ، فسارع إلى صبّ سحب التصبّر عليها .

(236) وإن خاطبتك النّفس يوما برجعة ..... فشنّف لها كأسا من السّمّ ناقع

المفردات :

فشنف : زيّن . **ناقع :** قاتل .

المعنى :

يتابع الجيلي تشجيعه للسالك ، فيقول ؛ إن طلبت منك نفسك يوما أن ترجع عن مجاهداتك ، وعن خوض نيران العشق الإلهي ؛ فحضّر لها كأسا من السم القاتل ، وزيّنه لها حتى تشربه .

(237) فعاقب ، وركّبها على متن بازل ..... بما هو فيما هالها متدافع

المفردات :
فعاقب : عاقب النفس . **بازل :** بعير سبقت الإشارة إليه [را جع شروحات البيت رقم 120] .
بما هو فيما هالها متدافع : يدفعها فيما يخيفها .
المعنى :
يعلم الجيلي السالك أن يقسو على نفسه فيقول ؛ عاقب نفسك إن طالبتك بالرجوع عن العشق ، وركبها على ظهر بعير يدفعها ، ويرمي بها في كل أمر يخيفها .

(238) وجرّد لها من غمد عزمك صارما ..... يبتّ التّواني ، للعلائق قاطع
المفردات :
غمد : بيت السيف . **صارما :** أي سيفا صارما . **يبتّ التواني :** يقطع التكاسل والتّباطؤ . **للعلائق قاطع :** يقطع علائق النفس بالدنيا.

المعنى :
يتابع الجيلي نصائحه في المجاهدات ، يقول ؛ جرّد سيف عزيمتك ، واقطع به كل كسل وتخلّف ، واقطع كذلك عن نفسك بسيف العزيمة كل ما يربطها بهذه الدنيا .

(239) وألبس سرابيل الخلاعة خالعا ..... ثياب الغنى ، تخلع عليك خلائع
المفردات :
وألبس : ألبس نفسك . **سرابيل :** ثياب . **الخلاعة :** هنا بمعنى الفقر .
تخلع عليك خلائع : خلائع ؛ ج . خلعة وهي الحلة . والجملة تعبير بمعنى توهب لك عطايا ومنح .

المعنى :
يتابع الجيلي تعليم السالك أصول المجاهدات فيقول ؛ والبس ثياب الذل والفقر واخلع ثياب الغنى والاستغناء ، توهب لك من الغنيّ العزيز عطايا ومنح .
أما رمز الخلعة فقد يشير إلى الخلعة التي خلعها رسول الله صلّى الله عليه وسلم على كعب بن زهير ، حتى أضحت مطلبا صوفيا ورمزا للعطاء النبوي .
وها هو الإمام البوصيري قد لبس ثياب الذل كما ذكر في قصيدته المسماة بالبردة ، فخلع عليه رسول الله صلّى الله عليه وسلم في منامه بردة ، كانت برأة له من كل مرض .
كما قد يقبل رمز " الخلائع " الإشارة إلى الصفات الإلهية التي تظهر على العبد المتجرد عن صفة نفسه ، لكأنها أثواب وحلل .

(240) وقم ، وأقم حربا على النّفس ، حاذرا ..... فما موتها للآمنين مخادع

المفردات :

وقم . . . حاذرا : أي احذر . فما موتها : موت النفس .
للآمنين : للمطمئنين وهم الذين قطعوا مرحلة الحرب مع النفس ووصلوا إلى الأمان منها .
مخادع : مضل ، فالآمن من لا يخدع بموت النفس .

المعنى :

يتابع الجيلي تعليمه السلوكي ، ويحذّر السالك من النفس ، فيقول ؛ حارب النفس وقم على حربها ، واحذرها كل الحذر . . . ولا تظن يوما أن النفس ستموت ، نعم قد تهدأ شهواتها وقد تسكن اهواؤها وقد تتقطّع حبائلها ، ولكن داوم على حذرك ، وكن كالآمنين الذين لا يخدعون بموت النفس مهما شبّهت عليهم موتها!

(241) ودع عنك آمالا ، فكم من مؤمّل ..... لشؤم هوى آماله العمر ضائع

المفردات :

ودع عنك آمالا : لا تأمل خيرا من النفس . لشؤم هوى آماله العمر ضائع : أضاع عمره في أمل مشؤوم .

المعنى :

يتابع الجيلي تحذير السالك من النفس ، يقول ؛ لا تأمل خيرا من النفس ، فهي لا تأمر إلا بالسوء ، لذلك خالفها في كل أوامرها . . . وكم أضلّت النفس مجاهديها ، فزيّنت لهم آمالا توافق أهواءهم ، فأضاعوا العمر في أمل مشؤوم .

(242) وحاسب على الخطرات قلبك حافظا ..... له عن حديث النّفس فهو شنائع

المفردات :

وحاسب على الخطرات قلبك : حاسب قلبك على خطراته ، وراقب كل ما يخطر فيه ، والمحاسبة هي من أصول السلوك عند الصوفية .
حافظا له عن حديث النفس : احفظ قلبك من كل ما تحدّث به النفس .
فهو شنائع : ج . شنيعة ، والمراد هنا أن حديث النفس هو شنيع يؤذي القلب .

المعنى :

يعلّم الجيلي السالك أصول المحاسبة ، فيقول ؛ حاسب قلبك على كل ما يخطر فيه ، واحفظه من النفس كي لا تحدّثه أبدا بأي أمر ، لأن النفس لا تحدث إلا بشنيعة تؤذي القلب .

(243) وأضبط لها الإحساس فيه مراقبا ..... فإنّ لنفس الحسّ في النّفس طابع

المفردات :

واضبط لها : للنفس . **الإحساس فيه :** في القلب .
مراقبا : المراقبة من أصول السلوك عند الصوفية . **لنفس الحس** : للإحساس .
طابع : طباعة ، ونقش ، وأثر .

المعنى :
بعد أن نبّه الجيلي السالك في البيت السابق إلى أن خطرات القلب مصدرها حديث النفس ، يعلمه هنا كيف يطهّر نفسه وينقّيها فلا تحدّث القلب إلا بما يرضي الله عزّ وجلّ ،
فيقول : إن النفس معرضة لأنواع أحاسيس مصدرها العالم الخارجي ، كل إحساس تحسه النفس يطبعها بطابعه ، لذلك على السالك إن أراد تنقية نفسه ألا يدعها تحس إلا ضمن حدود يراقبها ويرضاها .
فإذا ضبط السالك أحاسيس نفسه الواردة عليه من العالم الخارجي ، فإنه يضبط في الوقت نفسه كل ما يطبع فيها ، وإذا ضبط كل ما يطبع فيها فقد نقّاها وطهّرها وأمن من أن تحدّث قلبه بسوء . . .
فالعالم الخارجي إذن عند الجيلي هو مصدر أحاسيس النفس ، وأحاسيس النفس هي مصدر حديثها للقلب ، ومن أراد أن يحفظ قلبه من حديث النفس ، عليه أن يضبط للنفس أحاسيسها تجاه العالم الخارجي .

(244) وورِدك في صبح الهوى ومسائه ، ..... أسى وعيون بالدّموع دوامع
المفردات :
ووِردُك : الورد عند الصوفيين جمعها أوراد ، وهو دعاء أو مجموعة أدعية يمارسونها بصفة منتظمة ، إما في الوقت كأوراد الليل والنهار وأوراد ليلة الجمعة ، وإما في العدد بأن يكرر السالك مثلا صيغة ذكر أو دعاء بعدد مخصوص .

المعنى :
ينصح الجيلي السالك هنا بأن ينقل ورده من لسان القول إلى لسان الحال ، يقول ؛ وليكن وردك في الصبح والمساء . . . هو ورد كل عاشق للجمال الإلهي . . . هو أسى وشوق وعيون تشكو بالدمع ما ضاقت عنه الحروف والكلمات

(245) وقاطع لمن واصلت أيام غفلة ، ..... فما واصل العذّال إلا مقاطع
المفردات :
وقاطع : اترك . لمن واصلت : لمن عاشرت . **أيام غفلة** : أيام غفلتك وبعدك عن الحق . **العذال** : عذال الحق . **مقاطع** : مقاطع للحق عزّ وجلّ

المعنى :

يبدأ الجيلي بتنبيه السالك إلى أهمية الصحبة ، فيقول ؛ إترك كل من صاحبت ، وكل من عاشرت أيام غفلتك وبعدك عن الحق عزّ وجلّ .
لأن المقاطع للحق فقط هو الذي يعاشر الغافل عن الحق .

(246) وجانب جناب الأجنبيّ لو أنّه ..... لقرب انتساب في المنام مضاجع

المفردات :

الأجنبي : الغريب ، والمراد هنا كل من ليس من أهل الله.
لو أنه لقرب انتساب في المنام مضاجع : حتى لو كان قريبا في النسب منك ، بل لو كان ضجيعك في المنام .

المعنى :

يتابع الجيلي كلامه في الصحبة ، فيقول للسالك منبها ؛ كل من لم يكن من أهل الله لا تعاشره ، حتى لو كان قريب النسب منك ، بل حتى لو كان ضجيعك في المنام ، أي زوجك .

(247) فللنّفس من جلّاسها كلّ نسبة ، ..... ومن خلّة للقلب تلك الطّبائع

المفردات :

جلاسها : ج . جليس ، وهو العشير . **كل نسبة** : انتساب وتأثير ، بمعنى أن النفس تنتسب وتتأثر بطباع العشير . **ومن خلة :** من صحبة . **الطبائع** : ج . طبيعة .

المعنى :

يتابع الجيلي تنبيهه للسالك على الصحبة ، فيقول ؛ لا تعاشر الأجنبي الذي ليس من أهل الله ومحبيه ، لأن النفس تتأثر بطباع العشير ، ولأن القلب يتطبع في الصحبة بطباع الخليل . . . وما الخلة ، إلا تخلل كل واحد من المتخاللين بصفات خليله .

(248) ولا تنهمك في القول أو في استماعه ..... ولو أنّ فيه من بلاغ مصاقع

المفردات :

مصاقع : ج . مصقع وهو الخطيب البليغ .

المعنى :

الجيلي رجل عمل ومجاهدة شأنه شأن كل صوفي ، لذلك ينبه السالك من الانشغال بالأقوال ، فيقول ؛ لا تنشغل بالأقوال ، تقولها أو تسمعها ، مهما سمت في مراتب البلاغة .

(249) فكلّ حديث قيل أو سنقوله ..... عن العين ، في التّحقيق للعين رادع

المفردات :
عن العين : المقصود هنا عن الذات الإلهية . **للعين رادع :** يردع عن الوصول إلى العين ، فكل قول هو حجاب على الذات.

المعنى :
يكمل الجيلي تحذير السالك من الأقوال والتنظيرات ، فيقول ؛ لا تنشغل بالأقوال لأن كل حديث قيل أو سيقال عن الله عزّ وجلّ هو في الواقع حجاب عليه .
والله عزّ وجلّ بخلاف كل مقالاتنا الإنسانية .

(250) فسرّ الهوى عن قائليه محجّب ..... فكيف وسمّاع الحديث توابع
المفردات :
توابع : ج . تابع ، بمعنى تابعون .

المعنى :
يتابع الجيلي تعليمه للسالك ، وينصحه بأن يجرب العشق ولا يقف مع وصف العشاق له ، لأنه سر يذاق ويعاش ولا تدرك حقيقته ، يقول ؛ كيف تستمع إلى حديث عاشق ، وهذا العاشق الذي يحدثك هو نفسه غائب عن سر عشقه . . . فسرّ العشق محجّب حتى على العشاق أنفسهم . . . وإذا استمعت إلى أحاديث العشق تكون تابعا . . . تابعا لأقوال عاشق غابت عنه أسرار العشق .

(251) حديث الهوى سرّ وفي السرّ لم يزل ..... وما القيل للعشّاق والقال نافع
المفردات :
وفي السر لم يزل : باق في السر .

المعنى :
يكمل الجيلي كلامه في تجربة العشق فيقول للسالك ؛ إن العشق هو سر ، وسيظل غليل الأسرار ، وما عليك إلا أن تتذوقه ، لأن القيل والقال فيه لا ينفع

(252) ورمز الهوى : كنز ، ومدفنه الحشا ..... وإيّاك ، فالتّصريح عنه موانع
المفردات :
ورمز الهوى كنز : إن الهوى إذا صورناه رمزا قلنا : إنه كنز . موانع : ج . مانع ، يمنع من الوصول إلى المراد .

المعنى :
إذا أردنا أن نتكلم بلغة الرمز نقول : إن العشق هو كنز ومدفنه في الحشا .

لذلك يبيّن الجيلي للسالك مغبّة التصريح فيقول له ؛ إن العشق يحبّ التلميح والإسرار فحافظ عليه مخبوءا في طيّات حروف لم تقل ، وفي شغاف وجدان فتّته الكتمان . . . وإياك أن تخرج العشق من دائرة الأسرار وتحدّه بألفاظ ، وتصرح عنه بصور وعبارات ، لأن كل تصريح في العشق يمنعك من الوصول إلى معشوقك.

(253) وإنّي لمن في الحبّ يهدي بهديه ..... بأنّك لا تهدي من أحببت قانع

المفردات :

لمن في الحب يهدي بهديه : لمن يحاول أن يهدي النفس إلى الحب الإلهي . بأنك لا تهدي من أحببت : بأن أنبهه إلى قوله تعالى :إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ[القصص : 56] . قانع : مقتنع .

المعنى :

يحاول البعض أن يدعو الناس إلى الحب الإلهي ، ولكن غاب عنهم أن العشق لا يوقد ناره إنسان في قلب إنسان ، وإن الله وحده عزّ وجلّ هو الذي يجعل محبّته نارا دائمة الإشتعال في قلب عبده . . . والجيلي هنا يكتفي بأن يذكّر الدعاة إلى العشق الإلهي بقوله تعالى :إِنَّكَ لا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشاءُ[القصص : 56].

(254)ودع عنك دعوى القول في نكتة الهوى .... فراحلة الألفاظ في السّير ضالع

المفردات :

دعوى القول : الإدّعاء بالأقوال . **فراحلة الألفاظ :** الكلام . **في السير ضالع** : جاد في السير لا يتوقف ، والمراد هنا يرحل ويزول ولا يثبت .

المعنى :

إن العشق فعل وتفاعل وليس مجرد أقوال وادعاءات ، لذلك ينصح الجيلي السالك بأن يترك الإدعاءات والكلام ، فيقول ؛ دع عنك الأقوال ، لأن الكلام يرحل ولا يثبت أمام هجمات البلاء .

(255) ومن دون هذا الاستماع مهالك ..... وما كلّ أذن فيه تلك المسامع

المفردات :

هذا الاستماع : أي الاستماع إلى الهوى .

المعنى :

إن الفهم من أنغام العشق عزيز ، لذلك ينبّه الجيلي السالك على صعوبته ، فيقول ؛ ولا تظن أن استماعك إلى أسرار العشق الإلهي سهل وهيّن ، بل دون ذلك مصاعب ومهالك . . .

ثم من ناحية ثانية ، ليست كل أذن مهيّأة ومؤهلة لإلتقاط هذه النغمات.

(256) وسر في الهوى بالروح واصغ إلى الهوى ...لتسمع منه سرّ ما أنت سامع

المفردات :

بالروح : أي سر بروحك في الهوى ولا تهتم بالأقوال وسماعها .
واصغ إلى الهوى : واصغ إلى واردات الهوى .

المعنى :

يتابع الجيلي نصائحه في أصول العشق الإلهي فيقول للسالك ؛ إترك كل الأقوال ، وسر بروحك في العشق ، ولا تنصت إلّا إلى أنغام العشق الإلهي ، لتسمع منها أسرار العشق .

(257) وشمّر ولذ بالأولياء فإنّهم ..... لهم من كتاب الله تلك الوقائع

المفردات :

شمر : استعد للمجاهدة . **ولذ بالأولياء :** الجأ إليهم ؛ والأولياء ج .
ولي ؛ والولي أو ولي الله هو موضوع شغل الفكر الصوفي منذ البدايات ، وعرّف كل متصوف مفهوم الولاية بحسب رؤيته ونظامه الصوفي .
لذلك تتنوع هذه التعريفات ، فالولي أحيانا هو العارف ، أو المقرّب ، أو المجاب الدعوة ، أو الفاني في التوحيد ، أو الواصل الموصّل ، أو صاحب التصريف والكرامة وهكذا . .

المعنى :

يبدأ الجيلي الآن بإفهام السالك معنى الولاية ومكانة الولي ودوره في حياة السالكين ، فيقول ؛ استعدّ للمجاهدة إذا أردت الاستماع إلى نغمات الهوى ، والجأ إلى الأولياء ، لأن الله عزّ وجلّ أعطاهم " علما من الكتاب " فيه لهم وقائع وتصريف . . .
ونفهم كلام الجيلي هنا على ضوء قول آصف بن برخيا لسليمان عليه السّلام :أَنَا آتِيكَ بِهِ "أي بالعرش" قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ.
وآصف هو الذي وصفه الله عزّ وجلّ بأنّه :عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتابِ[النمل : 40] . .

(258) هم الذّخر للملهوف والكنز للرّجا ، ..... ومنهم ينال الصّبّ ما هو طامع

المفردات :

الكنز للرجا : أي هم كنز الرجاء . **الصب :** العاشق [راجع "صبابة " شروحات البيت رقم 4] . **ما هو طامع :** ما يطمع فيه.

المعنى :

إن الأولياء هم نجدة الملهوف ، وفيهم خبّأ الله تعالى الرجاء وكنزه . . . ومنهم ينال كل صبّ عاشق مطلبه .

(259) بهم يهتدي للعين من ضلّ في العمى ..... بهم تجذب العشّاق والربع شاسع

المفردات :

بهم : بالأولياء . **للعين :** للحق . **بهم تجذب العشاق :** هم مركز جاذبية لعشاق الحضرة الإلهية ، وقد أوضح الجيلي بذلك دور الأولياء ، فبهم يجذب العشّاق إلى الله عزّ وجلّ ، وليس إلى مركز ذواتهم .

المعنى :

يتابع الجيلي تعليم السالك معنى الولاية ودور الأولياء في حياة الجماعة الدينية ، يقول ؛ إن ضلّ سالك طريقه إلى الله ، وقطعته بحار الحيرة فالولي هو الذي يقوّم له مساره . . .

وكلام الجيلي هنا لا يناقض كلامه السابق الذي أكّد فيه أنه ليس في استطاعة إنسان أن يهدي إنسانا آخر إلى الحب الإلهي ، لأن الهداية التي يتعرّض لها هنا تنحصر في تصحيح مسار ، فهي هداية طريق ، ولا تحقق نقلة من الكفر إلى الإيمان أو من عدم الحب إلى الحب .

فالولي إذن هو الذي يصحح مسار السالكين . . . ثم إن للأولياء دورا آخر ، ففي هذه الدنيا الشاسعة التي تترامى بشرا وحجرا ، يبرز الولي كمركز جاذبية يجذب العشّاق الإلهيين . ولذلك نجد حول الأولياء تجمّعات من الأشخاص الذين يحبّون الله ويطلبونه .

وهذا طبيعي جدا لأن الولي يذكر الله عزّ وجلّ وذكر الله لا يفارقه لحظة ، والعاشق ينجذب ليعيش حول من يذكّره بمحبوبه . . . وفي الحديث الشريف أن الولي هو الذي تذكّر رؤيته بالله .

(260) هم السّؤل والمطلوب والقصد والمنى ..... واسمهم للصبّ في الحبّ نافع

المفردات :

السؤل : ما يسأل . **واسمهم :** أي وذكر اسمهم ينفع العاشق .

المعنى :

يتابع الجيلي إفهام السالك أهمية الأولياء في حياة المؤمن السالك العاشق ، يقول ؛ الأولياء في هذه الدنيا هم كل من يسأل ويطلب ويقصد ويتمنى. . .

بل أكثر من ذلك ، إن غابوا فذكر اسمهم فقط ينفع العاشق في حبّه ، لأن ذكرهم يوقظ الهمم ويحيى موات العادات .

(261) هم الناس فالزم إن عرفت طريقهم ..... ففيهم لضرّ العالمين منافع

المفردات :

هم الناس : الأولياء على درجات مراتبهم هم فقط الناس . **فالزم طريقهم :** اتبعه .

المعنى :

يتابع الجيلي تعليمه في الأولياء والولاية ، فيرى أن الأولياء هم فقط الذين استحقوا اسم الناس في هذه الدنيا . ويقول للسالك ؛ فإن وفّقت إلى معرفتهم فلازمهم بالخدمة والصحبة . لأن الأولياء هم وحدهم النافعون حين يتنزّل القضاء بضر على العالمين . .

(262) وإن جهلوا ، فانظر بحسن عقيدة ..... إلى كلّ من تلقاه بالفقر صادع

المفردات :

وإن جهلوا : وإن لم تعرف الأولياء ، وكانوا مجهولين لديك . بحسن عقيدة : حسّن اعتقادك . صادع : ظاهر .

المعنى :

يخاطب الجيلي السالك ناصحا ، وإن لم يسعفك الحظ بلقاء الأولياء ومعرفتهم ، فحسّن اعتقادك بكل من تراه ظاهرا بالزهد والصلاح .

(263) وحافظ مواثيق الإرادة قائما ..... بشرع الهوى ، إن أنت في الحبّ شارع

المفردات :

مواثيق : ج . ميثاق وهو العهد ، وهنا الإشارة إلى العهد الذي يأخذه الشيخ المربي على مريده ، أو إلى العهد الذي يقطعه العبد على نفسه . **بشرع الهوى :** بما تمليه شريعة الهوى ، من حفظ القلب عن غير المحبوب ، ودوام ذكره ، والتفاني في طلبه . . . . **شارع :** بادىء .

المعنى :

يتابع الجيلي إرشاده السلوكي ، فيعلّم السالك كيف يجنّد كل طاقاته الإنسانية ليصل إلى مطلوبه . يقول ؛ حين طلبت الحقّ عزّ وجلّ تعهّدت إرادتك بمجاهدات

ورياضات ، فحافظ على هذه المواثيق . ثم أكثر من ذلك ، علّم نفسك وجاهدها ورَوّضها على شرع الهوى ، لأنك بذلك تضمن وفاءها بعهودها . والسبب أن وفاء العاشق بعهوده أيسر من وفاء الصالح المجاهد الملتزم .

(264) وداوم على شرطين : ذكر أحبّة ..... وتسليك نفس بالخلاف تسارع

المعنى :

يحدد الجيلي للسالك شرطي الطريق الصوفي في حال فقدان المربي ، وهذان الشرطان يبينان كيف أن الجيلي يدمج طريقين كان التصوف قبله يفصلهما ، وهما : طريق المجاهدة وطريق العشق . يقول للسالك ؛ إن لم تجد وليا يربّيك فداوم على شرطين ، أولهما أن تذكر الله عزّ وجلّ ذكر عاشق واله ، وثانيهما أن تجاهد نفسك وتسلّكها في دروب المشاق ، لأن طبيعتها المسارعة إلى المخالفة والأمر بالسوء إذا غفلت عن مجاهدتها لحظة .

(265) ولا تهملن ذكر الأحبّة لمحة ..... وداوم خلاف النّفس فهي تتابع

المفردات :

ذكر الأحبة : ذكر الله عزّ وجلّ . **وداوم خلاف النفس** : تابع مخالفة نفسك .

فهي تتابع : أي أن النفس تتابع في الأمر بالسوء والحضّ عليه .

المعنى :

يؤكد الجيلي هنا معنى البيت السابق ، وينصح السالك بأن يداوم على ذكر الله عزّ وجلّ في كل الأوقات ، وبأن لا يغفل لمحة عن نفسه لأنها تتابع مسيرتها في الأمر بالسوء والحض عليه .

(266) وقم واستقم في الحبّ لا تخش ضلّة ..... فميل الفتى عمّا يحاول رادع

المفردات :

ضلة : ضلالا . فميل الفتى : انحرافه . **عما يحاول** : عن محاولته الإستقامة .

رادع : مانع .

المعنى :

يتابع الجيلي تشجيع السالك على طريقي المجاهدة والعشق ، يقول ؛ قم بحق المجاهدات ، واستقم في عشقك لا تخف ضلالا أو حيرة . واحرص على مداومة مجاهدتك وعشقك ، لأنك إن انحرفت عن هذه المداومة لا تصل إلى محبوبك أبدا .

(267) فإن ساعد المقدور أو ساقك القضا ..... إلى شيخ حقّ في الحقيقة بارع

المفردات :

شيخ حق : شيخ محقق ومتحقق بأنواع الكمالات .
في الحقيقة بارع : متضلع في علم الحقيقة .

المعنى :

الجيلي ربيب الطرق الصوفية ؛ ونجم القرن الثامن الهجري ، العصر الذهبي للطرق في نقاوتها قبل زمن التقليد أو الشعوذة ، يؤكد على أهمية الشيخ في حياة السالك المريد ، فيقول للسالك ؛ فإن ساعدك القدر ، ووضعك القضاء أمام شيخ محقّق ومتحقّق بكمالات المقامات الصوفية ، ومتضلّع في علوم الحقائق ، وطرق الوصول إليها .

(268) فقم في رضاه واتّبع لمراده ..... ودع كلّ ما من قبل كنت تصانع

المفردات :

تصانع : تصنع ، تداوي (تأتي بأحد المعنيين) .

المعنى :

يتابع الجيلي معنى البيت السابق فيقول ؛ إن ساعدك القدر والتقيت بشيخ محقق ، فاترك كلّ ما كنت تقوم به من مجاهدات وأذكار ، وقم في مرضاة الشيخ ، واتّبع لما يريده منك .
لأن السالك إن ترك ما كان قد اختاره لنفسه من مجاهدات واتبع أوامر شيخه ، يكون قد خرج عن مراد نفسه ، إلى مراد مربيّه ومرشده في طريق القوم .

(269) وكن عنده كالميت عند مغسّل ، ..... يقلّبه ما شاء ، وهو مطاوع

المفردات :

عنده : عند الشيخ . **كالميت عند مغسّل** : كما يكون حال الميت بين يدي مغسله ، وهذا التشبيه متعارف عليه ومقبول عند أبناء الطرق الصوفية .
ويكفي أن نلقي نظرة على كتب الصوفية التي تفرد فيها فصول كاملة للكلام على " أدب المريد مع شيخه " لنعرف مكانة الشيخ.

المعنى :

يعلّم الجيلي السالك أدب المريد مع الشيخ ، فيقول ؛ كن بين يدي شيخك ، كما يكون الميت بين يديّ غاسله ، لا حول له ولا قوة ، لا مراد ولا مطلب ، لا حركة ولا نزوع . . .

يقلّب أعماقك بين أصابع رؤيته ، وتطاوع أعماقك فتتشكّل على وقع حركته . وكل ذلك لأن شرط العهد الذي بين المريد وشيخه ينصّ على أن يوصّل الشيخ مريده إلى أعلى مقامات القلب الإنساني الكسبية ، بحيث يتحلّى بالصبر والتوكل والتوبة والمراقبة شرط أن يترك المريد كل اختيار وإرادة شخصية ويتّبع إرادة شيخه . . .
وترك المريد لإرادته وإتّباعه لإرادة مربّيه وشيخه هو منهجيّة صوفية بنيت على رؤية تقول بأن النفس لا تسلم أبدا من الأمر بالسوء ، لذلك من الأسلم للإنسان أن يسلّم مقاليد أمره إلى آخر خبر أحوال القلب ومقاماته ، حتى يخلّصه من النفس الأمّارة بالسوء ، ويوصله إلى أعلى مراتب استقامة القلب بالشرع المحمدي .

(270) ولا تعترض فيما جهلت من أمره ..... عليه ، فإنّ الاعتراض تنازع

المفردات :

ولا تعترض : تحذير من الاعتراض على الشيخ . وهذا التحذير لا يكاد يخلو منه كتاب ألّف بعد القرن السابع الهجري .
فيما جهلت من أمره : يرى الجيلي هنا أن الاعتراض على الشيخ هو في الواقع جهل وعدم معرفة ، والمريد المعترض على أمر يراه من شيخه ، هو في الواقع جاهل لأمر شيخه . لأن الشيخ الحقّ لا يخرج على الأمور الشرعية أبدا ، ظاهرا وباطنا .
تنازع : نزاع ومخالفة ، والخلاف يؤدي إلى الفراق .

المعنى :

ينبّه الجيلي السالك من الاعتراض على ما لا يفهم من أحوال مربيه ، فيقول ؛ لا تعترض على ما تراه من أفعال شيخك مخالفا في الظاهر للشرع .
لأن اعتراضك ينبع من جهلك لحقيقة أمره ، ولا تظن يوما أن الشيخ الحق يخالف الشريعة أبدا ، لا في ظاهر أفعاله ولا في باطنها .
واحذر من الاعتراض ، لأن الاعتراض هو في الحقيقة تنازع إرادتين ، وأنت عاهدت على ترك إرادتك حين عاهدت الشيخ على مجاهدة نفسك وتحصيل مقامات قلبك.

(271) وسلّم له مهما تراه ولم يكن ..... على غير مشروع ، فثمّ مخادع

المفردات :

وسلّم له : التسليم للشيخ من المقولات التي انتشرت في أوساط الطرق الصوفية ، ويقدّم الجيلي جديدا في قضية التسليم للشيخ إذ يرى أن التسليم ضروري ، إلا أن إتّباع الشيخ وتقليده في فعله على غير معرفة بالوجه الشرعيّ منها هو أمر مرفوض بتاتا .
فالمفروض أن نسلّم للشيخ أفعاله دون أن نتّبعها إلا إذا رأينا الوجه الشرعيّ منها .
مهما تراه : مهما ظهر لك من أفعاله . على غير مشروع : على غير ما ورد في الشرع ، مخالفا للشريعة .
فثم مخادع : فثمّة مظاهر خادعة .

المعنى :

إذا رأيت من شيخك أفعالا ، وتراءى لك أنها غير شرعية ، فإيّاك أن تظنّ أن شيخك يخالف الشريعة ؛ بل تذكّر دائما أن المظاهر خدّاعة ، وتذكّر قصة الخضر الكريم مع موسى عليه السّلام . . .
ولكن هنا نكتة لطيفة نحب أن نوضّحها للقارئ ؛ فالسالك يسلّم للشيخ أفعاله ، بمعنى أنه لا يظنّ به إلا خيرا ، وفي الوقت نفسه لا يرخّص له تقليد شيخه في أفعاله ، إلّا فيما يفهم وجه الشرع منها ، أو فيما أمره الشيخ بفعله .
فأفعال المريد تنحصر إما في تنفيذ أوامر الشيخ ، أو في تقليده في الواضح الشرعي .
والفاسق وحده أو الجاهل هو الذي يقلّد ظاهر أفعال دون أن يعلم وجه الشرع فيها .
وحجته أنه رأى شيخه يقوم بها ، وهو في أغلب الأحيان لم يناقش شيخه حقيقة الفعل لأنه من المقلّدين المتأدبين بأدب جهلة الصوفية ، الذين لا يفرقون بين استفهام الشيخ وبين الاعتراض عليه .

(272) ففي قصّة الخضر الكريم كفاية ..... بقتل غلام والكليم يدافع

المفردات :

كفاية : دليل كاف . **بقتل غلام :** الإشارة إلى الغلام الذي قتله الخضر عليه السّلام .
والكليم : موسى عليه السّلام . **يدافع :** يعترض .

المعنى :

يعطي الجيلي الدليل على أن الاعتراض يسبب القطيعة ، يقول ؛ والدليل على أقوالي هو ما ورد في قصة الخضر وموسى .
فأولهما علّمه الله عزّ وجلّ من لدنه علما والثاني كلمه الله تكليما ، ورغم ذلك فإن اعتراض الكليم على الخضر عليه السّلام أدّى إلى فراق.

(273) فلمّا أضاء الصّبح عن ليل سره ..... وسلّ حساما للمحاجج قاطع

المفردات :

فلما أضاء الصبح عن ليل سره : تعبير بمعنى ، لمّا كشف الخضر لموسى عليه السّلام عن أسرار أفعاله .
للمحاجج قاطع : يقطع حجج المعترض .

المعنى :

يتابع الجيلي الاستفادة من رموز قصة موسى والخضر ليبيّن فكرته في الشرع المخبوء خلف حجب الأفعال الظاهرة فيقول ؛ لما كشف الخضر لموسى عليهما السلام ، عن

صبح المعاني المخبوءة في ليل الأسرار ، وأحاطه خبرا بما ظهر له من أفعال ، قطع كلّ اعتراض وحجة .

(274) أقام له العذر الكليم ، وإنّه ..... كذلك علم القوم فيه بدائع

المفردات :

أقام له العذر : عذره . **علم القوم :** علم الصوفية .

المعنى :

يتابع الجيلي استدلاله بقصة موسى والخضر عليهما السلام .
فيقول ؛ بعد أن كشف الخضر لموسى عن معاني أفعاله ، عذره موسى عليه السّلام . . . وكذلك أيها السالك عليك ألّا تنخدع بالمظاهر ، وتعلّم من القوم ألا تحكم على مظهر قبل أن تتضح لك منه بيّنة . وتعلّم أن تسلّم لمن اتصف بالصلاح وإن لم تر وجه الشرع في فعله ، تسليما ينافي الإنكار ، ولا يتنافى مع الاستفهام والاستفسار .

(275) وواظب شهود العلم فيك ، فإنّه ..... هو الحقّ ، والأنوار فيك سواطع

المفردات :

شهود العلم فيك : ينصحه بأن يداوم على مشاهدة العلم في ذاته ، وهنا إشارة إلى الآية الكريمة :سَنُرِيهِمْ آياتِنا فِي الْآفاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ[فصلت : 53].

المعنى :

ينصح الجيلي السالك بأن يأخذ العلم من ذاته ويترك التقليد ، وأن يراقب أعماقه منتظرا سطوع أنوار الحق فيها. . .

(276) ورقّ مقام القلب من نجم ربّه ..... إلى قمر الرّحمن إذ هو طالع

المفردات :

من نجم ربه : من مرتبة الربوبية ، والمراد هنا بالربوبية كل اسم من الأسماء الإلهية في ربوبيته لعبيده . ومن العبيد من هو عبد للمنعم ، ومنهم من هو عبد للمنتقم ، ومنهم من هو عبد الغنيّ وهكذا . . .
إلى قمر الرحمن : إلى المرتبة الرحمانية ، والمراد هنا بالرحمن هو الاسم الجامع للأسماء الإلهية ، لقوله تعالى :قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَيًّا ما تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْماءُ الْحُسْنى[الإسراء : 110].

المعنى :

يحث الجيلي السالك على الترقي قائلا ؛ وارق بقلبك من مقام نجم الربوبية إلى مرتبة قمر الرحمن . . .
بمعنى آخر ، عندما يطلع قمر الرحمن وتتجلّى رحمته الشاملة في وجود الكائنات ، فانظر إليه في تجلي صنعته ولا تحصر قلبك بالنظر إلى نجم الأسماء .

(277) إلى شمس تحقيق الألوهة رافعا ..... إلى ذاته للقدر إن أنت رافع

المفردات :

إلى شمس تحقيق الألوهة : أي إلى مقام الألوهيّة ، والله هو الاسم الجامع للأسماء جميعا ، وينظر إليه الصوفيون على أنه اسم علم للذات ، فلا اسم يطلق على الحق عزّ وجلّ أشمل وأبعد عن الوصف من اسم " **الله** " إلّا اسم " **الذات** " .
رافعا إلى ذاته : إلى مقام الذات . والذات هو أعلى الأسماء الإلهية تجريدا .
للقدر : أي للقدر الذي تستطيعه ؛ على قدر استطاعتك . **إن أنت رافع** : إن أنت شرعت في رفع مقام القلب ، وترقيته .

المعنى :

يشجع الجيلي السالك على اقتحام الترقي ، ويقول ؛ بعد أن ترقى من مقام نجم الربوبية إلى مرتبة قمر الرحمن ، لا تتوقف بل ارق إلى شهود الألوهية الشاملة لكل الأسماء الإلهية حتى اسم الرحمن . . . ومن هذا الشهود إلى الذات العلية . . .
وهذا الترقي الذي ينصح به الجيلي تفسيره ، هو أن يكون الإنسان في بدايته عبدا لله عزّ وجلّ من حيث اسم من أسمائه تعالى .
ثم يرتقي في عبوديته ليكون عبدا للرحمن . ثم يرتقي في عبوديته ويتخلص من كل طلب لله في اسم أو صفة ليكون عبدا لله خالص العبودية دون أي مطلب صفاتي ، وهذه هي العبودية الخالصة التي أشارت إليها رابعة بقولها " ما عبدتك خوفا من نارك ولا طمعا في جنتك بل عبدتك لأنك أهل للعبادة . . . "
فالعبادة رهبة ورغبة هي عبادة لله عزّ وجلّ من حيث اسم من أسمائه تعالى . ومن هذه العبادة يرتقي الإنسان ليكون عبدا خالصا لله دون تحرّك إرادته برغبة أو رهبة .
ثم يرتقي إلى أن يكون عبدا للذات الإلهية ، وهنا يكون عبدا منزّها عن كل رغبة ورهبة ، بل منزها عن النظر إلى ذاته ، فانيا عن كل حظوظ نفسه ، باقيا في شهوده لربّه .

(278) فللّه خلف الاسم والوصف مظهر ..... وعنه عيون العالمين هواجع

المفردات :

العالمين : الكائنات . **هواجع** : غافلة ، نائمة .

المعنى :

إن للألوهية مظهر وتجل ، خلف حجب الأسماء والصفات ، ولكن عيون الكائنات غافلة عن هذا الشهود .

(279) فليس يرى الرّحمن إلا بعينه ..... وذلك حكم في الحقيقة واقع

المفردات :

إلا بعينه : إلا بعين الرحمن ، وهنا الإشارة إلى وصول العبد إلى مقام قرب النوافل الوارد في الحديث : " لا يزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه ، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي . . . " .

المعنى :

ينبه الجيلي السالك على صحة العقيدة في أعلى مقامات القرب ، فيقول ؛ ولا تظن أنك تستطيع أن تصل إلى شهود تجليات الرحمن بعينك أنت . . .
لا ، إنك لا تصل إلى هذا الشهود إلا حين تتخلل قواك قوى الحق عزّ وجلّ ، أي تصل إلى مقام قرب النوافل ، بحيث يكون الحق عزّ وجلّ هو سمعك وبصرك ، ويدك . . . عندها ترى تجلّيات الرحمن .

(280) وإيّاك لا تستبعد الأمر ، إنّه ..... قريب على من فيه للحق تابع

المفردات :

لا تستبعد الأمر : لا تستبعد حصول هذا الأمر . **من فيه للحق تابع :** من لديه قلب أو روح تابعة للحق عزّ وجلّ .

المعنى :

يحارب الصوفية تخاذل الإنسان ، ويشجعونه دائما على اقتحام العوالي ، وعلى ألّا يستبعد عطاء إلهيا لأنه تعالى يعطي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ، وهنا يقول الجيلي للسالك ؛ وإياك أن تستبعد وصولك إلى مقام قرب النوافل ، وتخلّل الحقّ لقواك جميعا . . .
فهذا الأمر قريب على من فيه روح تابعة للحق عزّ وجلّ .

(281) وها أنذا أنبيك عن سبل الهدى ..... وأفصح عمّا قد حوته المشارع

المفردات :

أنبيك : أخبرك . المشارع : **الشرائع** ، ج . شريعة .

المعنى :

يطمئن الجيلي السالك بأنه سيدلّه على الطريق الذي يوصله إلى مقام قرب النوافل ، فيقول ؛ وفيما يلي من قصيدتي سأخبرك عن السبل التي تهديك وتوصلك إلى هذا المقام ، كما أفصح لك عما تحتويه الشرائع من أسرار

تاسعا الأبيات من (282) إلى (319) الجيلي يروي سيرته الروحية
الجزء الأول

(282) أقصّ حديثا تمّ لي من بدايتي ..... لنحو انتهائي علّه لك نافع
(283) برزت من النّور الإلهيّ لمعة ..... بحكمة ترتيب قضتها البدائع
(284) إلى سقف عرش الله في أفق العلا ..... ومنه إلى الكرسيّ جئت أسارع
(285) إلى القلم الأعلى ، ولي منه برزة ..... إلى اللوح ، لوح الأمر للخلق واسع
(286) إلى الهبأ السّامي ، وقيل مكرّما ..... نزلت الهيولى ، وهو للخلق جامع
(287) هناك تلقّتني العناصر حكمة ..... ومنها أحلّتني حلاها الطّبائع
(288) وأنزلني المقدور في أوج أطلس ..... هو الفلك العالي الذرى وهو تاسع
(289) ومنه هبوطي للمكوكب نازلا ..... على فلك ، كيوان ثمّة سابع
(290) فلمّا نزلت المشتري وهو سادس ..... سماء به للسّعد في الكون تابع
(291) أتيت سما بهرام من بعد هابطا ..... على فلك للشمس والشّمس رابع
(292) وفي كرة الزهراء أعني سماءها ..... حثثت مطيّ السير والدار شاسع
(293) إلى كاتب الأفلاك وهو عطارد ..... نزلت وكانت لي هناك مراتع
(294) وبالقمر الباهي نزلت وشرّعت ..... على الفلك النّاري الأثير ، شرائع
(295) ومنه هوى للأمر في فلك الهوا ..... ركائب عزم ما لهنّ موانع
(296) وبالكرة المائيّة العين إذ سرت ..... أضافت ركاب العزم فيها البلاقع
(297) وهذا نزول الجسم من عند ربّه ..... وللرّوح تنزيل مجازا متابع
(298) وذلك أنّ الرّوح في المركز الّذي ..... لها هو روح الحقّ فافهم أسامع
(299) فليس لها فيه هبوط منزّل ..... وليس لها فيه صعود مرافع
(300) ولكنّ في تعيينها بمخصّص ..... تنزّل عن حكم بأن هو شائع
(301) وذلك للأرواح خلق حقيقة ..... وذلك تنزيل لها وقواطع
(302) ففي المثل المفروض منه ترتّبت ..... مراتبه حتّى بدا متناوع
(303) فيبرز في حكم المرآة للورى ..... على الجرم والمقدار إذ ذاك طالع
(304) فتنويعها ذاك التّجلّي هو الّذي ..... نسمّيه روحا ، وهو بالنّفخ واقع
(305) وإلّا فلا اسم له غير ربّنا ..... وليس له إلّا الصّفات مواضع
(306) تنزّه ربّي عن حلول بقدسه ..... وحاشاه ، ما بالإتّحاد مواقع
(307) ومهما تحلّ الرّوح جسما فإنّها ..... لتصوير ذاك الجسم في الصّور تابع
(308) ويتبعها في نصبها وارتفاعها ..... وتتبعه إن جرّ يوما طبائع
(309) فإن قويت بالتّزكيات رقت به ..... إلى المركز العالي الّذي هو رافع
(310) وإن ضعفت واستقوت النّفس والهوى ..... تكن تبعا للجسم إذ قام مانع

(311) فتشقى به في سجن طبع وإن رقت ..... به كان مسعودا وفي العزّ راتع
(312) وإنّ نزول الجسم للخلق في الثّرى ..... سواء ، ولكن بعد ذاك تناوع
(313) فمن سبقت لله فيه عناية ..... فغير مكوث في التّراب ، مسارع
(314) ومن أبعدته السّابقات فإنّه ..... له بين نبت والتراب تراجع
(315) فقد يك عشبا ثم ترعاه دابة ..... ويترب إذ يفنى فيخضرّ ضارع
(316) على قدر تكرار التردّد بعده ..... لتنسى عهود بالحمى ووقائع
(317) وعند مرور النّفس في كلّ منزل ..... سينقش فيها منه طبعا طبائع
(318) فتظهر نفس المرء كاملة البها ..... ومن نسخة الأكوان فيها خلائع
(319) لتذكر بالمشهود غابر أمرها ..... فيرجع للأوطان من هو راجع

شرح الأبيات :-

(282) أقصّ حديثا تمّ لي من بدايتي ..... لنحو انتهائي علّه لك نافع

المعنى :

ابتداء من هذا البيت رقم (282) وإلى آخر القصيدة ، أي إلى البيت رقم (535) ، **سيروي لنا الجيلي قصته الكاملة :** قصة خلقه وتكوينه في العوالم وظهوره على الأرض ومجاهداته وترقيه في المقامات ووصوله إلى مقام الخلافة والبقاء ، ثم سيبين لنا مظاهر مقام الخلافة من قدرة وتصريف. . . .

باختصار سيقص علينا الجيلي هنا حديث رحلته ، منذ بدايتها إلى نهايتها ، وقد أوردنا في المقدمة الفائدة من روايته هذه ، فلتراجع.

(283) برزت من النّور الإلهيّ لمعة ..... بحكمة ترتيب قضتها البدائع

المفردات :

لمعة : في رؤية الجيلي أن الكائن الإنساني هو لمعة من النور الإلهي . والمقصود **بالنور هو العلم بحكمة :** يشير الجيلي هنا إلى أن العالم الذي يعيش فيه الإنسان ، هو عالم بني قانونه على الحكمة ؛ بمعنى أنه عالم بني على ربط الأسباب بمسبباتها . فعالمنا هو عالم أسباب وحكمة ، في مقابل عوالم قانونها ونظامها هو القدرة الإلهية كأرض السمسمة أو كعالم الخيال كما وصفه الجيلي ، ومن قبله محيي الدين بن عربي . **ترتيب :** هذا الظهور ليس دفعة واحدة ، وإنما ترتّب متسلسلا ؛ خلق من بعد خلق ، وعالم من بعد عالم ، وكون من بعد كون .

المعنى :

يرى الجيلي أنه برز - شأنه شأن كل مخلوق - لمعة من النور الإلهي ، بمعنى من العلم الإلهي . وهذا الظهور لحكمة أرادها الله عزّ وجلّ ، وبترتيب اقتضاه الإبداع الإلهي .

(284) إلى سقف عرش الله في أفق العلا ..... ومنه إلى الكرسيّ جئت أسارع

المفردات :

عرش الله : إن العرش هو الفلك المحيط بجميع الأفلاك المعنوية والصورية ، وهو مطلق الوجود عينيا كان أو حكميا . ولهذا الفلك ظاهر وباطن ، فباطنه عالم القدس وهو عالم أسماء الحق سبحانه ، وظاهره عالم الأنس ، وهو محل التشبيه والتجسيم والتصوير . [را . الإنسان الكامل ، 2 / 4 - 5] .

الكرسي : هو مظهر الاقتدار الإلهي ومحل نفوذ الأمر والنهي ، وفي الكرسي أول توجّه الرقائق الحقيقية إلى إبراز الحقائق الخلقية ، ومنه يبرز الأمر الإلهي في الوجود . [را . الإنسان الكامل ، 2 / 5] .

المعنى :

بعد أن برز الجيلي ، شأن كل إنسان ، من العلم الإلهي لمعة ، يتنزّل في الأكوان هابطا إلى الأرض . ولكن تنزّله يتمّ في عالم بعد عالم ، ويتطور في خلق بعد خلق .

وأول تنزّل هو إلى سقف عرش الله . والمقصود إن الإنسان يتنزّل من كونه لمعة نور غير محددة الصورة ، إلى التجسيم والتصوير في العرش ...

وبعد التجسيم والتصوير تتنزّل لمعة النور إلى الكرسي ، أي يتوجه هذا الأمر الإلهي إلى التنفيذ والبروز في عالم الخلق .

(285) إلى القلم الأعلى ، ولي منه برزة .... إلى اللوح ، لوح الأمر للخلق واسع

المفردات :

القلم الأعلى : " القلم الأعلى عبارة عن أول تعينات الحق في المظاهر الخلقية على التمييز " .

ويقصد الجيلي بقوله " **على التمييز** " ، إن الخلق له تعين إبهامي أولا في العلم الإلهي ، ثم له وجود مجمل حكمي في العرش ، ثم له ظهور تفصيلي في الكرسي ، ثم له ظهور على التمييز في القلم الأعلى ، لأن وجود الإنسان في تلك المجالي الأول جميعها قبل القلم الأعلى هو غيب ، ووجوده في القلم وجود عيني مميز . [راجع الإنسان الكامل ، 2 / 5]

للوح : اللوح المحفوظ . **لوح الأمر** : اللوح المحفوظ ؛ ينقش القلم الأعلى كل ما يقتضي وجوده في اللوح المحفوظ ، ففيه صور الوجود جميعها منقوشة ، بحيث لا تظهر صورة في العالم إلا إن كانت منقوشة ومنطبعة في اللوح المحفوظ.

للخلق واسع : يسع المخلوقات .

المعنى :

بعد أن تنزّل الجيلي ، وكل إنسان ، إلى التجسيم والتصوير في العرش ، ومن ثمّ إلى التنفيذ في الكرسي ، تنزل هذا الأمر الإلهي - أي الإنسان - إلى التعيين والتمييز في وجود مستقل في القلم الأعلى ، ثم انتقش هذا الوجود العيني المميز في صورة حواها اللوح المحفوظ .

(286) إلى الهبأ السّامي وقيل : مكرّما ..... نزلت الهيولى ، وهو للخلق جامع

المفردات :

الهبأ السامي : الهباء هو المادة المحدثة التي خلق الله فيها صور العالم ، أي هو الجسم القابل للتشكل . [را . المعجم الصوفي . للشارحة . مادة " هباء "] . وهو ما يسميه الفلاسفة بالهيولى . **وهي للخلق جامع** : الهباء يجمع المخلوقات.

المعنى :

بعد أن طبعت صورة الجيلي في اللوح المحفوظ ، تتنزّل إلى الهباء لتتشكل في الجسم .

(287) هناك تلقّتني العناصر حكمة ..... ومنها أحلّتني حلاها الطّبائع

المفردات :

هناك : في الهيولى . **تلقتني :** استقبلتني . **العناصر :** إشارة إلى العناصر الأربعة **المكوّنة للهيولي وهي :** الماء والهواء والنار والتراب.
حكمة : إن استقبال العناصر الأربعة للوجود الإنساني هو حكمة إلهية ، لأنه يتضمن الإشارة بأن الإنسان سيكون من عالم العناصر ويكون أيضا محكوما للعناصر .
أحلّتني حلاها : أعطتني صفاتها . **الطبائع :** إشارة إلى الطبائع الأربعة وهي الحرارة واليبوسة والرطوبة والبرودة .

المعنى :

استقبلت الجيلي ، كما كل إنسان ، حين وصوله الهيولى العناصر الأربعة وهي الماء والهواء والنار والتراب .
ونفهم من استقبال العناصر للإنسان في طور تخلّقه وتنزّله إلى الظهور في الأرض ، حكمة مفادها أن الإنسان سيكون في ظهوره من عالم العناصر . . .
ومن العناصر اتصف بصفات الطبائع الأربعة أي الحرارة واليبوسة والرطوبة والبرودة .

(288) وأنزلني المقدور في أوج أطلس .... هو الفلك العالي الذري وهو تاسع

المفردات :

المقدور : التقدير الإلهي . **أطلس :** الفلك الأطلس هو الفلك التاسع ، وهو الفلك الكبير سطحه هو الكرسي الأعلى ، وعرضه سدرة المنتهى . [را جع الإنسان الكامل ، 2 / 66] .

المعنى :

بعد أن تنزل وجود الجيلي الإنساني في عوالم ما قبل الأفلاك يصل في تنزله الآن إلى عالم الأفلاك ، **وابتداء من هذا البيت رقم 288 وإلى البيت رقم 297 ، سوف تبرز رؤية الجيلي لجغرافية الكون وخاصة جغرافية السماوات السبع .**
ونحن سنتابع تصورات الجيلي دون تدخّل نقدي لرؤيته الفلكية مكتفين بايراد الكواكب وأفلاكها وما يقابلها من طباق السماوات.
أول الأفلاك التي ينزل المقدور إليها خلق الجيلي هو الفلك التاسع أي فلك الأطلس .

(289) ومنّه هبوطي للمكوكب نازلا ..... على فلك ، كيوان ثمّة سابع

المفردات :

كيوان : فلك كيوان ، وهو سماء كوكب زحل ، وهي السماء السابعة .
ويصور الجيلي السماوات يحيط بعضها ببعض وأكبرها سماء زحل وأصغرها سماء القمر .
والفلك أمر معنوي لأنه اسم لسمت دوران الكوكب في أوجه . والكوكب اسم للجرم الشفاف المنير من كل سماء ، [راجع . الإنسان الكامل ، 2 / 61] .
وسماء زحل المكرّم جوهرها شفاف أسود كالليل المظلم ، تلوّنت بالسواد إشارة إلى سؤددها وعلوها على السماوات جميعا ، وهي أول سماء خلقها الله تعالى وخلق السماوات التي تحتها بعدها [راجع الإنسان الكامل ، 2 / 66] .

المعنى :

من فلك الأطلس يهبط وجود الجيلي الإنساني إلى الفلك الثامن ، وهو الفلك المكوكب ، ثم ينزل منه إلى فلك كيوان أو سماء زحل وهي السابعة. .

(290) فلمّا نزلت المشتري وهو سادس ..... سماء به للسّعد في الكون تابع

المفردات :

المشتري : فلك المشتري ، وهي السماء السادسة سماء كوكب المشتري .
وهي جوهر شفاف روحاني أزرق اللون ، خلق الله تعالى هذه السماء من نور الهمّة ، وجعل ميكائيل عليه السلام هو روحانية كوكب هذه السماء أي روحانية المشتري]راجع. الإنسان الكامل ، 2 / 64 - 66] .
سماء به للسعد في الكون تابع : جعل الله تعالى في هذه السماء السادسة ميكائيل موكلا بملائكتها ، وهم ملائكة الرحمة ، وهم أهل البسط والحظوة ، وهم بين الملائكة مجابو الدعوة لا يدعون لأحد بشيء إلا أجيب ، ولا يمرون بذي عاهة إلا ويبرأ ويطيب .
ويرى الجيلي أنه إليهم الإشارة في قوله صلّى الله عليه وسلم : " فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة أجيبت دعوته " .
وحيث أنهم مجابو الدعوة لذلك يتبع دعوتهم السعد في عالم الأكوان [راجع الإنسان الكامل ، 2 / 65].

المعنى :
ثم ينزل وجود الجيلي في مراتب التكوين والظهور إلى السماء السادسة ، وهي سماء كوكب المشتري .
وفي هذه السماء ملائكة الرحمة الذين دأبهم رفع الوضيع ، وتسهيل الصعب المنيع ، يجولون في الأرض لرفع أهلها من ظلمة الخفض [الإنسان الكامل ، 2 / 65] .

(291) أتيت سما بهرام من بعد هابطا ..... على فلك للشمس والشّمس رابع

المفردات :
بهرام : السماء الخامسة هي سماء الكوكب المسمى بهرام ، أو المريخ . وهي سماء مخلوقة من نور الوهم ولونها أحمر كالدم .
وملائكة هذه السماء خلقها الله تعالى مرائي للكمال ، ومظاهر للجلال .
وعبادة هؤلاء الملائكة تقريب البعيد وإيجاد الفقيد ؛ فمنهم من عبادته تأسيس قواعد الإيمان في القلب والجنان ، ومنهم من عبادته طرد الكفّار عن عالم الأسرار.
وحاكم هذه السماء هو الملك المسمّى عزرائيل ، وهو روحانية المريخ ، لا ينزل ملك إلى الأرض للانتقام ، ولا لقبض الأرواح ، ولا لنشر انتظام ، إلّا بأمر هذا الملك الذي هو روحانية بهرام [راجع الإنسان الكامل ، 2 / 64] .
فلك للشمس : السماء الرابعة هي سماء كوكب الشمس .
إنها جوهر أفخر ذو لون أزهر ، وهي قطب الأفلاك ، يحكم على ملائكة هذه السماء الملك إسرافيل ، وهو روحانية الشمس وهو أعظم الملائكة هيبة وأقواهم همّة [راجع الإنسان الكامل ، 2 / 63 - 64] .

المعنى :
يتابع وجود الجيلي تنزله في الأكوان قبل ظهوره في الأرض ، وهي رحلة كل إنسان في خلقه قبل الظهور ، يقول ثم تنزلت إلى السماء الخامسة سماء تأسيس قواعد الإيمان وانتظام الأمور . ثم تنزلت إلى السماء الرابعة قطب الأفلاك ونقطة الأسرار وقلب الوجود وبها عمارته ونضارته .

(292) وفي كرة الزهراء أعني سماءها .... حثثت مطيّ السير والدار شاسع

المفردات :
كرة الزهراء : السماء الثالثة هي سماء كوكب الزهرة ، لونها أصفر ، وجوهرها شفاف ، وأهلها المتلونون في سائر الأوصاف ، خلقت من حقيقة الخيال.
جعل الله كوكبها مظهرا لاسمه العليم ، وملائكتها مخلوقون على كل شكل من الأشكال ، فيها من العجائب والغرائب ما لا يخطر بالبال ، يسوغ فيها المحال .
وملائكة هذه السماء تحت حكم الملك صورائيل ، وهو روحانية الزهرة [راجع الإنسان الكامل ، 2 / 62 - 63] .

المعنى :

ثم ينزل وجود الجيلي في تخلقه إلى السماء الثالثة ، وهي سماء الخيال التي يسوغ فيها المحال ويمتنع فيها أحيانا الجائز الحلال.

(293) إلى كاتب الأفلاك ، وهو عطارد ..... نزلت ، وكانت لي هناك مراتع

المفردات :

إلى كاتب الأفلاك وهو عطارد نزلت : نزل الوجود الإنساني ، وهو هنا الجيلي ، إلى السماء الثانية وهي فلك الكاتب أي كوكب عطارد .

وهذه السماء هي جوهر شفاف لطيف ، لونها أشهب ، خلقها الله تعالى من الحقيقة الفكرية ، ومنها ينزل العلم إلى عالم الأكوان ، وفي هذه السماء يوجد الملائكة الذين يمدون أهل الصنائع جميعا .

وخلق الله فيها ملائكة ليس لهم عبادة إلا إرشاد الخلق إلى أنوار الحق ، يطيرون بأجنحة القدرة في سماء العبرة ، على رؤوسهم تيجان الأنوار مرصّعة بغوامض الأسرار ، من ركب على ظهر ملك من هذه الأملاك ، طار بجناحه إلى السبعة الأفلاك ، وأنزل الصور الروحانيّة في القوالب الجسمانية متى شاء وكيف شاء ؛ فإن خاطبها كلّمته ، وإن سألها أعلمته . [راجع الإنسان الكامل ، 2 / 62] .

وكانت لي هناك مراتع : كانت للجيلي مراتع في السماء الثانية ، وفي ذلك إشارة إلى أن صلته بعالم الكتابة والتأليف والفهم كانت قبل ظهوره في هذا العالم .

المعنى :

تنزل وجود الجيلي في تكوينه الإنساني إلى السماء الثانية ، وهي سماء عطارد . وملائكة هذه السماء الذين يمدون أهل الصنائع جميعا ، بصناعتهم.

(294) وبالقمر الباهي نزلت وشرّعت ..... على الفلك النّاري الأثير شرائع

المفردات :

وبالقمر الباهي نزلت : إشارة إلى وصول الوجود الإنساني في تنزّله إلى فلك القمر ، آخر الأفلاك .

وهو السماء الأولى أو السماء الدنيا ، وكوكبه القمر .

والسماء الدنيا أشدّ بياضا من الفضّة ، خلقها الله تعالى من حقيقة الروح ، لتكون نسبتها للأرض نسبة الروح للجسد .

وكذلك جعل تعالى فلك القمر فيها ، لأنه تعالى جعل القمر مظهر اسمه الحيّ . . . ثم جعل تعالى فلك الكوكب القمري هو المتولي تدبير الأرض ، كما أن الروح هي التي تتولى تدبير الجسد ، ثم أسكن تعالى آدم في هذه السماء ، لأن آدم روح العالم الدنيوي [الإنسان الكامل ، 2 / 59] .

وشرّعت على الفلك الناري الأثير : إشارة إلى نزول الوجود الإنساني بعد السماوات السبع إلى فلك الأثير وهو فلك النار .

وقد ضمن الجيلي هنا لفظ الأثير تورية لطيفة ، فمن ناحية أن فلك النار هو فلك الأثير ، ومن ناحية ثانية أن فلك النار هو الأول في أفلاك العناصر ، وهو المفضّل الأثير على بقية العناصر ، لقول إبليس وهو من نار يفاخر الطين : أنا خير منه .

المعنى :

وصل وجود الجيلي في تكوّنه الإنساني إلى فلك القمر وهو السماء الدنيا ، وبعده سيتنزل في فلك العناصر واحدا بعد الآخر .

وأول هذه الأفلاك هو فلك النار . وقد ربط الجيلي بين عنصر النار في الإنسان وبين تشريع الشرائع .

وهذا الربط مثير للاهتمام ولعل **مصدره أن الشريعة أمر إلهيّ يحرق بالذل والطاعة النفس البشرية التى هى فى جوهرها فرعنة ورياسة** .

والدليل أن إبليس المخلوق من نار ، هو رمز العصيان الشرائعي .

(295) ومنه هوى للأمر في فلك الهوا ..... ركائب عزم ما لهنّ موانع

المفردات :

ومنه هوى : ومنه هبط . **للأمر :** تنفيذا للأمر الإلهي . **في فلك الهوا :** إشارة إلى وصول الوجود الإنساني إلى فلك الهواء الذي يلي فلك النار .

المعنى :

وتنفيذا للأمر الإلهي هبط وجود الجيلي في تكوّنه الإنساني من فلك النار إلى فلك الهواء .

ومن نزول الإنسان إلى فلك الهواء تكتسب إنسانيته صفة العزم ؛ وقد ربط الجيلي بين الهواء والعزم ، ربما لأن العزم يشبه المركوب الذي يحمل السالك ويجري به إلى مطلوبه.

(296) وبالكرة المائيّة العين إذ سرت ..... أضافت ركاب العزم فيها البلاقع

المفردات :

وبالكرة المائية : إشارة إلى تنزل الوجود الإنساني إلى فلك الماء .

البلاقع : إشارة إلى تنزل الوجود الإنساني إلى فلك التراب ، لأن البلاقع ؛ ج . بلقع وهي الأرض القفراء. "الجدباء . أرض قفر".

المعنى :

ويتابع وجود الجيلي تكونه الإنساني وتنزله باتجاه الظهور في الأرض ، فبعد أن اكتسب من فلك النار صفته ، ومن فلك الهواء صفته ، نراه هنا يتنزل على فلك الماء فيكتسب صفة السريان ، ويتنزل على فلك التراب فيكتسب صفة الصلابة والعزم .

(297) وهذا نزول الجسم من عند ربّه ..... وللرّوح تنزيل مجازا متابع

المفردات :

وللروح تنزيل مجازا متابع : أي تنزيل الروح يتبع مجازا مقولة تنزيل الجسم ، وفي حقيقة الأمر أن الروح لم تفارق موطنها وليس ثمة تنزيل في حقها . (راجع الإنسان الكامل ، 2 / 19) .

المعنى :

يقول الجيلي ، وهذه قصة نزول الجسم الإنساني منذ كان لمعة من النور الإلهي ووصولا إلى عالم العناصر ، وقد مرّ بعوالم هي على التوالي العرش المحيط والكرسي والقلم الأعلى واللوح المحفوظ ، والهباء والهيولى والعناصر والطبائع ، والأطلس والمكوكب وكيوان والمشتري وبهرام والشمس والزهرة وعطارد والقمر ، والنار والهواء والماء والتراب . . .

الآن "وبعد 21عالما " وصل الجسم الإنساني إلى عالم العناصر حاملا في تكوينه صفة كل عالم مرّ به ، وأصبح جاهزا لإستقبال الروح .

وهنا سيبدأ الجيلي بشرح رؤيته لعلاقة الروح بالبدن .

فيرى أنه إن كان للجسم نزول ، فإننا لا نطلق لفظ نزول على الروح إلا على سبيل المجاز ، وذلك لأن الروح في الأصل بدخولها في الجسد ، وحلولها فيه ، لا تفارق مكانها ومحلّها ، ولكن تكون في محلّها وهي ناظرة إلى الجسد.

وعادة الأرواح أنها تحلّ في موضع نظرها ، فأيّ محل وقع فيه نظرها تحلّه من غير مفارقة لمركزها الأصلي.

وهذا أمر يعترف الجيلي بأن العقل يجعله محالا ولا يعرف إلا بالكشف [را . الإنسان الكامل ، 2 / 19] .

(298) وذلك أنّ الرّوح في المركز الّذي ..... لها هو روح الحقّ فافهم أسامع

المفردات :

هو روح الحق : إن الروح الإنسانية هي روح الحق بحسب موطنها الأصلي ، لقوله تعالى :وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي[الحجر : 29] .

فافهم أسامع : فافهم أيّها السامع .

المعنى :

يتابع الجيلي كلامه على رؤيته للروح ، ويحاول التدليل عليه بالنص ، فيقول ؛ إذا نظرنا إلى الروح بحسب المركز الذي لها والذي لم تفارقه لتدخل البدن وتنزل معه إلى الأرض ، فإننا نقول إنه روح الحق ، لأنه تعالى يقول :وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي[الحجر : 29] أي من روح الحق .

فافهم هذا الكلام أيها السامع .

(299) فليس لها فيه هبوط منزّل ..... وليس لها فيه صعود مرافع

المفردات :

فليس لها فيه : ليس للروح في الجسم .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل رؤيته للروح ، فيقول ؛ إذا تقرر لدينا أن الروح لم تفارق موطنها الأصلي ، بل عندما نظرت إلى البدن حلّت فيه من غير مفارقة لموطنها ...
إذا تقرر لدينا هذا ، فلن نقول إنّ للروح في الجسم هبوط ونزول ، وليس لها منه أيضا بالموت صعود ومفارقة .

(300) ولكنّ في تعيينها بمخصّص ..... تنزّل عن حكم بأن هو شائع

المفردات :

تعيينها بمخصص : تعيين الروح وتخصيصها ببدن محدود . **تنزل :** أي تتنزل الروح من حكم إلى حكم ؛ وهنا تتنزل من حكم العموم والشيوع إلى حكم الخصوص والتخصيص ، أي تصبح روحا خاصة لجسم محدود .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل رؤيته للروح ، فيقول ؛ عندما تنظر الروح إلى بدن مخصوص ، تتنزّل من حكم الشيوع إلى حكم التخصيص ، وتصبح روحا مخصصة لبدن معين .
وفي ذلك ردّ على وحدة الوجود الهندية التي تنكر استقلال البدن بروح تخصه وحده .

(301) وذلك للأرواح خلق حقيقة ..... وذلك تنزيل لها وقواطع

المفردات :

وذلك للأرواح : أي وهذا التعيين للروح ببدن مخصوص . **خلق حقيقة :** هو معنى خلق الأرواح في الحقيقة .
وقواطع : موانع تحرمها حكم الشيوع .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل علاقة الروح بالبدن ومعنى خلق الروح فيقول ؛ عندما تنظر الروح من موطنها إلى بدنها المخصوص ، يسمى هذا النّظر في الحقيقة خلقا وتنزيلا .
وهذا النظر يقطعها كذلك ويمنعها عن شيوعها السابق.

(302) ففي المثل المفروض منه ترتّبت ..... مراتبه حتّى بدا متناوع

المفردات :

المثل المفروض منه : المثل المقطوع من روح الحق ، الفرض هو القطع . متناوع : متنوع .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل هويّة الروح فيقول ؛ إن الروح الجزئية الإنسانية هي مثال لروح الحق ، ومقطوعة منه ، إلا أنه فيه تتنوّع مراتب الروح الحق .

(303) فيبرز في حكم المراءة للورى ..... على الجرم والمقدار إذ ذاك طالع

المفردات :

فيبرز : فيظهر روح الحق . في حكم المرآة : ضمن شروط المرآة وأحكامها .
على الجرم والمقدار : أي أن ظهور الروح الكل للورى هو على مقدار المرآة .
إذ ذاك طالع : أي واضح وظاهر .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل رؤيته للروح ويشير هنا إلى علاقة الحق بالخلق ، فيقول ؛ عندما تنظر الروح إلى البدن الذي يخصها ، تفترق من ناحية عن روح الحق على الرغم من أنها مثال له ومقطوعة منه .
ومن ناحية أخرى تبرز روح الحق ، وتظهر للورى ؛ ولكن في حكم المرايا التي تتجلّى بها ، وعلى مقدارها وجرمها.

(304) فتنويعها ذاك التّجلّي هو الّذي ..... نسمّيه روحا ، وهو بالنّفخ واقع

المفردات :

فتنويعها : تنويع روح الحق . **وهو بالنفخ واقع :** التنويع حصل بالنفخ ووقع به ، وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى :وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي[الحجر : 29] .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل رؤيته لخلق الروح فيقول هنا ؛ عندما نفخ الحق من روحه في الإنسان ، تجلّى تعالى في أسمائه الحسنى ، وتنوع في معانيها ؛ وهذا التنويع هو الروح بالنسبة لنا .

(305) وإلّا فلا اسم له غير ربّنا ..... وليس له إلّا الصّفات مواضع

المفردات :

وإلا : وإن لم يحدث النفخ والتنويع والتجلي . **فلا اسم له :** فلا اسم لروح الحق ، أي ينتفي تجلي الحق في الأسماء الإلهية . **غير ربنا :** غير اسم الرب .
مواضع : مواضع للظهور .

المعنى :

يتابع الجيلي رؤيته لخلق الروح فيقول ؛ إن لم يحدث النفخ والتنويع والتجلي ينتفي تجلي الحق في أسمائه الإلهية ، ولا يبقى من الأسماء الإلهية التي تدل على المسمى إلا اسم الرب ، ولا يبقى إلا الصفة موضعا لظهوره تعالى .

وذلك لأنه في المخلوق تتجلّى معاني أسماء الخالق ، ونستدل بآثار أسمائه فينا إليه تعالى ، فنصل مثلا من الكرم الظاهر في المخلوقات إلى الكريم الخالق . وهكذا ...

(306) تنزّه ربّي عن حلول بقدسه ..... وحاشاه ، ما بالإتّحاد مواقع

المفردات :

عن حلول بقدسه : الحلول هو القول بأن الله عزّ وجلّ يحل في جسم عبد .
ما بالاتحاد : الاتحاد هو القول بأن الإنسان يتحد بالله [راجع شروحات البيت رقم 203] .

المعنى :

ينزّه الجيلي هنا الحقّ عزّ وجلّ عن الحلول في المخلوقات ، كما ينفي إمكانية أن يتّحد مخلوق بالله الخالق . فحلول الحقّ في العبد المخلوق ، أو اتحاد
العبد المخلوق بالحقّ كلاهما مرفوضان عند الجيلي ، وهو يؤكد على ذلك كي لا يفهم من كلامه السابق عن روح الحق وروح الإنسان أي اتحاد أو حلول .

(307) ومهما تحلّ الرّوج جسما فإنّها ..... لتصوير ذاك الجسم في الصّور تابع

المفردات :

تحل : تنزل . فإنها لتصوير ذاك الجسم في الصور **تابع :** الروح تتبع الجسم في صورته .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل رؤيته لخلق الروح ، وأنه يعني نظرها إلى بدنها المخصوص ، فيقول ؛ عندما تنظر الروح إلى الجسم نظر الاتحاد ، تحلّ فيه حلول الشيء في هويته ؛ وتكتسب التصوير الجسمانيّ بهذا الحلول من أول وهلة [راجع الإنسان الكامل ، 2 / 19] .

(308) ويتبعها في نصبها وارتفاعها ..... وتتبعه إن جرّ يوما طبائع

المفردات :

ويتبعها : ويتبع الجسم الروح . **في نصبها وارتفاعها :** في ارتفاعها إلى ربها ، إلى مقامها العالي ، قال تعالى :فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ[الشرح : 7] .
وصعود الروح هو تمكّنها من العالم الملكوتي وهي على حال تصوّرها بهذه الصورة الإنسانية [الإنسان الكامل ، 2 / 19] . **وتتبعه :** تتبع الروح الجسم . **إن جر يوما طبائع :** إن جرّت الطباع الجسم إلى أسفل .

المعنى :

يفصّل الجيلي مدى اتحاد الروح بالبدن فيقول ؛ إن الروح عندما تنظر إلى البدن تتصوّر بصورته فتكتسب بالتالي الثقل والحصر ، وتفارق ما كان لها من الخفّة والسريان .
ولكن هذه المفارقة ليست مفارقة انفصال وإنما هي مفارقة اتصال ، بمعنى أن الروح تظل متصفة بجميع صفاتها الأصلية ولكنها غير متمكّنة من إتيانها .
فإن كان صاحب الجسم يستعمل الأخلاق الملكية فإن روحه تتقوّى ، وترفع حكم الثقل عن نفسها ، ولا تزال تترقى إلى أن يصير الجسم نفسه كالروح الذي فيه ، فيمشى الإنسان على الماء ويطير في الهواء .
أما إن كان صاحب الجسم يستعمل الأخلاق البشرية والمقتضيات الأرضية فإن بدنه يتقوّى على روحه ، ويفرض حكم الرسوب والثقل الأرضي ،
والروح تتبع الجسم في ثقله وحصره . باختصار إما أن يتبع البدن الروح في أحكامها بممارسة صفات الروح ، وأما أن تتبع الروح البدن بأحكامه إن مارس الإنسان صفة البدن [راجع الإنسان الكامل ، 2 / 19] .

(309) فإن قويت بالتّزكيات رقت به ..... إلى المركز العالي الّذي هو رافع

المفردات :

فإن قويت : أي الروح . **بالتزكيات** : جمع تزكية وهو تزكية النفس بأنواع الرياضات والمجاهدات . **رقت به :** ارتفعت الروح بالجسم . **الذي هو رافع** :الذي يرفع صاحبه .

المعنى :

في هذا البيت تأكيد على معنى البيت السابق ؛ فالروح إن قويت بمجاهدة النفس ورياضتها ارتفعت بالجسم إلى المراتب العليا التي تشرّف صاحبها وترفعه .

(310) وإن ضعفت واستقوت النّفس والهوى ..... تكن تبعا للجسم إذ قام مانع

المفردات :

وإن ضعفت : أي الروح . **تكن :** أي الروح . **تبعا للجسم :** تابعة . **إذ قام مانع :** أي مانع من الترقي والارتفاع .

المعنى :

يتابع الجيلي رؤيته للعلاقة بين الروح والبدن ؛ ومرجعه هو تجربته الشخصية ، يقول ؛ إن ضعفت الروح واستقوت النفس والأهواء على الإنسان ، فماذا يحدث ؟ تثقل الروح وتخسر خفّتها وسريانها ، وتتبع الجسم في ثقله ، لأنه قام مانعا من العلو والارتفاع .

(311) فتشقى به في سجن طبع وإن رقت ..... به كان مسعودا وفي العزّ راتع

المفردات :

فتشقى به : فتشقى الروح بالجسم . **في سجن طبع :** شقاء الروح هو في دخولها سجن الطباع . **وإن رقت به :** وإن رقت الروح بالجسم . **كان مسعودا :** كان الجسم سعيدا .
راتع : متنعم.

المعنى :
يبين الجيلي للسامع طريق السعادة ، سعادة الروح والبدن ، السعادة الحقة غير الممزوجة بغصة خوف الآتي . سعادة الروح التي ترخي مدّها على البدن والحياة بأكملها يقول ؛ إن ضعفت الروح تبعت البدن في ثقله ، وأصبحت شقيّة في دخولها سجن الطباع .
أما إن رقت الروح بالجسم ، كان الجسم سعيدا متنعما في العز . فعلى حين أن الروح تشقى باتّباعها للبدن ، فإن البدن يسعد باتّباعه الروح .

(312) وإنّ نزول الجسم للخلق في الثّرى ..... سواء ولكن بعد ذاك تناوع
المفردات :
وإن نزول الجسم للخلق في الثرى سواء : إن الأجسام تتساوى في خلقها من تراب .
ولكن بعد ذاك : بعد نفخ الروح . **تناوع :** تتناوع ، تختلف مراتبها .

المعنى :
يتابع الجيلي تفصيل رؤيته للروح وأنها سبب التفاضل بين البشر ، يقول ؛ تتساوى كل المخلوقات في نزولها للخلق من تراب ؛ وفي كونها تترب بعد الموت .
فالجسم واحد عند بني البشر جميعا ، ولكن سبب التناوع والتفاضل هو الأرواح المنفوخة في هذه الأبدان . . . فلا يفضل إنسان إنسانا ببدنه ، ولكن يفضله بما يعمل من مجاهدات لتقوية روحه المنفوخة في بدنه ، وتنقيتها وتطهيرها وخلاصها في ثقل هذا البدن .

(313) فمن سبقت لله فيه عناية ..... فغير مكوث في التّراب ، مسارع
المفردات :
فمن : فمن من الأجسام . **سبقت لله فيه عناية :** أي كان في العلم الإلهي من أهل العناية الإلهية . **فغير مكوث في التراب :** لا يمكث ولا يبقى في عالم التراب .
مسارع : يسارع إلى الخروج .
المعنى :
يتابع الجيلي هنا رواية تنزّل الوجود الإنساني في العوالم ، فبعد إن قص علينا تنزّله من العرش إلى كرة التراب في الأبيات من رقم (284) إلى رقم (296)؛
يتابع هنا بأن الوجود الإنساني لا يمكث في كرة التراب إن سبقت له من الله عناية ؛ بل يسارع إلى الظهور بكامل انسانيته .

فالسعيد من أهل العناية ، هو الذي عندما يصل في تنزّله إلى كرة التراب لا يمكث فيها بل يخرج مكتمل النفس ، يحمل في تكوينه صفة العوالم كلّها التي مرّ بها ، من العرش إلى كرة التراب.

(314) ومن أبعدته السّابقات فإنّه ..... له بين نبت والتّراب تراجع

المفردات :

ومن : ومن من الأجسام . **أبعدته :** جعلته من أهل البعد والحرمان .
السابقات : ما سبق له في العلم الإلهي . **بين نبت وتراب :** بين عالميّ النبات والتراب .
تراجع : دوران وانعكاس .

المعنى :

ويكمل الجيلي عن أهل البعد والحرمان بعد أن أشار في البيت السابق إلى أهل العناية والسعادة ، يقول ؛ ومن كان من أهل البعد والحرمان فإنه لا يخرج من كرة التراب سريعا ، بل يظل وجوده يدور ويتراجع بين عالميّ التراب والنبات .

(315) فقد يك عشبا ثم ترعاه دابة ..... ويترب إذ يفنى فيخضرّ ضارع

المفردات :

يترب : يرجع ترابا . **ضارع :** اليابس من الشجر والنبات .

المعنى :

يكمل الجيلي عن أهل البعد ، يقول ؛ من كان من أهل البعد والحرمان ، يظل يتردّد بين العشب والتراب ، يكون عشبا ثم يترب عند فنائه .
وهكذا ...

(316) على قدر تكرار التردّد بعده ..... لتنسى عهود بالحمى ووقائع

المفردات :

تكرار التردد : التردد بين النبت والتراب بعد خلق الأجسام . **عهود** : جمع عهد ، بمعنى أيام أو مواثيق . **ووقائع** : جمع واقعة بمعنى حادثة .

المعنى :

يرى الجيلي هنا أن أهل البعد والحرمان يتكرر تردّدهم بين التراب والنبت ، وينتج عن هذا التكرار ، وهذا المكوث في كرة التراب ، أن ينسى الكائن البشري عهوده ومواثيقه التي أعطاها ، وينسى ما يحمل تكوينه من خبرات عاشها في العوالم والأفلاك السابقة . . . وخاصة ينسى الميثاق الإلهي ، وهو عندما أخذ الحق تعالى العهد والميثاق على بني آدم جميعا بأنه ربّهم ، وأقروا جميعهم بربوبيته تعالى ، قال عزّ وجلّ :وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى[الأعراف : 172].

هذا ولا يجب أن نفهم من كلام الجيلي هنا أنه يقول بالتطور أو بالنشوء والارتقاء الدارويني ، البداية من التراب ثم النبات ثم الإنسان ، لأن كلامه من ناحية لا يمتّ إلى الجنس أو إلى النوع عامة ، بمعنى أنه لا يتكلم على جنس الإنسان وتطور خلق هذا الجنس بل يفصّل تنزّل الفرد من بداية وجوده أمرا إلهيا إلى تخلقه في العوالم ، ومن ثمّ إلى ظهوره من أب وأم .
ومن ناحية ثانية فالجيلي كما يفهم من كلامه لا يطلق على الإنسان اسم الإنسان إلا بعد ظهوره من أب وأم ، وهي اللحظة التي تنفخ فيها الروح ، وكل أطوار تخلقه التي تقدم الكلام عليها من تنزّل في العوالم ، هو ترتيب خلق ، وتنزّل أمر من الغيب إلى الشهادة .

(317) وعند مرور النّفس في كلّ منزل ..... سينقش فيها منه طبعا طبائع

المفردات :

في كل منزل : من المنازل السابقة أي العرش والكرسي وصولا إلى كرة التراب .
سَيُنَقَّش فيها منه : سينقش في النفس من المنزل الذي تنزله . **طبعا :** طباعة ، أي ستطبع . طبائع : جمع طبع وطبيعة .

المعنى :

يتابع الجيلي شرح طبيعة النفس الإنسانية وكيف أنها تكونت من جماع طباع العوالم التي مرت بها بالإضافة إلى أصل خلقها قبل التنزل ، يقول ؛ إن النفس الإنسانية في حال تكوينها وتنزّلها في العوالم ، تكتسب من كل منزل تمرّ به صفات هذا المنزل ، وتنتقش على صفحتها طبيعته .
فعندما تمر مثلا في كرة النار تنتقش فيها طبيعة النار ، وعندما تمر في كرة الماء تنتقش فيها طبيعة الماء .
وهكذا في كل منزل من المنازل ، ابتداء من العرش إلى كرة التراب .

(318) فتظهر نفس المرء كاملة البها ..... ومن نسخة الأكوان فيها خلائع

المفردات :

كاملة البها : كاملة الحسن ، وكمال النفس هنا معناه تحصيلها لكل صفات وحقائق الكون المتفرقة .
فالكمال الصوفي في مدرسة ابن عربي ليس كمالا أخلاقيا ، وإنما هو كمال وجودي يتجلّى في أن الإنسان يجمع في كونه كل متفرقات صفات الأكوان .
نسخة الأكوان : الإنسان هو نسخة الأكوان لأنه يجمع كل حقائق الأكوان .
خلائع : حلل وأثواب . وذلك لأن كلّ كون أو عالم يخلع خلعته على النفس الإنسانية عند مرورها فيه .

المعنى :

يتابع الجيلي تعريف السامع بالنفس الإنسانية وبكمال أوصافها ، يقول ؛ عند مرور الإنسانية بالأكوان السابقة كلها ، يخلع عليها في كل كون من خلائع هذا الكون .
ولذلك عندما يصل الإنسان إلى عالم الشهادة يظهر جامعا لصفات الأكوان المتفرقة كلها ، وبالتالي يكون كامل البهاء والصورة .

(319) لتذكر بالمشهود غابر أمرها ..... فيرجع للأوطان من هو راجع

المفردات :

بالمشهود : بما تشهد من نفسها . **غابر أمرها :** ماضيها . **للأوطان :** جمع وطن ، والوطن هنا المراد به أصل الوجود الإنساني الذي هو لمعة من النور الإلهي [راجع شروحات البيت رقم 283] . **من هو راجع :** أي من هو ذو قلب يرجع إلى الحق .

المعنى :

يقول الجيلي هنا أنه عندما ينظر الإنسان إلى نفسه ، وتظهر له صورتها الكاملة الوجود والبهاء ، يتذكر بما يشهده فيها من صفات أصله وماضيه والعوالم التي تنزّل فيها .
ومن هذا التذكر يرجع إلى الله عزّ وجلّ ، لأنه يعلم منه أن الله عزّ وجلّ هو موطنه الحقيقي .
ألسنا جميعا لله وإليه راجعون ؟! وهكذا يرى الجيلي أن الكمال الذي يشهده الإنسان في نفسه سيذكره بالله عزّ وجلّ ، إن كان صاحب قلب مؤمن يرجع إلى الله

تاسعا الأبيات من (320) إلى (356) الجيلي يروي سيرته الروحية
الجزء الثاني

(320) جرى أشهب الألفاظ بي في بيانها ..... بمضماره حتّى علون منافع
(321) سألوي عنآن القول نحو مكانه ..... لتطلق فيه عن قيود شرآئع البلاقع .
(322) فلمّا نزلت الأرض ماء حياتها ..... وأثمرني أصل هنالك يانع
(323) وكان إذا أنمت بحبّ غصونها..... أرزّا ، فصدّق أنّني لمطالع
(324) وساق القضا تلك الحبوب فغذّيا ..... بها ، أبواي الأطهران جوامع
(325) وحلّ مزاج الحبّ في الجسم مادة ..... وتمّت لكيموس دم ونجائع
(326) فلمّا دنا آن البروز تجامعا ..... بعقد حلال ، نعم ذاك التّجامع
(327) ولمّا تلاقى منه ماء بمائها ..... وابدع بالتّركيب نشوي بادع
(328) وكان اقتضاء النّشو أنّي روحه ..... وتعبير نفخ الرّوح عن ذآك واقع
(329) فصوّر شخصي باليدين مصوّري ..... لتطبع بالضّدّين فيّ طبائع
(330) وأخرجني من بعد تكميل هيكلي ..... إلى العالم الأرضيّ من هو صانع
(331) ففي أوّل الشّهر المحرّم حرمة ..... ظهوري بالسّعد العطارد طالع
(332) لستّين مع سبع إلى سبعماية ..... من الهجرة الغرّا سقتني المراضع
(333) ومذ كنت طفلا فالمعالي تطلّبي ..... وتأنف نفسي كلّ ما هو واضع
(334) ولي همّة كانت وها هي لم تزل ..... على أن لي فوق الطّباق مواضع
(335) وقد كنت جمّاحا إلى كلّ هيئة ..... فخضت بحارا دونهنّ فجائع
(336) وكلّ الأماني نلتها وهي إن علت ..... بها بعد نيل القصد ما أنا قانع
(337) إلى أن اتتني من قديم عناية ..... أياد لها ، مذ كنت ، عندي صنائع
(338) وهبّ نسيم الجود من ذلك الحمى ..... وصبّ سحاب بالتّعطّف هامع
(339) وأحيا الحيا أرض الفؤاد فاعشبت ..... وغنّت على عود الوصال سواجع
(340) فهمت من المعنى معاني أحبتّي ..... فهمت معنّى بالصّبابة والع
(341) أتيت إليها راغبا في مرادها ..... وما لي في شيء سواها مطامع
(342) وفرّغت مشغول الفؤاد عن السّوى ..... فما أنا في غير المحبّ مطالع
(343) فلمّا أضاءت في الحشا جذوة الهوى ..... وأومض من سفح المحبّة لامع
(344) سقاني الهوى كأس الغرام ولم يكن ..... على ساحة الوجدان للكرم مانع
(345) فقاطعت ندماني ، وواصلت لوعتي ..... وهاجرت أوطاني ، فبانت مرابع
(346) تركت لها الأسباب شغلا بحبّها ..... ووجدا بنار قد حوتها الأضالع
(347) وأشغلني شغلي بها عن شواغلي ..... وفيها ، فإنّي للعذار مخالع
(348) خلعت عذاري في الهوى وزهدت في ..... مكاني وإمكاني وما أنا جامع
(349) وألقيت إنساني فألفيت منيتي ..... وجافيت نومي ، بل جفتني المضاجع
(350) وسلّمت نفسي للصّبابة راضيا ..... بحكم الهوى تحت المذلّة خاضع

(351) وفوّضت في أمري هواها توكّلا ..... ليقطع في حكمي بما هو قاطع
(352) وأنزلني من أوج عزّي ذلّة ..... فلي بعد ذاك الاقتدار تواضع
(353) غنيت ، فأغناني غناي بحبّها..... وعندي افتقار نحوها وضرائع
(354) طرحت على أرض الهوان رياستي ..... لها نعمة ، طرحا لقدري رافع
(355) لبست لباس الوجد فيها خلاعة ، ..... لباس الهوى في الحبّ ما أنا خالع
(356) ومذ أودعتني تربة الذّل والشّقا..... فروحي وروحي راحل وموادع

شرح الأبيات :-

(320) جرى أشهب الألفاظ بي في بيانها ..... بمضاره حتّى علون مناقع

المفردات :

أشهب : أبيض . **جرى أشهب الألفاظ :** استخدم الجيلي هنا صورة الفرس وشبّه اللغة بالمطية التي تنطلق نحو البيان ، وهذا التشبيه مألوف عند الكتاب والشعراء .
في بيانها : في بيان معاني هذه الحقائق . **بمضاره :** المضمار هو الموضع الذي تضمر فيه الخيل . وهنا بمضماره تعني بمضمار الحق ، وليس إلا أصوله الشرعية .
حتّى علون منافع : حتى ارتفعت فظهرت للناس منافعها.

المعنى :

يستخدم الجيلي هنا صورة الفرس ، فنراه يركب فرس الألفاظ وينطلق به نحو بيان معاني الحقائق والأصول الشرعية ؛ وفي انطلاقه ترتفع الألفاظ فتظهر بالتالي منافعها للناس .

(321) سألوي عنآن القول نحو مكانه ..... لتطلق فيه عن قيود شرآئع

المفردات :

سألوي عنان القول : تعبير بمعنى سأطوّع الألفاظ . **نحو مكانه :** نحو مكان القول ، بمعنى اتجه بالألفاظ نحو معانيها المقصودة . **لتطلق فيه عن قيود وشرائع :** حتى تتحرر الشرائع من قيودها اللفظية .

المعنى :

يقول الجيلي هنا واعدا السامع بالبيان ؛ سألوي عنان القول ، وأطوّع اللفظ الجامع حتى يتجه نحو معناه المقصود .
ومتى اتحد اللفظ بمعناه تحرّر المعنى من قيد اللفظ ، كذلك الشريعة الإلهية عندما يتحدّ جوهرها بمظهرها أي حقيقتها بشريعتها ومعناها بلفظها ، تتحرر من قيود الظاهر اللفظي وتنطلق في عوالم الجوهر .

(322) فلمّا نزلت الأرض ماء حياتها ..... وأثمرني أصل هنالك يانع

المفردات :

فلما نزلت الأرض : فلما نزل الجيلي للظهور والخلق في الأرض .

أثمرني : أظهرني غصن يانع ثمرة له .

المعنى :

يخبرنا الجيلي هنا عن بدايات خلقه ، يقول ؛ فلما تنزلت للظهور والخلق في الأرض ، كنت للأرض ماء حياتها .

وذلك لأن الإنسان هو حياة الأرض وروحها ، بدليل أن الأرض تبقى مدة بقائه فيها ، وبموته تطوى صحيفتها وتنشر صحائف الآخرة ، تبدأ أيام الحشر والنشر والحساب والجنة والنار.

(323) وكان إذا أنمت بحبّ غصونها ..... أرزا ، فصدّق أنّني لمطالع

المفردات :

أرزا : هذا الحبّ هو الرز . **أنني لمطالع :** إنني - أي الجيلي - طالع من الحبّ ، أي مفارق لعالم النبات.

المعنى :

يصرح الجيلي هنا عن نفسه بأنّه من أهل العناية الإلهية الذي أشار إليهم في البيت رقم (313) ، وها هو لا يتردد بين نبت وتراب متراجعا بينهما ، بل يسارع للخروج من كرة التراب إلى عالم الشهادة والوجود الإنساني.

(324) وساق القضا تلك الحبوب فغذّيا ..... بها ، أبواي الأطهران جوامع

المفردات :

القضا : القضاء الإلهي . **تلك الحبوب :** أي الرز . **الأطهران جوامع :** الطاهران كلاهما .

المعنى :

ساق القضاء الإلهي حبوب الأرزّ التي سبق ذكرها ، ليتغذّى بها أبوا الجيلي الطاهران كلاهما ... لأنه سبق العلم الإلهي بأن يخلق بدنه من هذين الأبوين الطاهرين .

(325) وحلّ مزاج الحبّ في الجسم مادة ..... وتمّت لكيموس دم ونجائع

المفردات :

مادة : أي أصبح الحبّ مادة . **لكيموس :** الكيموس هو الطعام إذا انهضم في المعدة ، قبل أن ينصرف عنها ويصير دما .

المعنى :
وتحلل هذا الحبّ أي الرز الذي تناوله أبوا الجيلي في جسم الأبوين ، وتحوّل إلى مادة ، ثم إلى كيموس ، ثم إلى دم ونجائع.

(326) فلمّا دنا آن البروز تجامعا ..... بعقد حلال ، نعم ذاك التّجامع

المفردات :
دنا آن البروز : اقترب موعد بروز الجيلي وظهوره في العالم .
تجامعا : تجامع أبوا الجيلي ، تزوجا . **بعقد حلال :** بزواج شرعي .
نعم ذاك التجامع : يثني هنا الجيلي على لقاء وزواج أمه بأبيه .

المعنى :
فلما حان بروز الجيلي وظهوره في عالم الشهادة ، تزوج أبواه بعقد زواج شرعي ، ونعم هذا التجامع!

(327) ولمّا تلاقى منه ماء بمائها ..... وابدع بالتّركيب نشوي بادع

المفردات :
منه : من أبي ، أي من والد الجيلي . **بمائها :** بماء أمي ، أي أم الجيلي .
نشوي : نشأتي وتسويتي ، وفي ذلك إشارة إلى ترتيب النشأة البشرية في رحم الأم .....تكون مضغة ثم علقة الخ .... وذلك قبل نفخ الروح فيها.
بادع : الله هو المبدع الخالق للإنسان في رحم أمه .

المعنى :
لما تلاقى ماء أبيه بماء أمه ، بدأت نشأة الجيلي . ثم أخذت هذه النشأة تتقلّب في أطوار التكوين الجنيني .
ويذكّر الجيلي هنا ، بأن هذا التقلّب للنشأة الإنسانية لا يكون لها من ذاتها بل إن الله عزّ وجلّ هو الذي يبدعها في رحم الأم .

(328) وكان اقتضاء النّشو أنّي روحه ..... وتعبير نفخ الرّوح عن ذآك واقع

المفردات :
وكان اقتضاء النشو أني روحه : اقتضت هذه النشأة البدنية أن أكون أنا - أي الجيلي - روحها .
وتعبير النفخ عن ذاك : عبّر القرآن الكريم عن ذاك الاقتضاء ، بمعنى نفخ الروح .
قال تعالى :فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي[الحجر: 29].
واقع : أي واقع في القرآن الكريم .
المعنى :

يرى الجيلي أن كل نشأة بدنية تقتضي تخصيصها بروح مستقلة . وقد اقتضت نشأته البدنية أن يكون هو بالذات روحها . وقد عبّر القرآن الكريم عن هذا التلازم بين النشأة والروح ، بأنه حين تتم تسوية النشأة تنفخ فيها الروح . يقول تعالى :فَإِذا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي]الحجر : 29] .

(329) فصوّر شخصي باليدين مصوّري ..... لتطبع بالضدّين فيّ طبائع

المفردات :

فصوّر شخصي : إشارة إلى قوله تعالى :وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ[غافر : 64] .
باليدين : إشارة إلى خلق الإنسان باليدين ، قال تعالى :ما مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِما خَلَقْتُ بِيَدَيَّ[ص : 75].
مصوري : خالقي . **لتطبع بالضدين فيّ طبائع** : التصوير باليدين إشارة إلى انطباع الإنسان بالضدين.

المعنى :

بعد أن أبدع الحق تعالى تركيب نشأة الجيلي ونفخ فيه الروح ، صور شخصه بيديه تعالى ، ونلاحظ هنا كأن كل إنسان هو آدم ، وكل مولود هو استمرار لآدم ، جنس خلقه الله بيديه ....
وبما أنّ الجيلي يرى في اليدين إشارة إلى الضدين ، فكل إنسان مخلوق باليدين هو مطبوع بالضدين بالقابليتين ، مفتوح علي الفجور والتقوى ،
قال تعالى :وَنَفْسٍ وَما سَوَّاها ..... فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها[الشمس : 7 و 8] .

(330) وأخرجني من بعد تكميل هيكلي ..... إلى العالم الأرضيّ من هو صانع

المفردات :

وأخرجني : إشارة إلى ولادة الجيلي وخروجه إلى عالم الدنيا . **من بعد تكميل هيكلي** : أي بعد تكوينه في رحم والدته ، وبعد تصويره ، وبعد نفخ روحه .
من هو صانع : أي الله عزّ وجلّ ، لقوله تعالى :هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ[غافر : 67 ، التغابن : 2] .

المعنى :

أكمل الحق تعالى تكوين الجيلي في رحم والدته .... أتمّ تصويره ، ونفخ فيه من روحه ، وألهم نفسه فجورها وتقواها . ومن بعد ذلك كله أخرجه إلى الدنيا .

(331) ففي أوّل الشّهر المحرّم حرمة ..... ظهوري بالسّعد العطارد طالع

المفردات :

ففي أول الشهر المحرم حرمة : في الأول من شهر محرم .

ظهوري بالسعد العطارد طالع : وكان برجي عطارد ، وطالعي السعد .

المعنى :
حدثت ولادة الجيلي في أول محرم ، وكان برجه عطارد ، وطالعه السعد.

(332) لستّين مع سبع إلى سبعماية ..... من الهجرة الغرّا سقتني المراضع
المعنى :
ولادة الجيلي عام 767 من الهجرة .

(333) ومذ كنت طفلا فالمعالي تطلّبي ..... وتأنف نفسي كلّ ما هو واضع
المفردات :
تطلبي : مطلبي . **وتأنف نفسي :** ترفض وتترفع . **واضع :** وضيع ، حقير.

المعنى :
ومنذ كان الجيلي طفلا ، تطلب نفسه المعالي ، وتأنف من كل ما هو وضيع .

(334) ولي همّة كانت وها هي لم تزل ..... على أن لي فوق الطّباق مواضع
المفردات :
ولي همة : الهمة هي صورة عالية من صور الإرادة في الفكر الصوفي ، وهي قوة عظمى كامنة في الإنسان تنوّله كل مطلوب ، وتغيّر له كل الوقائع والأحداث .
الطباق : السماوات السبع الطباق . **مواضع :** جمع موضع ، أي رتبة ومكانة .

المعنى :
يخبرنا الجيلي أنه منذ بدايات حياته يملك همة عالية . . . ويبلغ من اقتدارها أنه في وسعها أن تحمله إلى رتبة ومكانة تعلو السماوات السبع الطباق .

(335) وقد كنت جمّاحا إلى كلّ هيئة ..... فخضت بحارا دونهنّ فجائع
المفردات :
جمّاحا : مسرعا لا يرد عني شيء . **هيئة :** كل ما يتهيأ لي عظيما مهيبا .
بحارا : البحار هي رمز الصعوبات التي تعترض السالك . **فجائع :** جمع فجيعة وهي المصيبة .

المعنى :

ويتابع الجيلي تصوير شخصيته منذ البداية ، وبعد الهمة العالية يكلمنا على شجاعته ، فيقول ؛ وقد كنت انطلق مسرعا إلى كل عظيم مهيب ، لا يخيفني هول ولا يرد عني طيف مصيبة ....
وقد خضت بحار المجاهدات والرياضات ؛ ويا لها من بحار دونها أهوال عظام !

(336) وكلّ الأماني نلتها وهي إن علت ..... بها بعد نيل القصد ما أنا قانع

المفردات :

بعد نيل القصد : بعد نيل المراد ، والأماني ، **ما أنا قانع :** لا أقنع بها.

المعنى :

يتابع الجيلي روايته ، وإن همّته أوصلته إلى كل ما تمنى ، ولكن كل ما وصل إليه بجهده ونشاطه لم يرضه ، يقول ؛ وقد نلت كل ما تمنيت ، وكل ما سعيت إلى طلبه .
ولكن هذه الأماني وإن كانت عالية ، فإنها لم تشبع همتي ، ولم توصلني إلى الاكتفاء بها ، والركون إليها ، والبقاء فيها .

(337) إلى أن اتتني من قديم عناية ..... أياد لها مذ كنت عندي صنائع

المفردات :

أياد لها عندي صنائع : أياد لها فضل علي ، أياد بمعنى ألطاف . **مذ كنت :** منذ وجدت .

المعنى :

وبينما كان يخالط نفس الجيلي شعور بالنقصان ، حيث أنه نال كل ما تمنّى ، ولم يطمئن ولم يركن....
أتته ألطاف العناية الإلهية التي لها أفضال عليه منذ وجد في العوالم .

(338) وهبّ نسيم الجود من ذلك الحمى ..... وصبّ سحاب بالتّعطّف هامع

المفردات :

الجود : الكرم الإلهي . **الحمى :** المكان المحمي ، وهنا المقصود من عند ربّ العالمين . **هامع :** هاطل .

المعنى :

وهبّ على الجيلي نسيم الكرم الإلهي من عند رب العالمين الكريم ، وصبّ سحاب العطف والرحمة على فؤاده المتوتر من عدم نوال ما يرضيه.

(339) وأحيا الحيا أرض الفؤاد فاعشبت ..... وغنّت على عود الوصال سواجع

المفردات :

الحيا : السحاب الممطر . **فأعشبت :** فأنبتت وأزهرت . . **الوصال :** القرب والوصل .
سواجع : طيور تسجع .

المعنى :

وأحيا السحاب الممطر تعطفا ، أرض فؤاد الجيلي الجرداء ، فأخضرّت وأزهرت ، وعلت فيها غصون القرب والوصال ، وسمع غناء الطيور السواجع على عودها .

(340) فهمت من المعنى معاني أحبّتي ..... فهمت معنّى بالصّبابة والع

المفردات :

فهمت : من الفهم ، بمعنى أدركت وعلمت . **من المعنى :** من معنى الغناء .
فَهِمتُ : من هام يهيم هياما . **مُعَنّى :** متعبا.

المعنى :

عندما غنت الطيور السواجع على غصون الوصال في فؤاد الجيلي ؛ أدرك وفهم من معاني الغناء صفات محبوبه ، فخرج عن ذاته ، وهام متعبا والعا صبابة وعشقا .

(341) أتيت إليها راغبا في مرادها ..... وما لي في شيء سواها مطامع

المفردات :

أتيت إليها : توجهت إلى الحضرة الإلهية . **راغبا في مرادها :** راضيا بما ترضى .

المعنى :

عندما فهم الجيلي من سجع الطيور صفات محبوبه وهو الحق تعالى ، توجه إليه تعالى راضيا بما يرضى ، غير طامع بشيء سواه .

(342) وفرّغت مشغول الفؤاد عن السوّى ..... فما أنا في غير المحبّ مطالع

المفردات :

مشغول الفؤاد : ما يشغل من الفؤاد ، وهو وجه القلب وتوجّه نظره .
عن السوى : عن كل ما سوى الله . **مطالع :** ناظر .

المعنى :

يخبرنا الجيلي هنا بأنه أزاح عن وجه قلبه كل الآخرين ، أي كل ما سوى الله عزّ وجلّ ، فلم يعد قلبه ينظر إلى غير المحبوب .

(343) فلمّا أضاءت في الحشا جذوة الهوى ..... وأومض من سفح المحبّة لامع

المفردات :

وأومض : ولمع . **لامع :** برق لامع .

المعنى :

بعد أن فرّغ الجيلي قلبه عن كل ما سوى الحق عزّ وجلّ ، أضاءت جذوة الهوى في الأحشاء ، والتمع من المحبة بوارق ولوامع .

(344) سقاني الهوى كأس الغرام ولم يكن ..... على ساحة الوجدان للكرم مانع

المفردات :

ولم يكن على ساحة الوجدان : ولم يكن في وجداني . **للكرم :** أي لما ينتج الكرم ، وهو الخمر . **مانع :** ما يمنع الخمر من احتلالها ساحة الوجدان.

المعنى :

بعد أن فرّغ الجيلي قلبه عن كل ما سوى الله عزّ وجلّ ، وأضاءت جذوة الهوى في الحشا ، بدأ في الشرب ، وسقاه الحبّ كأس الغرام ؛ فاحتلت الخمر ساحة وجدانه ، واختالت فيه لا يمنعها مانع .

(345) فقاطعت ندماني وواصلت لوعتي ..... وهاجرت أوطاني فبانت مرابع

المفردات :

ندماني : ج . نديم وهو الجليس . **فبانت مرابع :** فظهرت مرابع القرب الإلهي .

المعنى :

يخبرنا الجيلي أنه بعد أن احتلت الخمر ساحة وجدانه ، انقطع عن جلّاسه وصحبه كلهم ، وجالس غرامه وصحب لوعته ، ثم هجر مكانه ، وترك كل ما حوله ، ومن حوله ، فظهرت له عندها مرابع القرب الإلهي وتجلّت بيّنة.

(346) تركت لها الأسباب شغلا بحبّها ..... ووجدا بنار قد حوتها الأضالع

المفردات :

تركت لها : للحضرة الإلهية . **الأسباب :** الدنيا . **بحبها :** بالحب الإلهي .

المعنى :

يتابع الجيلي قصة تقرّبه ، ويخبرنا أنه بعد أن تجلت له مرابع القرب الإلهي ، ترك الدنيا انشغالا بحبه للحضرة الإلهية ، ووجدا بالنار المشتعلة في أضالعه .

(347) وأشغلني شغلي بها عن شواغلي ..... وفيها فإنّي للعذار مخالع

المفردات :

شغلي بها : شغلي بحب الحضرة الإلهية . **شواغلي :** عما يشغلني من الدنيا .
للعذار مخالع : خلع العذار في الحب هو تعبير شعري وصوفي ، يقال حين يلتهب سلوك الصبّ بنار وجد الأعماق ، ويخرج بالتالي عن القيد العقلي والاجتماعي .

المعنى :

يتابع الجيلي وصف حاله في العشق فيقول ؛ وأشغلني حبي للحضرة الإلهية عن كل شواغل الدنيا والتهب وجد أعماقي فخلعت العذار ، وخرجت بحبها على كل ما هو مألوف ومعقول عند الناس.

(348) خلعت عذاري في الهوى وزهدت في ..... مكاني وإمكاني وما أنا جامع

المفردات :

وزهدت في مكاني : الزهد في المرتبة . **وإمكاني :** الزهد في القدرات والممتلكات .
وما أنا جامع : وما يمكن أن أجمع من أسباب الدنيا .

المعنى :

يتابع الجيلي وصف عشقه الذي أخرجه عن كل ما يهتم به الناس ؛ ويخبرنا هنا عن زهده في كل شيء ، في الماضي والمستقبل ، يقول ؛ تركت في الحب كل مقوماتي الشخصية ....
زهدت في رتبتي ومرتبتي أمام الناس ، زهدت في قدراتي الباطنة وفي ممتلكاتي الظاهرة ، وفي كل ما يمكن أن أجمع من أسباب الدنيا وزينتها .

(349) وألقيت إنساني فألفيت منيتي ..... وجافيت نومي بل جفتني المضاجع

المفردات :

وألقيت إنساني : رميت إنساني . **وعندما يشير الواحد منا إلى إنسانه فكأنما يقول :** الأنا التي تعيش في أعماقه . **فألفيت :** فوجدت . **منيتي :** موتي . **بل جفتني :** بل هجرتني . المضاجع : جمع مضجع ، وهو المرقد .

المعنى :

بعد أن بيّن لنا الجيلي زهده في كل ما سوى محبوبه ، يبدأ الآن ببيان موقعه من محبوبه ، وبيان خضوعه وذلته ، يقول ؛ ألقيت إنسان وجودي ورميته في بحر الحب الإلهي ، فلقيت موتي....
وهجرت النوم ، لا بل إن المضاجع هي التي هجرتني .

(350) وسلّمت نفسي للصّبابة راضيا ..... بحكم الهوى تحت المذلّة خاضع

المفردات :

وسلمت نفسي للصبابة : إشارة إلى تسليم العاشق للعشق الإلهي ؛ والتسليم من مقولات الصوفيين الأساسية التي تقضي بأن يسلّم العبد لمولاه ، في كل أمر وقضاء ، ويرضى بما يقضي الله عليه . **بحكم الهوى :** بما يحكم الهوى .

المعنى :

يتابع الجيلي تصوير مكانته من محبوبه ، وخضوعه ، يقول ؛ لقد خرجت عن كل ما تطلبه نفسي وتريده ، وسلّمتها راضيا للعشق الإلهي ؛ يتحكم بها الحب وهي خاضعة لكل ما يحكم ، حتى لو كان مذلة.

(351) وفوّضت في أمري هواها توكّلا ..... ليقطع في حكمي بما هو قاطع

المفردات :

وفوضت في أمري هواها : أسلمت لحكم هواها جميع أموري .

المعنى :

إن قصيدة الجيلي هذه غنية بأمور دقيقة ، لا يقولها إلّا من كابد التجربة الصوفية في قمة إبداعها وإنسانيتها . وهنا نرى إحدى هذه الإرشادات المبدعة .

فقد ربط الجيلي التسليم بالتوكل ، وهما مقولتان تتداخلان لتسكّن إحداهما قلق الأخرى وخوفها .

وذلك لأن التسليم من شروطه الرضى بكل ما يحكم المحبوب .

والتوكل يفترض أن يراعي الموكّل إرادة موكله ، بكلام آخر عندما أسلّم أموري إلى الله عزّ وجلّ أرضى بما يرضى لي وهذا هو التسليم .

ولكن عندما أتوكل عليه تعالى انتظر أن يجد لي مخرجا ، لأن من توكل عليه فهو حسبه .فالتوكل يشعر بمطلب وإرادة يريد الموكل تحقيقها ، والتسليم يشعر بفناء إرادة المسلّم فهو لا يطلب شيئا ، ويرضى بكل ما يقضيه محبوبه ....

والجيلي هنا عندما تكلم أولا على التسليم أتبعه بالتوكل ، حتى يسكّن خوف عشقه من حدوث ما يكره .

ففي جمع التسليم مع التوكل في مقولة واحدة إمكانية أكبر لحدوث ما يحب العاشق ، وبالتالي ليرضى بحدوث ما يحب وهو مسلّم .....

وبعد أن قدّمنا بهذا الربط بين التسليم والتوكل ، يصبح كلام الجيلي واضحا ، يقول ، وأسلمت جميع أموري للحب الإلهي ، وتوكلت على محبوبي ، ومن توكل عليه كفاه ، فليقض عليّ بما يريد من أحكام .....

باختصار كأن الجيلي يخاطب محبوبه قائلا : أنت القاضي بما تريد على عبدك ، وأنت الوكيل عنه . . . أنت القاضي والوكيل .

(352) وأنزلني من أوج عزّي ذلّة ..... فلي بعد ذاك الاقتدار تواضع

المفردات :

وأنزلني : أنزلني الهوى والحب الإلهي . **ذاك الاقتدار :** تلك الرفعة والمكانة .
تواضع : ضعة .

المعنى :

يتابع الجيلي وصف موقعه من محبوبه ، يقول ؛ أنزلني العشق الإلهي من أوج عزّي الماضي إلى ذلي الحاضر ، فأنا الآن وضيع ذليل بعدما كان لي من اقتدار ....
والاقتدار الذي يشير إليه الجيلي هنا هو ما سبق أن أخبرنا عليه في بداياته ، فهو منذ كان طفلا ومطلبه المعالي ، وله همة تحمله إلى ما فوق السماوات السبع ، وكان جمّاحا إلى الصعاب . (راجع الأبيات 333 ، 334، 335)..
والآن ، ومن بعد كل هذا الاقتدار ، نزل من أوج عزّه تذللا لمحبوبه ، فهو بعد أن كان زاهيا مفتخرا بالهمة والاقتدار مباهيا الناس بذلك ، يستكين أمام محبوبه ذليلا .

(353) غنيت ، فأغناني غناي بحبّها ..... وعندي افتقار نحوها وضرائع

المفردات :

غنيت : استغنيت عن كل ما سواها . **فأغناني :** أغناني من الآخرين .
غناي بحبها : كوني غنيا بالحب الإلهي . **وضرائع :** تضرّع .

المعنى :

يتابع الجيلي متحديا المستنكر لتذلله في العشق ، قائلا : استغنيت عن كل ما سوى حبي لله عزّ وجلّ ، فأغناني هذا الاستغناء عن كل الآخرين . . . فلا افتقر إلا إليه ، ولا أتضرّع إلّا له تعالى.

(354) طرحت على أرض الهوان رياستي ..... لها نعمة ، طرحا لقدري رافع

المفردات :

طرحت : ألقيت . **الهوان :** الذل . **رياستي :** مركزي ومكانتي عند الناس .
طرحا لقدري رافع : هذا الطرح للرياسة يرفع قدري عند الله .

المعنى :

يخبرنا الجيلي بأنه على الرغم من اقتداره ومن عزّه الماضي ، فقد طرح مركزه وعزّه أمام محبوبه على أرض المذلة والهوان ...

وليس هذا الطرح استهتارا منه بالمركز والعز لأنهما من النعم الإلهية ، ولكن من تواضع لله رفعه ، وكذلك الجيلي تذلل لله عزّ وجلّ فارتفع قدره عنده تعالى.

(355) لبست لباس الوجد فيها خلاعة ..... لباس الهوى في الحبّ ما أنا خالع

المفردات :

لباس الوجد : الوجد عند الصوفي يظهر في صورة الخلاعة ، لأن الواجد يخرج عن امتلاكه لسلوكه الإرادي . **ما أنا خالع :** لن أخلع لباس الهوى.

المعنى :

يتابع الجيلي وصف وجده في الهوى ، قائلا ؛ أظهرني العشق والوجد بمظهر الخليع في أعين الآخرين ؛ وذلك أنهما أخرجاني عن امتلاك سلوكي الإرادي ، فاندفع يتمايل مني البدن ، وكلما ذكر المحبوب اهتاج كسكران أخرجه السكر عن صحو العاقلين ، ولا يظنن أحد أنني سأترك لباس الهوى وأخلعه مهما تزايد الوجد في الأعماق واشتعل ، ومهما تمكّن مني مظهر الخلاعة وعليّ اقتدار.

(356) ومذ أودعتني تربة الذّل والشّقا ..... فروحي وروحي راحل وموادع

المفردات :

أودعتني تربة : دفنتني في تربة . **والشقا :** والشقاء . **فروحي :** الروح ، طيب الرائحة . وهنا المراد نفسي الطيب . **راحل ومودادع :** ذاهب.

المعنى :

يخاطب الجيلي محبوبه وهو مدفون في تربة الذل والشقاء ، قائلا ؛ ومنذ دفنتني وديعة في تربة الذل والشقاء ، وهما ذل العشاق وشقاء المحرومين ، رحل عني طيب أنفاسي ، وودعني روحي .

تاسعا الأبيات من (357) إلى (402) الجيلي يروي سيرته الروحية
الجزء الثالث

(357) ولي في هواها هتكة وتبدّد ..... على أنّه لي من نواها مصارع
(358) جعلت افتقاري في الغرام وسيلتي..... ويا ضعف مشفوع له الفقر شافع
(359) وجئت إليها راغبا ، لا مثوبة ..... ولكن لها منّي إليها أسارع
(360) سكنت الفلا مستوحشا من أنيسها ..... ومستأنسا بالوحش وهي روائع
(361) أنوح فيشجيني حمام سواجع..... وأبكي فيحكيني غمام هوامع
(362) ولي ، إن عوى ذئب على فقد إلفه ..... زفير ، له في الخافقين صدائع
(363) وإن غرّدت قمريّة فوق أيكة ..... تجاوب قمريّا على البان ساجع
(364) فإنّ لأنّاتي وتأويه لوعتي..... بتلك الفيافي في الظّلام تراجع
(365) وبي من مريض الجفن سقم مبرّح ..... ولي في عصيّ القلب دمع مطاوع
(366) نحلت من الآلام حتّى كأنّني ..... مقدّر مفروض ، وما هو واقع
(367) فلو نقط الخطّاط حرفا كهيكلي ..... على سطح لوح ما رآه مطالع
(368) فجسمي وأسقامي محال وواجب ..... ودمعي وخدّي أحمر وفواقع
(369) أسائل من لاقيت والدّمع سائل ..... عن الجزع "والسّكّان والقلب جازع
(370) تحارب صبري والكرى فتفانيا..... وسالم قلبي الحزن فهو مبايع
(371) وقد قيّدت بالنّجم أهداب مقلتي ..... كما أطلقت عن قيدهنّ المدامع
(372) وأسقط قدري في الهوى شنعة الهوى ..... وعندي أنّ العزّ تلك الشّنائع
(373) وكم مرّ بي من كنت أرفع قدره ..... كأنّي له من بعد ذلك واضع
(374) وينكف أن ألقاه بي متطيّرا ..... وما هو إن حيّيته لي سامع
(375) فما لي في الأحياء ما عشت صاحب ..... وما لي حقّا لو أموت مشايع
(376) وما لي إن حدّثتهم من مجاوب ..... ولا إن دهاني الخطب فيهم مدافع
(377) كأن لم أكن في الحيّ أرفع أهله ..... مكانا وقدري في المكانة مانع
(378) ذللت إلى أن خلت أنّي لم أزل ..... أذلّهم قدرا ، فها أنا خاضع
(379) وأحسب أنّ الأرض تنكف أن ترى ..... ولي في ثراها مذهب ومشارع
(380) رعى الله إخوانا رعين مودّتي..... فهنّ لقلبي ، حيث كان توابع
(381) نعم وسقى وجدا مدى الدهر مؤنسي ..... فكم لك يا وجدي عليّ صنائع
(382) ويا زفراتي فاصعدي وتنفّسي ..... فقد هبطت من جفن عيني المدامع
(383) ويا كبدي في الحبّ ذوبي صبابة ..... ويا كمدي دم ، إنّني لك تابع
(384) ويا جسدي هل فيك من رمق ، فما ..... أراك سوى بالوهم عندي مطالع
(385) ويا مهجتي والرّسم منك فدارس..... ويا طلل الأحشاء فجعك صادع
(386) ويا جفني المقروح قد فني الدّما ..... ويا قلبي المجروح هل أنت فازع
(387) ويا ذاتي المعدوم هل لك بعثة..... ويا صبري الموهوم هل أنت راجع

(388) ويا خفقان القلب زدني كآبة ..... ويا نار وجدي قد ، جفتني الأضالع
(389) ويا نفسي الحرّاء موتي تلهّفا ..... فما لك في دين المحبّة شافع
(390) ويا روحي المتعوب صبرا على البلا..... ويا عقلي المسلوب هل أنت والع
(391) ويا ما بقي في الوهم منّي وجوده ..... عدمتك شيئا وقعه متمانع
(392) ويا سقمي زدني أسى وتبدّدا..... فليس لضري غير سقمي نافع
(393) ويا عاذلي كرّر ، فإنّي وإنّ أكنّ ..... إلى العذل لا أصغي فللذّكر سامع
(394) ويا قاضيا في الحبّ يقضى بعدله ..... تحكّم بجور إنّني لك طائع
(395) جعلت وجودي فانيا في بقائها .....ألا فاقض ما تقضي ، فما أنا جازع
(396) وحقّقت أنّي في وجودي قائم ..... بها ، ووجودي مكرة ومخادع
(397) فمن مصر أرضي قد خرجت لمدين ..... لعلّ شعيب القلب فيه صدائع
(398) فلاقيت بنتي عادتي وطبيعتي..... تذودان أغنامي ومائي نابع
(399) فسقّيت من الماء اليقين غنائمي ..... ومن رعي زهر العلم هنّ شوابع
(400) وجاءت على استحياء ذاتي بربّها ..... بتوحيدها ، إحداهما وتسارع
(401) فلمّا تزوّجت الحقيقة صنتها ..... وأمهرها مني الحماة الشرائع
(402) صعدت معالي طور قلبي مناجيا ..... لربّي حتّى إن بدت لي لوامع

شرح الأبيات :-

(357) ولي في هواها هتكة وتبدّد ..... على أنّه لي من نواها مصارع

المفردات :

هتكة وتبدد : تمزّق وتشتّت ، وهنا إشارة إلى الفناء الصوفي . **من نواها :** من هجرها . **مصارع :** جمع مصرع ، أي مقتل .

المعنى :

يخبرنا الجيلي أن حبّه للحضرة الإلهية يمزّق صحوه ، ويشتت رصانته ، ويفني حضوره ، فيهيم وجدا ويغيب عن شهود ذاته وعن الإحساس بها . . . ولكن ، وإن كان الحب يمزّقه ويبدده ، فإنه لا غنى له عنه ، لأن البعد يقتله ويصرعه .

(358) جعلت افتقاري في الغرام وسيلتي ..... فيا ضعف مشفوع له الفقر شافع

المفردات :

وسيلتي : وسيلتي إليها وشافعي لديها . **فيا ضعف :** وما أضعف ، ومن أضعف من ...

المعنى :

يقول الجيلي مغنيا ضعفه ، توسلت وتشفعت في غرامي بافتقاري إليها . . . ومن أضعف من إنسان يشفع له الفقر ، ويتشفع بالفقر ؟!

(359) وجئت إليها راغبا لا مثوبة ..... ولكن لها منّي إليها أسارع

المفردات :

راغبا : طالبا لها بالذات . **لا مثوبة :** لا رغبة بثواب ، **بمعنى :** لم أطلبك يا رب طمعا .

المعنى :

يوضح الجيلي أنه طلب الحضرة الإلهية لذاتها لا لثواب ، وكأنه هنا يرجع أقوال السيدة رابعة : " ما عبدتك خوفا من نارك ، ولا طمعا في جنتك ، ولكنك أهل للعبادة فعبدتك " ...

وقولها أيضا : " أحبّك حبّين : حب الهوى ، وحبا لأنك أهل لذاك . . . "

ويضيف الجيلي هنا بأن طلبه للحضرة الإلهية هو طلب عفويّ ، تسارع إليه أعماقه ، دون قصد أو تعمّل ، دون رياضة أو مجاهدة ...

أعماق عاشقة أخرجها الحب عن ذاتها إلى محبوبها .

(360) سكنت الفلا مستوحشا من أنيسها ..... ومستأنسا بالوحش وهي رواتع

المفردات :

الفلا : الفلاة ، الصحراء . **من أنيسها :** من أنيس الدنيا ، أي من ناس الدنيا .

بالوحش : جماعة الوحوش . **رواتع :** ترتع في الفلاة .

المعنى :

يغنّي الجيلي وحشته بين الناس ، وأنسه في خلوة الفلاة ، يقول ؛ سكنت البراري والصحارى مستوحشا من ناس الدنيا ، ومستأنسا بوحش الفلاة الذي يرتع من حولي .

(361) أنوح فيشجيني حمام سواجع ..... وأبكي فيحكيني غمام هوامع

المفردات :

فيشجيني : فيواسيني . **حمام سواجع :** سجع الحمام . **فيحكيني :** فيقلدني .

غمام هوامع : سحاب ممطر .

المعنى :

يفصّل الجيلي أنسه في الفلاة بالطير والمطر ، يقول ؛ أنوح ويعلو صوت بكائي فيواسيني سجع الحمام . . . وأبكي ، تنهمر دموعي فيقلدني سحاب ممطر .....

وهكذا في الفلاة ينوح الجيلي فينوح لنوحه الحمام ، ويبكي فيبكي لبكائه السحاب . . .

وهذا هو الأنس الحقيقي ، فالأعماق لا تسكن وتأنس إلى من يشاركها المكان بل إلى من يشاركها الهمّ والأشجان .

(362) ولي إن عوى ذئب على فقد إلفه ..... زفير ، له في الخافقين صدائع

المفردات :

في الخافقين : في الآفاق . **صدائع :** ترجيع وصدى قوي .

المعنى :

يكمّل الجيلي تصوير استئناسه بجماعة الوحوش ، فيقول ؛ إن سمعت عواء ذئب على فقد إليفه تذكّرت غرامي ، فتنهدت بزفير دوّى في الآفاق صداه ورجعه .

(363) وإن غرّدت قمريّة فوق أيكة ..... تجاوب قمريا على الآيك ساجع

المفردات :

قمرية : طائر يشبه الحمام القمر الأبيض . **أيكة :** نوع من الشجر .

البان : شجر يسمو ويطول .

المعنى :

وإن تجاوب قمري وقمرية في السجع والتغريد ....

(364) فإنّ لأنّاتي وتأويه لوعتي ..... بتلك الفيافي في الظّلام تراجع

المفردات :

لأناتي : جمع أنّة ، والأنّة والأنين بمعنى واحد . **تراجع :** صدى .

المعنى :

إن تجاوب قمري وقمرية في السجع والتغريد ، يرجّع صدى تغريدهما في تلك الفيافي صوت أنين الجيلي وتأوهاته .

(365) وبي من مريض الجفن سقم مبرّح .... ولي في عصيّ القلب دمع مطاوع

المفردات :

من مريض الجفن : إنني أشبه مريض الجفن بمرضه الشديد ، والصورة ليعبر الجيلي بها عن أوجاع أجفانه . **دمع مطاوع :** والدمع يطاوع باستمرار على الرغم من أوجاع أجفاني.

المعنى :

ومن كثرة البكاء حلّت بأجفان الجيلي آلام مبرحة فأشبه مريض الجفن . . . ومحبوبه عصيّ القلب لا يطاوع ، ولا يطاوعه إلا دمعه ، فها هو لا يزال ينهمر باستمرار على الرغم من أوجاع أجفانه .

(366) نحلت من الآلام حتّى كأنّني ..... مقدّر مفروض ، وما هو واقع

المفردات :

نحلت : أصبحت نحيل الجسم . **كأنني مقدر مفروض :** كأنني لشدة نحولي فارقت عالم الواقع الملموس وأصبحت كالأمور المفروضة أو المقدرة .

المعنى :

ولكثرة ما يلاقي . الجيلي من آلام الوجدان نحل جسمه ، ولشدة نحوله يشعر كأنه فارق عالم الأمور الواقعة الملموسة ، وأصبح ينتسب إلى عالم الأمور المقدّرة أو المفروضة .

(367) فلو نقط الخطّاط حرفا كهيكلي ..... على سطح لوح ، ما رآه مطالع

المفردات :

حرفا كهيكلي : حرفا حجمه بحجم جسمي . **ما رآه مطالع :** لا يراه الناظر لضآلته ونحوله .

المعنى :

ولشدة نحول الجيلي من الغرام ، يقول إنه ، لو حاول خطاط أن ينقط حرفا بحجم هيكله على سطح لوح ، لما رأى ناظر هذا الحرف لصغره وضآلته . . .
فكأن بدن الجيلي صار أصغر من نقطة .

(368) فجسمي وأسقامي ، محال وواجب ..... ودمعي وخدّي : أحمر وفواقع

المفردات :

ودمعي أحمر : بمعنى أبكي دما . **وخدي فواقع :** أي وخدي أصفر فاقع .

المعنى :

يتابع الجيلي وصف آثار الغرام على بدنه ، بدن شديد النحول لا يفارقه وجع الغرام . .
وقد أشبه بدنه المحال - وهو الذي يستحيل أن يوجد - لشدة نحوله ، وقارب الواجب - وهو الذي يجب وجوده - في دوام أوجاعه.

(369) أسائل من لاقيت والدّمع سائل ..... عن الجزع والسّكّان والقلب جازع

المفردات :

أسائل : أسأل . **الجزع :** منحنى الوادي ، وهنا بمعن أسأل عن المكان . **جازع :** خائف ، قلق ، غير صابر .

المعنى :

يسأل الجيلي كل من يلتقي به ودمعه جار على خدّيه ، يسأل بالحال لا بالكلام ، عن المكان والسكان . . . وقلبه قلق جازع من الإجابة . . . ولا يخفى الجناس الوارد في هذا البيت بين " أسائل " بمعنى استفهم و " سائل " بمعنى جار . . .
وبين " الجزع " بمعنى المكان ، و " الجازع " بمعنى الخائف القلق.

(370) تحارب صبري والكرى فتفانيا ، ..... وسالم قلبي الحزن فهو مبايع

المفردات :

تحارب صبري والكرى : هي حرب بين صبري والنوم . **فتفانيا :** لم يغلب أحدهما الآخر ، فكان أن أفنى كل منهما الآخر في هذه المحاربة . **فهو مبايع :** بايع قلبي الحزن ، والحزن من أحوال الصوفية .

المعنى :

قامت حرب بين صبر الجيلي في الحب وبين نومه ، فلم يغلب أحدهما الآخر ، بل أفنى أحدهما الآخر . . . وبعد فناء النوم والصبر ، سالم قلبه الحزن وهادنه وبايعه .

(371) وقد قيّدت بالنّجم أهداب مقلتي ..... كما أطلقت عن قيدهنّ المدامع

المفردات :

لقد قيدت بالنجم أهداب مقلتي : صورة رائعة وجديدة أتى بها الجيلي .
فهو هنا لا ينام أبدا ، إذ كيف بإمكانه أن يطبق أجفانه وها هي أهدابه مقيدة مشدودة بقيود إلى فوق ، إلى النجوم ؟ ! **المدامع :** مكامن الدمع .

المعنى :

يقول الجيلي إنه لا ينام أبدا ، ليس لأن القلق والأرق وصورة المحبوب يسهرانه ، بل لأن أهدابه المقيدة إلى أعلى ، إلى النجوم ، تمنعه من أن يطبق أجفانه .....
وكما قيّد أهدابه ليمنع أجفانه من الانطباق ، كذلك أطلق مدامعه لتذرف الدمع دون قيد أو حدود . . .
أهداب مقيدة بالنجم إذن عينان مفتّحتان ، ومدامع مطلقة أي ودموع لا تتوقف .

(372) وأسقط قدري في الهوى شنعة الهوى ..... وعندي أنّ العزّ تلك الشّنائع

المفردات :

شنعة الهوى : كل مظاهر الذل والهوان والخلاعة .

المعنى :

بعد وصف آلامه ، يبدأ الجيلي ببيان ذلّه وهوانه على الناس ، فيخبرنا أن كل مظاهر الهوى من ذل وهوان ودموع ونحول وخلاعة هي شنعة الهوى في نظر الآخرين ، وإنه هو كعاشق تجلّت فيه كل هذه الشنائع فأسقطت قدره عند الناس . . .
أما عنده ، فالعز الحقيقي هو في ظهور هذه الشنائع عليه .
وهنا الفرق بين العارفين والعشاق من الصوفيين .
فالعارف يتجلى بمظهر الصاحي الساكن المتمكّن المقتدر ، الظاهر على حال عشقه ، وبالتالي فهو في رفعة وعزّ في أعين الآخرين ، على حين أن العاشق يتجلّى بمظهر محروم لا يوصل ، عطشان لا يروى ، ملهوف لا يغاث ، أطاش عرفانه لبّه ؛ وكثيرا ما يعبّر بدن العاشق عن هيجان وجدانه فيدور ويتمايل كالسكران أو المجنون ، وبالتالي فهو في ضعة وذل في أعين الآخرين .

(373) وكم مرّ بي من كنت أرفع قدره ..... كأنّي له من بعد ذلك واضع

المفردات :
وكم مرّ بي : أي الآن بعد اتصافي بشنائع الهوى عند الآخرين . **من كنت أرفع قدره :** من كان يتقرّب مني ليرفع قدره بين الناس ...
المعنى :
يتأسف الجيلي على سطحية العلاقات الإنسانية ، فأكثر الناس تعاشر لمصلحة وغرض ، وقليل منهم هو الذي يبحث في ذات الآخر عن إنسان ليقيم معه علاقة ذاتية حقيقية تسقط فيها كل الصفات والأوصاف والمصالح والأغراض ،
فيقول ؛ كان بعض الناس يتقرب مني ، لا لذاتي ، بل لأن قيمتي ومكانتي ترفع قدر المعاشرين لي والمقربين مني ؛ وكم من إنسان يمرّ بي الآن وبعد أن أسقطت شنائع الهوى قدري ، يتحاشاني مبتعدا عني كأني سأحط من قدره ، من بعد ما كنت لقدره رافعا.

(374) وينكف أن ألقاه ، بي متطيّرا ..... وما هو إن حيّيته لي سامع
المفردات :
وينكف أن ألقاه : يتجنب لقائي . **متطيرا :** متشائما . **لي سامع :** لا يسمع تحيتي ، يتجاهل سماع تحيتي .
المعنى :
يكمّل الجيلي الترنّم بأسفه على العلاقات السطحية وغير المتجّذرة في كينونة الناس ، فيقول ؛ بعد أن أسقط قدري في الهوى شنعة الهوى ، كأن بعض الناس يتجنّب لقائي تشاؤما وتطيّرا ....
وإن ألقيت على بعضهم تحية فإنه لا يسمع تحيتي . . . .
وهنا نكتة شرعية لطيفة أتى بها الجيلي ، فهذا الصاحب لا يشيح بوجهه عن الجيلي رافضا ردّ التحية ، لأنه بذلك يأثم شرعا ، فالتحية والسلام حق المسلم على المسلم شرعا .
لذلك هذا الصاحب يتصرف بشكل يمكّنه من ألا يسمع تحيّة الجيلي ، حتى لا يضطر إلى ردّها .

(375) فما لي في الأحياء ما عشت صاحب ..... وما لي حقّا لو أموت مشايع
المفردات :
مشايع : من يشيعني إلى القبر .
المعنى :
يتابع الجيلي وصف معاشريه وسطحية رؤيتهم له ، يقول ؛ وها أنا أعيش عيشة المنبوذين لا صاحب لي من بين الأحياء وأنا حي ، وإن أمت لا أجد لي مشايعا يشيّعني إلى مثواي الأخير .

(376) وما لي إن حدّثتهم من مجاوب ..... ولا إن دهاني الخطب فيهم مدافع

المفردات :

إن دهاني الخطب : إن أصابتني مصيبة.

المعنى :

يكمل وصف ما صارت إليه حمية معاشريه ، إن حدّثهم لن يجاويه أحد . . . وإن أصابته مصيبة لن يجد بينهم من يدافع عنه .

(377) كأن لم أكن في الحيّ أرفع أهله ..... مكانا وقدري في المكانة مانع

المفردات :

مكانا : مكانة وقدرا . **وقدري في المكانة مانع :** قدري عظيم المنعة ، ويحمي أهل الحي جميعا.

المعنى :

ويذكّر الجيلي الناس - من صحبه ومعارفه - بقيمته السالفة ومكانته ، يقول ؛ لقد نسي الناس رفعة مكانتي وقدري السابق ، فكأني لم أكن بينهم فيما سلف أرفع أهل الحي قدرا ومكانة . . . حتى أن مكانتي كانت هي المنعة لأهل الحي جميعا .

(378) ذللت إلى أن خلت أنّي لم أزل ..... أذلّهم قدرا ، فها أنا خاضع

المفردات :

أذلهم : أذل أهل الحي . **فها أنا خاضع :** راض بهذا الذل .

المعنى :

يصف الجيلي ما صار إليه من ذلة ، وأنه لا يريد تغيير مشاعر المحيطين به ، وذلك لأن الإنسان منا إن شعر بأن من يحبّه فإنما يحبّه لمصلحة ، فلن يحرص على متابعة هذه المحبة أو هذه الصحبة . يقول ؛ بعد أن كنت أرفع أهل الحيّ مكانة وقدرا ذللت حتى أظن أنني أصبحت أذلّهم قدرا . . . وها أنا راض بهذا الذلّ ، لا أشكو ولا أتذمر ولا أحاول تغييرا.

(379) وأحسب أنّ الأرض تنكف أن ترى .... ولي في ثراها مذهب ومشارع

المفردات :

تنكف : ترفض وتستحي . **في ثراها :** على أرضها ، على ترابها .

مذهب ومشارع : ذهاب وإياب وطرقات .

المعنى :

وأخال أن الأرض نفسها ترفض وتستحي من أن يراها مخلوق ، وهي تسمح لعاشق مثلي ذليل بأن يسير عليها ، وله فيها ذهاب وإياب وطرقات.

(380) رعى الله إخوانا رعين مودّتي ..... فهنّ لقلبي ، حيث كان ، توابع

المفردات :

إخوانا : الأخوة في الله مقولة صوفية ، وهي درجة متقدمة من الصحبة وقد افتنّ المتصوفون في استنباط حقوقها . **حيث كان :** أي أينما حلّ في ذل أو رفعة .

توابع : تابعين ، متبعين .

المعنى :

يسأل الجيلي هنا ربّه أن يرعى إخوانا صدقوا في صحبتهم له ورعوا مودته ، وظلوا أوفياء لعهد الأخوة والصحبة ، فتتبعوا قلبه أينما حل سواء أكان في ذل أو في رفعة.

(381) نعم وسقى وجدا مدى الدهر مؤنسي ..... فكم لك يا وجدي عليّ صنائع

المفردات :

وسقى وجدا : الجيلي هنا يطلب السقاية لوجده . **مدى الدهر مؤنسي :** هذا الوجد هو مؤنسي مدى الدهر . **صنائع :** ج . صنيع ، وهو الجميل والمعروف .

المعنى :

بعد أن طلب الجيلي في البيت السابق الرعاية لإخوانه الحقيقين ، يطلب هنا السقاية لوجده الذي هو مؤنسه مدى الدهر ،

وفي الدعاء يؤثر القول : رعيا وسقيا . . . ويرى الجيلي أن للوجد عليه صنائع وأفضال كثيرة لأنه كان السبب في كل ما وصل إليه.

(382) ويا زفراتي فاصعدي وتنفّسي ..... فقد هبطت من جفن عيني المدامع

المفردات :

فاصعدي : فانطلقي . **وتنفّسي :** تحرري . **المدامع :** مكامن الدمع .

المعنى :

يصف الجيلي حاله في البكاء الذي لا ينقطع ، يقول ؛ يا زفراتي انطلقي ، تنفّسي وتحرّري . . . فدموعي لم تزل تهبط ، حتى هبطت مدامعي نفسها من جفني عيني ..

(383) ويا كبدي في الحبّ ذوبي صبابة ..... ويا كمدي دم إنّني لك تابع

المفردات :

ويا كمدي دم : يطلب دوام كمده وحزنه . **إنني لك تابع :** إن وجودي تابع لوجودك.

المعنى :

يطلب الجيلي من كبده أن يذوب حبّا وعشقا ، ويطلب من حزنه وكمده أن يدوم ؛ وذلك لأنه يرى بأن وجوده مرتبط بوجود حزنه .

فالحزن هو الذي جعل منه ذاك الإنسان الموجود والرفيع القدر والمنزلة عند الله ، ومتى ذهب حزنه ذهب هو ومكانته.

(384) ويا جسدي هل فيك من رمق فما ..... أراك سوى بالوهم عندي مطالع

المفردات :

من رمق : من بقية حياة . **بالوهم :** بالقوة الوهمية في الإنسان ، بالتوهم .

المعنى :

بدأت الحياة تنسحب من أطراف جسد الجيلي حتى أنه ليسائل جسده :
هل فيك من رمق وبقية حياة ؟ . .
ولكن لا ، إن هذا الرمق الذي يطالعه في بدنه ما هو إلا وهم ومظهر وخيال . وقد استخدم الجيلي هنا لفظ " الجسد " ، الذي يوحي ببدن ميت إذا تتبعنا إيحاءات المفرد القرآني ، بدلا عن لفظ البدن أو الجسم ، ليدلّ ويؤكد على بداية مفارقة الحياة لبدنه.

(385) ويا مهجتي والرّسم منك فدارس ..... ويا طلل الأحشاء فجعك صادع

المفردات :

والرسم منك : وأثرك ، وصورتك . **فدارس :** فذاهب . **ويا طلل الأحشاء :** والأحشاء أطلال . **فجعك :** فجيعتي فيك . **صادع :** ظاهر .

المعنى :

يلتفت الجيلي إلى فؤاده وأعماقه مناديا ؛ يا فؤادي ها قد تصدّعت وذهب رسمك ، ويا أحشائي ها قد تداعيت طللا مفجوعا .

(386) ويا جفنيّ المقروح قد فني الدّما ..... ويا قلبي المجروح هل أنت فازع

المفردات :

قد فني الدما : قد نفذت الدماء .

المعنى :

يقول الجيلي إنه ظل يذرف الدمع حتى نفذت دموعه فذرف الدماء .
والآن فنيت دماؤه فلم تعد لتجري في مدامعه ، ولم تعد لتتساقط من جفنه المقروح . . .
ويسأل قلبه المجروح هل يفزع ويرتدّ عن حبه بما رأى من تصدّع وأطلال ودماء .

(387) ويا ذاتي المعدوم هل لك بعثة ..... ويا صبري الموهوم هل أنت راجع

المفردات :

هل لك بعثة : أي من العدم.

المعنى :

يخاطب الجيلي ذاته وصبره ، يستنجدهما العودة إلى الحضور والفاعلية ، ليشدّا أزره في الحب ، فيقول ؛ وأنت يا ذاتي التي أفناها وأعدمها العشق هل تبعثين من العدم ؟!
وأنت يا صبر ، إن كان عن المحبوب صبر ، هل ترجع ولو بالوهم لتطفىء يأس الحرمان ؟!.

(388) ويا خفقان القلب زدني كآبة ..... ويا نار وجدي قد ، جفتني الأضالع

المفردات :

قد : فعل أمر من أوقد بمعنى زد اشتعالا .

المعنى :

إن الكآبة التي تجتاح نفس العاشق ترتبط بخفقان قلبه ، فكلما ازداد خفقان قلبه وحنينه لمحبوبه ازدادت كآبته وانقباض صدره .
والجيلي هنا يغري قلبه بالخفقان حنينا لتزداد كآبته . . . ولا يكتفي بذلك بل يطلب أيضا من نار الوجد أن " **تولع** " الحنين في الأضلاع وتزيده اشتعالا .

(389) ويا نفسي الحرّاء موتي تلهّفا ..... فما لك في دين المحبّة شافع

المفردات :

دين المحبة : إشارة إلى قول ابن عربي : " أدين بدين الحب أنّى توجهت ركائبه فالحب ديني وإيماني " . وقصيدة الجيلي بكاملها تبين مناهج محبي الله عزّ وجلّ في عباداتهم ومجاهداتهم .

المعنى :

يخاطب الجيلي نفسه لا ليطمئنها على الحياة رغم لهفتها ونارها بل العكس ليعدها بالموت ، يقول ؛ ويا نفسي المحرورة الملهوفة موتي ، فلن تجدي لك شافعا ؛ لأن دين المحبة يشرّع قتل المحب .

(390) ويا روحي المتعوب صبرا على البلا .... ويا عقلي المسلوب هل أنت قالع

المفردات :

على البلا : البلاء هو الالآم التي تصيب الأبدان والأرواح ليمتحن الله بها قلوب عباده للتقوى [أنظر شروحات البيت رقم 22] .

المعنى :

يتابع الجيلي مطالبة تكويناته الشخصية بالمزيد من السير في عشق المحبوب ، فيقول لروحه ولعقله ؛ ويا روحي مهما أتعبك البلاء فصبرا . . .
ويا عقلي ، مهما سلبك العشق وأذهبك ، لا تتوقف عن الولع والصبابة .

(391) ويا ما بقي في الوهم منّي وجوده ..... عدمتك شيئا وقعه متمانع

المفردات :

عدمتك : دعاء بمعنى ، أفقدني الله إياك . **وقعه :** وقوعه ، وحصوله .
متمانع : ممتنع الوجود .

المعنى :

ينادي الجيلي هنا ما تبقّى من وجوده ، بل ما بقي في الوهم من وجوده . . . ويطلب أن يزول هذا الوجود الباقي الموهوم ، لأنه وجود ممتنع الحصول . . . فالجيلي يطلب هنا فناء وجوده الفردي ، ليبقى موجودا بوجود الواحد الأحد ، الباقي بعد فناء خلقه .

(392) ويا سقمي زدني أسى وتبدّدا ..... فليس لضري غير سقمي نافع

المفردات :

لضري : لما أعانيه من الضرر .

المعنى :

يطلب الجيلي من الأسقام أن تزيد في تبدّده وفنائه ، لأنه لا أنفع لفناء الوجود الإنساني من منازلة الأسقام والآلام .

(393) ويا عاذلي كرّر ، فإنّي وإنّ أكنّ ..... إلى العذل لا أصغي ، فللذّكر سامع

المفردات :

كرر : أعد على مسمعي عذلك ولومك . **إلى العذل لا أصغي :** لا أهتم لمعاني اللوم .
للذكر سامع : فإني سامع لذكر المحبوب ومستمتع به ، عندما يرد على لسانك .

المعنى :

يخاطب الجيلي من يلومه في العشق ، ويقول ؛ يا عاذلي كرر على مسمعي عذلك ولومك . فإني وإن كنت لا أهتم لمعاني لومك أو أصغي لها ، إلا إنني أطرب كلما ورد اسم المحبوب على لسانك.

(394) ويا قاضيا في الحبّ يقضى بعدله ..... تحكّم بجور إنّني لك طائع

المفردات :

بجور : بظلم .

المعنى :

ويخاطب الجيلي هنا قاضي المحبة الذي يقضي بين المحبين بشرع المحبة قائلا ؛ وأنت يا من تحكم وتقضي عليّ في الحب ، تتوخى العدل . . . لا تعدل بل أظلمني ، وأحكم بقهري تحت طغيان محبوبي ، فستجدني لكل ما تقضي به من جور طائعا .

(395) جعلت وجودي فانيا في بقائها ..... ألا فاقض ما تقضي ، فما أنا جازع

المفردات :

في بقائها : في بقاء الحضرة الإلهية . **ألا فاقض :** الخطاب هنا للقاضي في الحب .
جازع : خائف ، قلق .

المعنى :

يكمل الجيلي خطابه لقاضي المحبة ، قائلا ؛ وكيف أطلب العدل في الحب بيني وبين المحبوب ، وأنا قد جعلت وجودي فانيا في بقاء محبوبي . . . فاقض أيها القاضي في الحب بما تقضي فإنني غير قلق ولا خائف .

(396) وحقّقت أنّي في وجودي قائم بها ، ووجودي مكرة ومخادع

المفردات :

وحققت : علمت يقينا . **قائم بها :** قائم بالحضرة الإلهية ، فالحق عزّ وجلّ هو القيوم في صور الموجودات . **مكرة :** من المكر . **مخادع :** ج . مخدع ، أي خداعة وخداع .

المعنى :

ويستنكر الجيلي أن يطلب العدل في الحب بينه وبين محبوبه ، لأنه لا وجود له والوجود كله لمحبوبه ، أي لله ، يقول ؛ وتحققت يقينا من أنّ وجودي قائم بالوجود الإلهي ؛ فالحق تعالى هو الوجود على الحقيقة والموجودات قائمة به ، معدومة بذاتها ، فكل الموجودات وجودها خيال ووهم وخداع ومكر ، والوجود الحقيقي هو لله القائم الظاهر في كل موجود.

(397) فمن مصر أرضي قد خرجت لمدين ..... لعلّ شعيب القلب فيه صدائع

المفردات :

مدين : مدينة ، قيل تقع تجاه تبوك ، نزل فيها موسى عليه السّلام حيث استقى لبنات شعيب عليه السّلام ، وقد ورد في القرآن الكريم :وَإِلى مَدْيَنَ أَخاهُمْ شُعَيْباً[الأعراف : 85] .

أما خروج الجيلي إلى مدين ففيه استعارة من خروج موسى عليه السّلام إلى مدين .

قال تعالى :وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقاءَ مَدْيَنَ قالَ عَسى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَواءَ السَّبِيلِ[القصص : 22] .

المعنى :

يبدأ الجيلي هنا باستعارة المخزون الرمزي الحيّ والمودع في قصة موسى عليه السّلام ، ليرسم بالإشارة إليه سلوكه الروحي ومسيرته الشخصية.

وحياة نبي الله موسى عليه السّلام غنية بالأحداث المحمّلة بالدلالات : فالله عزّ وجلّ كلّمه تكليما ، وتكوينه مرّ بمراحل شتى ، بدأ نشأته في بلاط ملك فرعون ، وعومل معاملة الملوك واكتسب عاداتها وطبائعها ، ثم خرج إلى مدين وكان لقاؤه بشعيب ، وقد استفاد كثيرا من السنوات العشر التي أمضاها عنده ، ثم قصته مع الخضر وما استفاده من أوجه العلم الإلهي ....

باختصار تضمّن القرآن الكريم أكثر من خمسماية آية فيها إشارة أو تورية أو إخبار عن موسى عليه السّلام .

والجيلي هنا يشير إلى خروجه من مصر أرضه ، أي من عالم بشريته وبدنيته ، إلى مدين المجاهدات والرياضات والترقي ، حتى ينصدع القلب ويتحضرّ للتلقّي .

(398) فلاقيت بنتي عادتي وطبيعتي ..... تذودان أغنامي ومائي نابع

المفردات :

فلاقيت : فلقيت في مدين . **بنتي :** الإشارة إلى بنتي شعيب ؛

قال تعالى :وَلَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودانِ[القصص : 23] .

ويرمز الجيلي هنا بالبنتين إلى : العادة والطبيعة . . . .

تذودان : تحميان . **أغنامي :** إشارة إلى جميع الحواس . **ومائي نابع :** إشارة ترمز إلى الواردات المتدفقة .

المعنى :

سوف يبدأ الجيلي بتصوير مجاهداته وارداته بالرمز الموسوي ، ويخبرنا أنه لقي في مدين المجاهدات " بنتيه " ، **وهما رمزا :** عادته وطبيعته .

والعادة والطبيعة في **" النفس الأمارة "** توجّهان حواس الإنسان إلى المحرمات ، على حين أنهما في " النفس المطمئنة " يحميان الحواس من كل التفات إلى محرم أو محظور .

والجيلي هنا ، صاحب النفس المطمئنة ، لقي في مدين المجاهدات عادته وطبيعته يحميان جميع حواسه من كل التفات إلى محرم . . .

ولقي كذلك رزقه من الواردات الإلهية يتدفّق وينبع .

(399) فسقّيت من ماء اليقين غنائمي ..... ومن رعى زهر العلم هنّ شوابع

المفردات :

غنائمي : حواسي . **زهر العلم :** زهر علم اليقين .

المعنى :

عندما حمت العادة والطبيعة حواس الجيلي عن المحرمات ، وتدفقت الواردات باليقين ...

شربت وارتوت حواسه جميعها من ماء اليقين ، وشبعت من رعي زهر علم اليقين ....

فالحواس عندما تفطم عن المحرمات تطعم وتسقى من عين اليقين .

(400) وجاءت على استحياء ذاتي بربّها ..... بتوحيدها ، إحداهما وتسارع

المعنى :

يكمل الجيلي استعارته من الرموز الموسوية المخبوءة في قصة موسى مع بنتي شعيب ، ويستلهم الآية الكريمة :فَجاءَتْهُ إِحْداهُما تَمْشِي عَلَى اسْتِحْياءٍ قالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ ما سَقَيْتَ لَنا[القصص : 25] .

فالجيلي بعد أن فطم حواسه عن المحرمات ، وارتوى وشبع من علم اليقين ، جاءته الدعوة ليسارع إلى نيل الجزاء على فعله هذا ومجاهداته .

(401) فلمّا تزوّجت الحقيقة صنتها ..... وأمهرها مني الحماة الشرائع

المفردات :

تزوجت الحقيقة : الرمز إلى حدث زواج موسى عليه السّلام بإحدى بنتي شعيب عليه السّلام . **أمهرها مني الحماة :** الإشارة إلى شعيب حين طلب المهر من موسى بقوله :أُرِيدُ أَنْ أُنْكِحَكَ إِحْدَى ابْنَتَيَّ هاتَيْنِ عَلى أَنْ تَأْجُرَنِي ثَمانِيَ حِجَجٍ[القصص : 27].

المعنى :

وكان جزاء مجاهدات الجيلي ورياضته هو وصوله إلى الحقيقة وزواجه بها أي وتحققه بها . وبعد أن تحقق بالحقيقة صانها صون الرجل لأهل بيته ، ودفع مهرها بالشرائع الإلهية ، وذلك أن مهر الحقيقة هو القيام بالشريعة وصيانتها .

(402) صعدت معالي طور قلبي مناجيا ..... لربّي حتّى إن بدت لي لوامع

المفردات :

صعدت معالي طور قلبي : الرمز من قصة موسى عليه السّلام الواردة في قوله تعالى :فَلَمَّا قَضى مُوسَى الْأَجَلَ وَسارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جانِبِ الطُّورِ ناراً[القصص : 29].

مناجيا لربه : المناجاة شكل من أشكال الخطاب الإلهي للعبد .

وفي ذلك إشارة إلى مناجاة موسى ، قال تعالى :وَنادَيْناهُ مِنْ جانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْناهُ نَجِيًّا[مريم : 52] .

لوامع : الإشارة إلى النار التي رآها موسى عليه السّلام .

المعنى :

بعد أن قضي الجيلي المهر الشرعي بدأت مظاهر القرب والتقريب الإلهي تظهر عليه ، وها هو هنا يصعد " **طور قلبه** " ويستعدّ للمناجاة والنجوى ، والإقتباس من الأنوار . وقد رمز الجيلي بالقلب إلى مكان التجلّي الإلهي ، فهو الطور والجبل ، وهو الذي يسع تجلّي الرحمن .

تاسعا الأبيات من (403) إلى (448) الجيلي يروي سيرته الروحية
الجزء الرابع

(403) وخلّفت أهلي ، وهي نفسي تركتها ..... وجئت إلى النّور الّذي هو ساطع
(404) فناداني التّوحيد : نعليك دعهما ..... فها أنا ذا للرّوح والجسم خالع
(405) وكلّمني التّحقيق من شجر الحشا ..... بأنّي بالوادي المقدّس راتع
(406) فسرت بعقلي من فناء وجوده..... إلى مجمع البحرين ، والعقل تابع
(407) هناك نسيت الحوت وهو أنيّتي ..... فسبّح في بحر الحقيقة شارع
(408)على أثري ارتدّيت حتّى لقيت من ..... هو الأصل ، إذ نقش أنا وهو طابع
(409) فلمّا تعارفنا ولم تبق نكرة ..... طلبت اتّباعا كي يفوز متابع
(410) فأغرق في بحر الإله سفينتي ..... وخرّ غلام الشّرك إذ هو خادع
(411) وجاز بلاد الله قرية غربة..... وفيها لقلبي منحنى وأجارع
(412) أردنا إضافات ، أبوا أن يضيّفوا ..... لتسدل في وجه البدور براقع
(413) هناك جدار الشّرع خضري أقامه ..... لئلّا ترى بالعين تلك الشّرائع
(414) فإن فهمت أحشاك ما قلت مجملا ، ..... وإلّا فبالتّفصيل ما أنا صادع
(415) رأيت قيامي راجعا نحو ربّه ..... فقهقرت منّي للحبيب مراجع
(416) فعاينت أنّي كنت في العلم ثابتا .....وللحقّ علم الحقّ في الحكم تابع
(417) وبالعلم فالمعلوم أيضا فملحق ..... وليس لهذا الحكم في العقل رادع
(418) فحينئذ حقّقت أنّي نفحة..... من الطّيب ، طيب الله في الخلق ضائع
(419) وما النّشر غير المسك فافهم إشارتي..... بعيشك ، فالتّصريح للسّر ذائع
(420) فشاهدت ليلى في مرآة قيسها ..... وعاينت بشرا في بثينة ساطع
(421) ولا حظت في فعلي قضاء مرادها..... وأبصرت صنعي أنّها هي صانع
(422) تحرّكني مستورة بأنيّتي ..... وما سترها إلّا لما فيّ مانع
(423) وسلّمت نفسي حيث أسلمني القضا..... وما لي مع فعل الحبيب تنازع
(424) فطورا تراني في المساجد عاكفا ..... وأنّي طورا في الكنائس راتع
(425) أراني كآلالات وهو محرّكي ..... أنا قلم والاقتدار أصابع
(426) ولست بجبري ولكن مشاهد ..... فعال مريد ما له من يدافع
(427) فآونة يقضى عليّ بطاعة ..... وحينا بما عنه نهتنا الشّرائع
(428) لذاك تراني كنت أترك أمره ..... وآتي الّذي ينهاه والجفن دامع
(429) ولي نكتة غرّا ، هنا سأقولها..... وحقّ لها أن ترعويها المسامع
(430) هي الفرق ما بين الوليّ وفاسق ..... تنبّه له ، فالسر فيه فظائع
(431) وما هو إلّا أنّه قبل وقعه ..... يخبّر قلبي بالّذي هو واقع
(432) فأجني الّذي يقضيه فيّ مرادها ..... وعيني له قبل الفعال تطالع
(433) وكنت أرى منها الإرادة قبل ما ..... أرى الفعل منّي ، والأسير مطاوع
(434) فآتي الّذي تهواه منّي ، ومهجتي ..... لذلك في نار حوتها الأضالع

(435) وإن كنت في حكم الشّريعة عاصيا ..... فإنّي في حكم الحقيقة طائع
(436) وكم ركبت نفسي من الهول مركبا ..... فيا درّها لله كيف تصادع
(437) وكانت إذا قد هال أمر وعاينت ..... إرادة من تهوى ، أتته تسارع
(438) وكم جرّدوا للحرب فاستسلمت لها..... إرادته ، حتّى ازدرتها الوقائع
(439) وكم داسها نعل على أمّ رأسها ..... فلما تولّت ، أقبلت "وهي خاضع
(440) وكم كان صدري للنّبال عريضة..... وعرضي لسهم الطّاعنين مواقع
(441) وكم كنت أيضا للمراد مجرّدا ..... من الغمد سيفا للدّما وهو ناشع
(442) وكمّ هجت نارا للوغى بين عترتي..... وبيني وبين الغير والأمر شائع
(443) وكم قبّلت رجلي فم فضربتها ..... به عامدا إضرارها ومقاطع
(444) وكلّ الّذي آتيه ، آتيه ناظرا ..... لمثبته في اللوح ، إنّي تابع
(445) ولمّا مضى ليلي وولّت نجومه ..... وأشرق شمسي في الألوهة ساطع
(446) سلبت إرادتي وحولي وقوّتي ..... وكلّ وجودي والحيا والمجامع
(447) فنيت بها عنّي فما لي أنيّة ..... هويّة ليلى للأنيّات قامع
(448) وكنت كما إن لم أكن وهو أنّه..... كما لم يزل ، فرد وللكلّ جامع

شرح الأبيات :-

(403) وخلّفت أهلي وهي نفسي تركتها ..... وجئت إلى النّور الّذي هو ساطع

المفردات :

وخلّفت أهلي : تركتهم ورائي . وفي ذلك إشارة إلى موسى عليه السّلام قال تعالى :قالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِخَبَرٍ[القصص : 29] . إِذْ رَأى ناراً فَقالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي آنَسْتُ ناراً لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْها بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدىً[طه : 10] .

وهي نفسي : الأهل هم رمز النفس ، فالجيلي هنا يترك نفسه قبل أن يندفع إلى النور الذي هو ساطع

المعنى :

لما صعد الجيلي طور قلبه وبدت له لوامع النور الإلهي ، ترك نفسه [رمز الأهل] واندفع بكليته للنور الذي هو ساطع.

(404) فناداني التّوحيد نعليك دعهما ..... فها أنا ذا للرّوح والجسم خالع

المفردات :

نعليك : النعلان هنا كناية عن الروح والجسم ، ويقابلهما في قصة موسى عليه السّلام قوله تعالى :فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ يا مُوسى ..... إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوادِ الْمُقَدَّسِ طُوىً[طه : 11 و 12] . **خالع :** تارك .

المعنى :

إن توحيد الله عند الجيلي يفرض عليه ويناديه أن يترك روحه وجسمه [رمز النعلين] ، وذلك حتى يصبح موحّدا حقيقيا .
فالموحد هو الذي يخلع عنه وجود روحه ووجود جسمه ليصبح وجودا صرفا لله .
بعد أن ترك الجيلي نفسه في البيت السابق وسارع إلى النور الساطع ، إذا بنداء التوحيد يدعوه إلى خلع روحه وجسمه أيضا ، فيسارع الجيلي إلى تركهما حتى يدخل الوادي المقدس مبرّأ عن النفس والروح والجسم .

(405) وكلّمني التّحقيق من شجر الحشا ..... بأنّي بالوادي المقدّس راتع

المفردات :

وكلمني التحقيق : التحقيق إشارة إلى تحقق الجيلي بالتوحيد ، حيث أصبح موحدا لله تاركا لنفسه ولبدنه ولروحه . . .
ويقابله في قصة موسى قوله تعالى :وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسى تَكْلِيماً[النساء : 164] .
من شجر الحشا : الشجر موجود في الآفاق ، والحشا هو الأعماق . ففي عطفهما يكون تكليم التحقيق للجيلي إما من داخل الحشا أي من جانب الروح ، وإما أن الحشا شجر أمام ناظريّ الجيلي . . .
ويقابل شجر الحشا شجرة موسى في قوله تعالى :فَلَمَّا أَتاها نُودِيَ مِنْ شاطِئِ الْوادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يا مُوسى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعالَمِينَ [القصص : 30].

المعنى :

بعد أن تحقق الجيلي بالتوحيد وأصبح موحّدا مخلّصا من شوائب النفس والروح والجسم ، كلّمه التحقيق من جانب الروح وعرّفه بأنّه الآن في الوادي المقدس يتنعم .....
واد تقدّس أن تدوسه " أنا " ، سواء تمثلت في نفس أو في روح أو في بدن.

(406) فسرت بعقلي من فناء وجوده ..... إلى مجمع البحرين والعقل تابع

المفردات :

إلى مجمع البحرين : مجمع البحرين إشارة إلى بحري العلوم الكشفية والعلوم الكسبية أو العلم العقلي والعلم اللدني . . . والترميز من قصة موسى عليه السّلام ، يقول تعالى :وَإِذْ قالَ مُوسى لِفَتاهُ لا أَبْرَحُ حَتَّى أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُباً[الكهف : 60]
والعقل تابع : المعرفة العقلية تابعة للمعرفة اللدنية .

المعنى :

بعد أن وحّد الجيلي ربّه وترك للتوحيد نفسا وروحا وجسما ، سار بعقله من فناء العلوم العقلية إلى مجمع بحريّ العلوم العقلية والعلوم الكشفية . . .

والعقل في الواقع هو تابع يتتبّع استدلالاته المنطقية في البداية ، وحين تتضح له وتتكشف معاني العلوم اللدنية لا يملك لها إلا اتباعا ، كما في قصة الخضر مع موسى عليهما السلام ،
ففي البداية تتبّع موسى عليه السلام استدلالات تفكيره العقلي ، وحين كشف له الخضر عليه السّلام عن أسرار هذه المظاهر ، سكت العقل واتّبع .

(407) هناك نسيت الحوت وهو أنيّتي ..... فسبّح في بحر الحقيقة شارع

المفردات :

الحوت : الحوت في قصة موسى وفتاه هو بقية سمكة كانت طعامهما . **أنيتي :** وجودي المحسوس العيني . **فسبح :** من السباحة ، والإشارة هنا إلى قصة موسى عليه السّلام ، التي وردت في قوله تعالى :فَلَمَّا بَلَغا مَجْمَعَ بَيْنِهِما نَسِيا حُوتَهُما فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَباً[الكهف : 61] .

المعنى :

وكما كان نسيان الحوت عند مجمع البحرين علامة لموسى فرجع إلى حيث التقى بالخضر .
كذلك كان نسيان الأنية [رمز الحوت] للجيلي عند مجمع بحري العلوم الكشفية الذوقية والعلوم الكسبية العقلية هو علامة ليرجع إلى مجمع البحرين الذي هو مكان اللقاء الموعود .

(408) على أثري ارتدّيت حتّى لقيت من ..... هو الأصل إذ نقش أنا وهو طابع

المفردات :

على أثري ارتديت : رجع الجيلي إلى حيث نسي أنيته في مجمع البحرين ، والترميز من قصة موسى عليه السّلام التي وردت في قوله تعالى :قالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَما أَنْسانِيهُ إِلَّا الشَّيْطانُ أَنْ أَذْكُرَهُ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَباً ..... قالَ ذلِكَ ما كُنَّا نَبْغِ فَارْتَدَّا عَلى آثارِهِما قَصَصاً[الكهف : 63 و 64] .

حتى لقيت من هو الأصل : إشارة إلى لقاء الجيلي بالإنسان الكامل أي النبي صلّى الله عليه وسلم ، والذي على صورته الصفاتية والخلقية ينتقش كل كامل كالجيلي وغيره .
والاستفهام من قصة موسى عند لقائه الخضر
قال تعالى :فَوَجَدا عَبْداً مِنْ عِبادِنا آتَيْناهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنا وَعَلَّمْناهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْماً [الكهف : 65]

المعنى :

بعد أن نسي الجيلي أنيّته عند مجمع البحرين ، وكان هذا النسيان هو علامة اللقاء الموعود ، رجع إلى مجمع البحرين إلى حيث نسي الأنية.

وهناك لقي الجيلي من هو أصل وجوده الروحي الكامل وأصل الوجود الديني لكل مسلم .
وهو الأصل الذي على صورته الصفاتية والخلقية طبع الجيلي وكل كامل في الإسلام . . .
هذا الأصل هو الكامل الأول ، الكامل بالذات الممد بالكمال الصفاتي لكل تابع ، وهو النبي صاحب الشريعة صلّى الله عليه وسلم

(409) فلمّا تعارفنا ولم تبق نكرة ..... طلبت اتّباعا كي يفوز متابع

المفردات :

طلبت اتباعا : طلب الجيلي اتباع النبي صلّى الله عليه وسلم ، ويقابله طلب موسى متابعة الخضر :قالَ لَهُ مُوسى هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْداً[الكهف : 66] .

كي يفوز متابع : تأكيد على أن العلم الإلهي ينال بالإتّباع والتعليم وليس بالإستنباط العقلي .

المعنى :

فلما توضحت المراتب وتميز المتبوع من التابع ، طلب الجيلي اتباع النبي صلّى الله عليه وسلم . . .
وذلك أن الإنسان لا يفوز بالعلم اللدني إلا بالاتباع النبوي لأنه علم لا يستنبط بالتفكير العقلي والإستدلال والاستقراء بل هو رزق إلهي يقسمه الله عزّ وجلّ للعبد المتقي ،وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ[البقرة : 282] .
والتقوى اتباع نبوي ، فالبشر لا يعلمون مراد الله عزّ وجلّ منهم إلا بإعلام النبي لهم ، ولا يصلون إلى رضى الحق عزّ وجلّ ومحبته إلا باتباع النبي صلّى الله عليه وسلم .قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ[آل عمران : 31]..

(410) فأغرق في بحر الإله سفينتي ..... وخرّ غلام الشّرك إذ هو خادع

المفردات :

فأغرق في بحر الإله سفينتي : فأغرق النبي صلّى الله عليه وسلم - الأصل الطابع - في بحر الإله سفينة الجيلي . والمرجعية الرمزية هي قصة موسى وخرق الخضر للسفينة .
قال تعالى :فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا رَكِبا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَها قالَ أَ خَرَقْتَها لِتُغْرِقَ أَهْلَها لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً إِمْراً. [الكهف : 71] .
وخرّ غلام الشرك : الإشارة إلى قتل الخضر للغلام :فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا لَقِيا غُلاماً فَقَتَلَهُ قالَ أَ قَتَلْتَ نَفْساً زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئاً نُكْراً[الكهف : 74].

المعنى :

فأغرق النبي صلّى الله عليه وسلم في بحر الإله سفينة الجيلي ، وهذا الفعل الرمزي هو تعليم للجيلي بألا يطلب السلامة في بحر الحب الإلهي هذا من ناحية .
ومن ناحية ثانية إن خرق السفينة هو رمز لخرق الأسباب وبالتالي تعليم للجيلي بألّا يتوكل على الأسباب فقط ، بل يداخل بين المشيئة الإلهية والأسباب البشرية .
أما غلام الشرك فهو إشارة إلى الوجود الإنساني ؛ فعندما يسلّم الإنسان وجوده للإرادة الإلهية يكون بذلك قد قتل غلام الشرك في أعماقه ، ولم يبق فيه وجود يشارك الله وينازعه الإرادة والمشيئة .
وفي كل الأحوال يظن الإنسان - وهو مخدوع - بأن في الوجود إرادتين ومشيئتين ، ويغيب عن معنى قوله تعالى :وَما تَشاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشاءَ اللَّهُ[الإنسان : 30].

(411) وجاز بلاد الله قرية غربة ..... وفيها لقلبي منحنى وأجارع

المفردات :

وجاز بلاد الله قربة غربة : الإشارة إلى قصة موسى والخضر الواردة في قوله تعالى :فَانْطَلَقا حَتَّى إِذا أَتَيا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَما أَهْلَها فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُما فَوَجَدا فِيها جِداراً يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقامَهُ[أي الخضر عليه السّلام] [الكهف : 77] .

المعنى :

بعد أن قطع الجيلي حبل الأسباب ، وقتل في أعماقه غلام الشرك بدأت مسيرته في بلاد الله.

(412) أردنا إضافات ، أبوا أن يضيّفوا ..... لتسدل في وجه البدور براقع

المفردات :

أبوا : أبى أهل القرية .

المعنى :

بعد أن جاز الجيلي بلاد الله بصحبة النبي صلّى الله عليه وسلم ، أتيا قرية واستطعما أهلها فأبى أهل القرية أن يضيفوا الجيلي . . . حدث رمزي يجد تفسيره في أن الحقائق لا تقال ، تعلم ولا تقال .
فما من متحقق وأصل يضيّف سالكا ويطعمه من أقوال الحقيقة . . . وهكذا تظل بدور الحقائق مستترة في الوجدان تتكشف للبيان من خلف ستور الألفاظ الشرعية .

(413) هناك جدار الشّرع خضري أقامه ..... لئلّا ترى بالعين تلك الشّرائع

المفردات :

جدار الشرع خضري أقامه : إقامة جدار الشرع على كنوز الشريعة يقابله إقامة الخضر عليه السّلام للجدار . **خضري :** خضر الجيلي هو النبي صلّى الله عليه وسلم ، فكأنه يريد أن يقول : نبيي .

المعنى :

كما أن الكنز الذي أقام عليه الخضر الجدار كان يخص قصارا أراد الله عزّ وجلّ أن يبلغا أشدّهما قبل ظهوره .
كذلك فإن الشرائع كنوز لن يستطيع الإنسان الاستفادة منها وصيانتها إلا إذا بلغ أشدّه .
لذلك ، فالنبي صلّى الله عليه وسلم أقام جدار الشرع على كنوز الشريعة ، حتى يبلغ الإنسان العابد العامل أشدّه ويتنعّم بكنوز الشريعة ...
وكثيرا ما دافع الصوفية عن مقولة أن العبادات من صلاة وصوم وزكاة وحج ، وإن كانت في البداية تكليفا وعبئا ومشقة ، إلا أن الإنسان إذا بلغ أشدّه في العبادات ، تمتّع بها وسقط عنه الإحساس بأنها عبء وتكليف ومشقة وأصبحت لديه قرّة عين وتنّعم ونعيم .

(414) فإن فهمت أحشاك ما قلت مجملا ، ..... وإلّا فبالتّفصيل ما أنا صادع

المفردات :

مجملا : الإجمال ، هو جمع المعاني المتعددة في قول واحد ، جمعا يكون أقرب إلى الرموز والإشارات منه إلى البيان . **ما أنا صادع :** ما أنا قائل.

المعنى :

هنا أنهى الجيلي رموزه الموسوية : لقاؤه بشعيب ، تدريبه وإعداده ، ثم تقريبه وتكليمه ، ثم لقاؤه بالخضر وتكشف العلم اللدني ...
لذلك يطلب من القارئ أن يفتح مغاليق الألفاظ ، ولا يطمع من الجيلي بالتفصيل والتصريح في القول .

(415) رأيت قيامي راجعا نحو ربّه ..... فقهقرت منّي للحبيب مراجع

المفردات :

قيامي : وجودي ، الموجود القائم . **فقهقرت مراجع :** رجعت القهقرى .

المعنى :

بعد التحضير والتكوين ، والتقريب ، والتكليم ، والتفهيم ، والتعليم ، يتقدم الجيلي ليعلم مقامه في مراتب الوجود ويشاهده ، فيرى ويشهد أن وجوده وقيامه يعود إلى الحق عزّ وجلّ ...
فيتراجع عن وجوده ، ويتقهقر أمام الوجود الإلهي القاهر الذي يفني خلقه .

(416) فعاينت أنّي كنت في العلم ثابتا ..... وللحقّ ، علم الحقّ في الحكم ، تابع

المفردات :

فعاينت : رأيت بالعين . **في العلم :** في العلم الإلهي . **ثابتا :** حكم الوجود الإنساني في العلم الإلهي هو الثبوت ، وهو نوع من وجود ماهوي في مقابل وجودنا العيني

الملموس في العالم . وللحق ، علم الحق في الحكم ، **تابع :** أي أن علم الحق يتبع الحق عزّ وجلّ في الحكم .
وهنا يخالف الجيلي جزئيا موقف ابن عربي الذي يرى أن العلم يتبع المعلوم .

المعنى :

حين شهد الجيلي أن وجوده يرجع إلى الحق ، عاين أنّه ماهية ومعنى ثابت في العلم الإلهي . وبما أن الإنسان صفته الثبوت في العلم الإلهي فهو لا يملك ذاته ملكية ذاتية ، بل يعود بوجوده إلى الله ، لأن العلم يتبع العالم .

(417) وبالعلم فالمعلوم أيضا فملحق ، ..... وليس لهذا الحكم في العقل رادع

المفردات :

فالمعلوم أيضا فملحق : المعلوم يلحق أيضا العلم ، أي أن المعلوم يظهر في العالم على الحال التي كان عليها ثابتا في العلم الإلهي .
في العقل رادع : ما يمنعه العقل .

المعنى :

بعد أن شاهد الجيلي تبعيّة العلم الإلهي لله ، يرى هنا أن المعلوم ملحق بالعلم . . . وليس هناك من مانع عقلي يمنع الجيلي من اعتقاد هذا الشهود الذي ملخصه : إن المعلوم - وهو هنا المخلوق - يتبع العلم الإلهي ، والعلم الإلهي بدوره يتبع الحق فكل شيء إذن للحق تابع .

(418) فحينئذ حققت أنّي نفحة ..... من الطّيب ، طيب الله في الخلق ضائع

المفردات :

فحينئذ : حين عاينت ثبوتي في العلم الإلهي وتبعيّتي في الظهور لهذا العلم . **ضائع :** منتشر .

المعنى :

حين عاين الجيلي ثبوته في العلم الإلهي ، وتحقق أنه في ظهوره تابع لهذا الثبوت ، تأكد لديه أنه نفحة من الطيب الإلهي المنتشر في المخلوقات .

(419) وما النّشر غير المسك فافهم إشارتي ..... بعيشك ، فالتّصريح للسّر ذائع

المفردات :

النشر : رائحة المسك . **بعيشك :** قسم بمعنى أحلّفك بعيشك . **للسر ذائع** : يذيع السر .

المعنى :

يخاطب الجيلي السامع بقوله ؛ وهل رائحة المسك غير المسك ؟ ! افهم أيها السامع إشاراتي هذه ، فإنها من الأسرار . وأنا لن أصرح لك بالقول ، لأن التصريح يذيع الأسرار .

(420) فشاهدت ليلى في مرآة قيسها ..... وعاينت بشرا في بثينة ساطع

المفردات :

ليلى ، بثينة : رمز المحبوبة المعشوقة . قيس ، **بشر :** رمز المحب العاشق . **ساطع :** ظاهر .

المعنى :

وحين تحقق الجيلي من أن رائحة المسك ليست غير المسك ، شاهد المحبوب في مرآة المحبّ ، وعاين المحبّ ظاهرا في المحبوب.

(421) ولا حظت في فعلي قضاء مرادها ..... وأبصرت صنعي أنّها هي صانع

المفردات :

في فعلي : في جميع أفعالي . **قضاء مرادها :** إني أنفذ الإرادة الإلهية . **أنها هي صانع :** إن الحق هو الصانع الحقيقي والفاعل الحقيقي من خلف حجاب الكائنات .

المعنى :

ولاحظ الجيلي أنه في جميع أفعاله إنما هو ينفذ مراد الإرادة الإلهية . . . وأبصر أن الحقّ تعالى هو الصانع وهو الفاعل الحقيقي من خلف حجاب فعل الكائنات .

(422) تحرّكني مستورة بأنيّتي ..... وما سترها إلّا لما فيّ مانع

المفردات :

تحركني : أي الإرادة الإلهية . مستورة بأنيتي : من خلف حجاب وجودي الملموس .

مانع : أي ما يمنع الإرادة الإلهية من الظهور للعيان .

المعنى :

ويرى الجيلي أن الإرادة الإلهية هي التي تحركه من خلف حجاب وجوده الملموس .... وما انحجابها عن الظهور للعيان إلا لأشياء - أو لأمور - به منعتها من الظهور وحجبتها .

(423) فسلّمت نفسي حيث أسلمني القضا ..... وما لي مع فعل الحبيب تنازع

المفردات :

تنازع : لا أنازع أفعال الحق ، أي لا فعل لي .

المعنى :

يتابع الجيلي كلامه في وحدة الإرادة في الكون ، فيقول ؛ سلمت نفسي للقضاء الإلهي ليقضي فيّ بما يشاء . . . فأنا لا أنازع الحبيب أفعاله ، وليس لي فعل مع فعل الله تعالى .

(424) فطورا تراني في المساجد عاكفا ..... وأنّي طورا في الكنائس راتع

المفردات :

المساجد : يرمز الجيلي هنا بالمساجد إلى أماكن العبادة الشرعية الإسلامية ، فالمسجد رمز الطاعة والعبادة والعمل للآخرة .

الكنائس : يرمز الجيلي هنا بالكنائس : إما إلى أماكن عبادة المسيحيين الشرعية ، وإنه على الرغم من أنه لا يحق للمسلم مشاركتهم عباداتهم الشرعية ، إلا أنه كلّما ذكر الله أمامه ، وإن كان الذاكر واحدا من أهل الكتاب ، فإنه يتنّعم بذكر الله.

وإما يرمز الجيلي بالكنائس هنا إلى التنعّم بالملاهي والرتع في الدنيا .

المعنى :

يقول الجيلي إنه طورا يعتكف في المساجد يتعبد الله عزّ وجلّ ، وطورا يتنعم في الكنائس بذكر الله عزّ وجلّ ، لأن المذكور واحد وإن تعددت اللغات .

أو لعله يقصد أنه يتنعم في الكنائس بحمد الله عزّ وجلّ على نعمة الإسلام وسلامة العقيدة .

وهنا يلامس الجيلي قضية هامة ، فالمسلم لا يستطيع أن يتعبد الله عزّ وجلّ إلا بشريعة محمد صلّى الله عليه وسلم ، إلا أنه كمؤمن بالله عزّ وجلّ وبكتبه وبرسله ، يمكن أن يتنّعم بذكره تعالى كلّما ذكره الذاكرون على اختلاف شرائعهم الإلهية المنزلة ، وعلى تنوّع أماكن وجودهم ، أي يتنعّم المؤمن بذكر الله عزّ وجلّ أيّا كان الذاكر وأينما كان الذكر.

(425) أراني كآلالات وهو محرّكي ..... أنا قلم والاقتدار الأصابع

المفردات :

وهو : أي الحق عزّ وجلّ . **الاقتدار :** القدرة الإلهية .

المعنى :

يخبرنا الجيلي بأنه للحبيب ، يفعل به ما يشاء ، ويجعله حيث يشاء ، حتى صار يرى نفسه كآلة يحركها الحق عزّ وجلّ ، أو كقلم ولكنه ممسوك بأصابع القدرة الإلهية تكتب به ما تشاء .

(426) ولست بجبري ولكن مشاهد ..... فعال مريد ما له من يدافع

المفردات :

ولست بجبري : لا أعتقد كما يعتقد اتباع الفرقة الجبرية الذين يقولون بأن الإنسان مجبر في كل أفعاله ولا قدرة له أصلا ، والذين يتهمهم الصوفية بأنهم بذلك يحملون الإرادة الإلهية عبء ووزر أفعالهم الإنسانية .

مشاهد فعال مريد : أطلعني الحق عزّ وجلّ وأشهدني مراد إرادته قبل وقوع هذا المراد في عالم الظاهر والشهادة .

ما له من يدافع : أفعاله عزّ وجلّ لا يدفعها دافع ولا يمنعها مانع ، قال تعالى :إنَّما أَمْرُهُ إِذا أَرادَ شَيْئاً أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ[يس : 82] .

المعنى :
ينبهنا الجيلي إلى أنه لا يحب أن يتبادر إلى ذهننا من كلامه أنه من أتباع الفرقة الجبرية ، بل هو صاحب إرادة ويتمتع بإرادة ، إلا أنه كشف عن عين بصيرته فشاهد أن أفعال المريد عزّ وجلّ نافذة في الخلق جميعا لا يمنعها مانع ، فسكن أمام هذا الشهود واستسلم لإرادة المريد عزّ وجلّ.

(427) فآونة يقضى عليّ بطاعة ..... وحينا بما عنه نهتنا الشّرائع

المفردات :
يقضي عليّ : يلمّح الجيلي هنا إلى أن طاعة الله عزّ وجلّ ومعصيته إنما هما بقضاء إلهي .

المعنى :
فأحيانا يقضي الله عزّ وجلّ على الجيلي بالموافقة والطاعة ، وحينا يكون قضاؤه تعالى المعصية والمخالفة ...
والجدير بالإنتباه هنا أن الجيلي لا يربط المعصية بالإرادة الإلهية ، فالله عزّ وجلّ لا يريد معصية عبده ولكن قد يقضي عليه بمعصية . . .
والقضاء بلاء وامتحان إلهي للعبد ، وعلى العبد أن يعرف كيف يتحمل البلاء على ضوء الشريعة الإلهية ، فيشكر في النعم والطاعة ويستغفر في المحن والمعصية ، حتى يبدّل الله عزّ وجلّ الحال إلى أحسن الحال.

(428) لذاك تراني كنت أترك أمره ..... وآتي الذي ينهاه والجفن دامع

المفردات :
أترك أمره : التكليفي ، أي الأوامر الشرعية . **وآتي الذي ينهاه :** أي النواهي الشرعية ، وتجدر الإشارة هنا إلى أن أقطاب الصوفية أمثال الجيلي ينظرون أحيانا إلى المباحات على أنها ذنوب وسيئات وكثيرا ما يرددون هذه المقولة الصوفية :
" حسنات الأبرار سيئات المقربين " .

المعنى :
وحين كان يبتلي الحق عزّ وجلّ الجيلي ويقضي عليه بمعصية (كأن يتخلف مثلا عن وقت صلاة أو غيرها) ، كان يترك الطاعة ويأتي المعصية وجفنه يدمع .
وهذه الدموع هي علامة على أن قلب الجيلي لا يستهتر بالذنب بل هو حزين لأن الحق عزّ وجلّ جعله محلا للذنب ، وعلامة أيضا على أن قلب الجيلي لا يلتفت إلى الذنب متلذذا به بل العكس يلتفت من ظلمة الذنب إلى الغفار يطلب المغفرة والعفو ويطلب تبديل الحال .

(429) ولي نكتة غرّا ، هنا سأقولها ..... وحقّ لها أن ترعويها المسامع

المفردات :

نكتة غرا : إشارة غراء . **وحق لها :** يحق لها وتستحق . **ترعويها :** ارعوى عن القبيح بمعنى انزجر عنه وتركه ، وحيث أن المعنى هنا لا ينسجم مع الانزجار والترك فلعل الجيلي قد نحت لفظا من كلمتين دمجهما معا ، وهاتان الكلمتان هما الفعلان :
" رعى " و **" وعى "** ، **فأصبحت ترعويها** بمعنى : ترعاها وتعيها .

المعنى :

عندما تكلم الجيلي عن الذنب الذي يصيب الولي يقول للقارئ ؛ وأريد هنا أن أنبهك إلى قضية أو إلى إشارة وعليك أن ترعاها وتعيها.

(430) هي الفرق ما بين الوليّ وفاسق ..... تنبّه له ، فالأمر فيه بدائع

المفردات :

هي الفرق : هذه النكتة أو هذه الإشارة هي التي تفرّق . وفاسق : يجد الجيلي أن الفسق معناه الفساد ، فيقال فسقت البيضة إذا فسدت ولم تصلح للتفريخ . بدائع : معان مبتدعة ومبتكرة .

المعنى :

يكمل الجيلي هنا حديثه مع القارئ ، وبعد أن قال له في البيت السابق أريد أن أنبهك إلى قضية هامة وعليك أن تعيها ، يقول له هنا ؛ إن هذه القضية الهامة هي التي تفرّق بين إنسان هو ولي من أولياء الله وبين آخر هو فاسق من الفسّاق .
فتنبّه إلى هذه الإشارة لأنني سآتيك بمعان مبتكرة مبتدعة لم ينبّه عليها قبلي إنسان .
وهذه الإشارة سيفصّلها الجيلي في الأبيات اللاحقة .
ونستأنس هنا بما قاله في كتابه الإنسان الكامل عن الموضوع نفسه ، لنقول ؛ إنّ الجيلي يؤكد على ظاهر الفعل في الإنسان ولا يقبل أبدا أن يحتجّ الفاعل للمعصية بأنه مسلوب الحول والقوة والإرادة .
بل يقول صراحة إنه لو أتى إنسان فعلا يخالف الأمر والنهي الإلهي ومهما كانت رتبة هذا الإنسان ، فليس لنا أن ننظر في صدقه مع الله أو كذبه على الناس ، بل يلزم علينا أن نقيم عليه الحد إن افترض فعله إقامة الحد . وطبعا إقامة الحد على العاصي لا تتنافى مع تسليمنا بصدقه إن كان صادقا ، ولكن اعتقادنا بصدقه لا يسقط عنه الحد
[راجع الإنسان الكامل ج 1 / ص43 ،ص 35]

(431) وما هو إلّا أنّه قبل وقعه ..... يخبّر قلبي بالّذي هو واقع

المفردات :

قبل وقعه : قبل وقوع الأمر في عالم الشهادة . **يخبر قلبي :** يعلم قلبي أو يلهم ، أو يشاهد بطريق الإخبار الإلهي . **بالذي هو واقع :** بما سيقع .

المعنى :

والفرق بين الولي والفاسق ، أن الولي قبل أن تقع منه المعصية أو الذنب في عالم الشهادة الظاهر ، يخبّر قلبه بأنه سينزل به بلاء الذنب ، فيتحضّر بالمناسب الشرعي لوقوع القضاء عليه ......
فالولي لا يخرج عن الشريعة الإلهية سواء أكان محلا لطاعة أو لمعصية ، لأنه في الطاعة يكون شكورا وفي المعصية يكون مستغفرا تائبا .

(432) فأجني الّذي يقضيه فيّ مرادها ..... وعيني له قبل الفعال تطالع

المفردات :

فأجني : فيصيبني . **مرادها :** مراد الإرادة الإلهية . **وعيني له :** لله عزّ وجلّ .

المعنى :

وحين كان يخبّر قلب الجيلي بما سينزل به من بلاء المعصية ، كان لا يملك إلا أن يتلقى قضاء الإرادة الإلهية ، وعينه قبل وقوع القضاء تنظر إلى القاضي به عزّ وجلّ .

(433) وكنت أرى منها الإرادة قبل ما ..... أرى الفعل منّي والأسير مطاوع

المفردات :

أرى منها الإرادة : أرى توجه الإرادة الإلهية إلى طلب الفعل . **قبل ما أرى الفعل مني :** قبل وقوع الفعل مني .

المعنى :

يرى الجيلي مراد قضاء الإرادة الإلهية به ، وذلك قبل أن يحدث منه الفعل ، أي قبل نفاذ القضاء فيه ....
وحاله هو حال الأسير الذي يطيع أوامر سيده ، وهنا السيد هو القضاء.

(434) فآتي الّذي تهواه منّي ، ومهجتي ..... لذلك في نار حوتها الأضالع

المفردات :

تهواه : تطلبه وتقضيه الإرادة الإلهية . **لذلك :** لذلك الفعل .

المعنى :

وكان الجيلي يفعل ما تقضيه فيه الإرادة الإلهية ، وقلبه يحترق بالنار المشتعلة بين الأضالع لأنه آت هذه الأفعال ....
وهذا الفرق بين الفاسق وبين الولي ، فالفاسق يتملّص من مسؤولية فعل المعصية بقوله مثلا : هذه إرادة الله ، أما الولي فإنه يشتعل نارا وهو يرى أنه محل للمعصية ويعمل على تبديلها بالتوبة والاستغفار وطلب الطاعات .

(435) وإن كنت في حكم الشّريعة عاصيا ..... فإنّي في حكم الحقيقة طائع

المفردات :

إن كنت في حكم الشريعة عاصيا : إذا نظر الناظر إلى ظاهر أفعالي وحكم علي بأحكام الشريعة فسيجدني عاصيا .
فإني في حكم الحقيقة : إذا دقق الناظر نظره في فعلي فسيجدني طائعا للأمر الإلهي ، لأنني أتقبل نزول البلاء والقضاء بالمناسب الشرعي ، فأصبر عند البلاء وأشكر عند العافية .

المعنى :

يقول الجيلي بأنه إن نظر ناظر إلى ظاهر فعله يحكم عليه بأنه عاص ، ولكن إن دقّق النظر في فعله وتحقق من باطنه وجوهره فسيجده طائعا ....
وهنا أبدع الجيلي حين خرج عن الحوار القائم حول الشريعة والحقيقة .
ففي الواقع ليس ثمة قانونين يعيش في ظلالهما الإنسان المسلم : قانون الشريعة الظاهر ، وقانون الحقيقة الباطن .
بل هو قانون واحد في الإسلام وهو الشريعة ، ولكن الظاهر والباطن هما للفعل الإنساني وليس للقانون الإلهي .
إذا نظرنا - مثلا -إلى ظاهر فعل الإنسان فقد نحكم عليه بأنه عاص ، وإن نظرنا إلى باطن فعله وتحققنا منه فقد نغيّر حكمنا عليه ونرى أنه طائع لله .
ولذلك قال رسول الله صلّى الله عليه وسلم : الحكم بالظاهر والله أعلم بالسرائر . . . .
ومن هنا ينتقد الملامتيون الذين يتخذون من هدم الظاهر وسيلة وسبيلا لحفظ الباطن وصيانته ، وليس الظاهر هنا بمعنى الشريعة ، إذ لا يملك مسلم أن يهدم الشريعة ، بل يهدمون ظاهر أفعالهم ويحطمون صورتهم في أعين الناس حتى يسلموا من الأنانية وحظوظ النفس.

(436) وكم ركبت نفسي من الهول مركبا ..... فيا درّها لله كيف تصادع

المفردات :

فيا درها : لله درها ، دعاء بمعنى : أفاض الله عليها الخير . **كيف تصادع** : كيف تصدع للأمر ، كيف تسارع إلى طاعة الأمر .

المعنى :

يشكر الجيلي نفسه ويثني عليها ، فيقول ؛ جزى الله نفسي كل خير ، كيف أنها تركب الأهوال ، وتصدع للأمر الإلهي حتى يتم فيها تنفيذ القضاء.

(437) وكانت إذا قد هال أمر وعاينت ..... إرادة من تهوى ، أتته تسارع

المفردات :

قد هال أمر : أخافها أمر . **أتته تسارع :** أسرعت طاعة للإرادة الإلهية .

المعنى :

يفصّل الجيلي أوصاف نفسه التي استحقت الشكر فيقول ؛ وكانت نفسي إذا أخافها أمر ، لم تنظر إلى ما يخيفها بل تنظر إلى إرادة القاضي به ، وهو الحبيب ، فتأتيه طائعة .

(438) وكم جرّدوا للحرب فاستسلمت لها ..... إرادته ، حتّى ازدرتها الوقائع

المفردات :

فاستسلمت لها : فاستسلمت للإرادة الإلهية . **إرادته :** إرادة السالك .
ازدرتها : احتقرتها . **الوقائع :** الأحداث.

المعنى :

يتابع الجيلي تصوير مواقف نفسه التي استحقت الشكر فيقول ؛ وكم تعرّضت هذه النفس لحرب الحياة ....
فكانت دائما تستسلم إرادة السالك لإرادة الحق تعالى . . . حتى احتقرتها الأحداث ، لأنها لا تجابه ولا تخوض المعارك وتجاهدها .

(439) وكم داسها نعل على أمّ رأسها ..... فلما تولّت ، أقبلت وهي خاضع

المفردات :

داسها : داس النفس . **فلما تولت :** أعرضت ، أي أعرضت النفس عن عالم المخلوقات . **أقبلت :** أي على الحق . **وهي خاضع :** أي خاضعة.

المعنى :

وكم داس نعل نفس الجيلي على أمّ رأسها ، أي بمعنى ؛ وكم تعرّضت نفسه للذل حتى أعرضت عن عالم المخلوقات وتخلصت من النظر إليه ، وأقبلت على الحق طائعة مطهّرة من الخلق ومن النظر إليهم .....
والإشارة هنا إلى أن ذل النفس ، وتذليلها الذي يخوض غماره الصوفية ، إن هو إلا ذلّ منهجي والغرض منه تحويل نظر النفس من الخلق إلى الحق .

(440) وكم كان صدري للنّبال عريضة ، ..... وعرضي لسهم الطّاعنين مواقع

المفردات :

للنبال : إشارة إلى كل أنواع التهم والتجريح . **عريضة :** معرّضا .

المعنى :

يفصّل الجيلي أنواع ذل نفسه يقول ؛ وكم كنت معرّضا لكل أنواع التهم والتجريح من الآخرين ......
حتى وصلت النبال وجرّحت عرضي وشرفي ، الذي لم يسلم هو الآخر من الطعن .

(441) وكم كنت أيضا للمراد مجرّدا ..... من الغمد سيفا للدّما ، وهو ناشع

المفردات :

الغمد : بيت السيف . **سيفا للدما :** سيفا صنع لسفك الدماء . **وهو ناشع :** وهو مرمي .

المعنى :

يوضح الجيلي أنّ تحمّله الهوان ليس عن ضعف منه وإنما عن قوة ؛ استقوى على نفسه القوية وأسكتها ، يقول ؛ تحمّلت ألوان الذل والهوان ، ليس عن جبن أو عن ضعف ، إذ إنني كنت أملك سيفا مهيّأ لسفك الدماء ، ولكنني منعته القتال ورميته .

(442) وكم هجت نارا للوغى بين عترتي ..... وبيني وبين الغير والأمر شائع

المفردات :

وكم هجت نارا بين عترتي : وكم كان استسلامي وخضوعي سببا لهياج أهلي وعشيرتي . **والأمر شائع :** شاع أمري بين الجميع .

المعنى :

وكم كان استسلام الجيلي للأحداث ، وخضوعه للذل والهوان ، سببا في هياج نار أهله وعشيرته وصحبه كذلك ......
حتى أصبح أمره شائعا بين الكل ، فالكل يتحدّث والكل يلوم .

(443) وكم قبّلت رجلي فم فضربتها ، ..... به عامدا إضرارها ومقاطع

المفردات :

فضربتها : فضربت الأفواه . **إضرارها :** إضرار الأفواه .

المعنى :

قديما ، قبل هذا الرضوخ للذل والهوان كم قبّلت فم رجل الجيلي ، وهذا يدلنا على قيمته الماضية ومكانته وما يرجوه الناس من منفعته .....
فضربت رجله هذه الأفواه متعمدة بهذا الضرب الإضرار بالأفواه والمقاطعة لها.

(444) وكلّ الّذي آتيه ، آتيه ناظرا ..... لمثبته في اللوح ، إنّي تابع

المفردات :

وكل الذي آتيه : كل أفعالي . **إني تابع :** تابع للأمر الإلهي .

المعنى :

والجيلي وإن فعل فإنه لا يفعل عن أمره ، يقول ؛ وكل الذي آتيه من أفعال ، آتيه وأنا أنظر إلى الحق فهو الذي يمحو ما يشاء ويثبت في اللوح المحفوظ ....
وذلك أنني في وجودي تابع للأمر الإلهي المثبت في اللوح

(445) ولمّا مضى ليلي وولّت نجومه ..... وأشرق شمسي في الألوهة ساطع

المفردات :

ليلي : إشارة إلى الرياضات والمجاهدات . **شمسي :** إشارة إلى المقامات والمراتب .

المعنى :

في هذا البيت يشير الجيلي إلى وصوله ، فبعد أن تخطى ليل السعي إلى المحبوب مهتديا بالنجوم ، أشرقت شمس حقيقته ساطعة ، وبرزت مكانته وهويته الإنسانية أمام الله عزّ وجلّ .

(446) سلبت إرادتي وحولي وقوّتي ..... وكلّ وجودي والحيا والمجامع

المفردات :

وحولي : وقدرتي على التصرف . **وكل وجودي :** كل أنواع وجوده ، والمراد أن الجيلي فقد الشعور بوجوده على كافة المستويات من بدنية ونفسية وروحية ....
والحيا : والحياة ، والمراد أن الجيلي فقد إحساسه بأحداث الحياة الدنيا أي سلب دنياه .
والمجامع : جمع. مجمع . والمجمع مكان أو موضع الاجتماع والتجمع ، والمراد هنا كل مراكز التجمع في الكيان الإنساني للجيلي .
ومراكز التجمع في الإنسان هي المراكز التي تنسّق وتوحّد كل نشاط من أنشطة الإنسان كالإحساس أو التفكير أو الخيال أو الحب أو الحركة ....

المعنى :

بعد أن اجتاز الجيلي ليل السعي وأشرقت شمس حقيقته ، بدأ الفناء يجتاح كينونته وكيانه وإمكاناته .... ففنيت إرادته وقدرته وقوته ، بل فني كل وجوده وحياته ومكامن توحّد إنسانه .

(447) فنيت بها عنّي فما لي أنيّة ، ..... هويّة ليلى للأنيّات قامع

المفردات :

فنيت بها : بالحضرة الإلهية . **عني :** عن إحساسي بذاتي وبوجودي .
فما لي أنية : فما لي إحساس " بالأنا " . **هوية ليلى** : ليلى كناية عن الحضرة الإلهية .
للأنيات قامع : تقمع أنيات المخلوقات في حال الفناء وتمنعها من الظهور .

المعنى :

يبدأ الجيلي بوصف الفناء ، يقول ؛ فنيت بالحضرة الإلهية عن إحساسي بذاتي وبوجودي ، فلم أعد أشعر بوجود " أنا " تخصني ...
ومن يفن بالحضرة الإلهية يذهب ، لأن هوية الحضرة [ليلى] تقهر أنيّات المخلوقات ، تسحقها ، تمحقها في الفناء ، وتحول بينها وبين الظهور .

(448) وكنت كما إن لم أكن ، وهو أنّه ..... كما لم يزل ، فرد وللكلّ جامع

المفردات :

وكنت كما إن لم أكن : أي أن كينونتي في الأصل هي عدم الكينونة ، وأنا الآن كأنني غير موجود .
وهو أنه كما لم يزل : والحق لا يزال ، كما هو دائما ، موجودا دائم الوجود ....

فرد وللكل جامع : واحد يفني الكل .

المعنى :

يتابع الجيلي وصف فنائه ، يقول ؛ وبعد فنائي وسحق أنيتي تحت سطوة تجليات الحضرة كنت موجودا غير موجود ، والحق عزّ وجلّ لا يزال الآن كما هو منذ الأزل سرمدي الوجود .... إنّه واحد فرد إذا تجلى أفنى الكل ، وجمعهم فلا يحسّون تفرقة ولا فرقا .

تاسعا الأبيات من (449) إلى (494) الجيلي يروي سيرته الروحية
الجزء الخامس

(449) وغيّبت عن تلك المشاهد كلّها ..... وعنّي وعن غيبوبتي أنا زامع
(450) فلا أنا إن حدّثت يوما مخاطب ، ..... وإن أسمعوني القول ما أنا سامع
(451) ولا أنا إن كلّمتهم متكلّم ..... ولا أنا إن هم نازعوني منازع
(452) فلمّا فنى منّي وجود هويّتي ..... وباع البقا بالموت من هو بائع
(453) خبتني فكانت فيّ عنّي نيابة ..... أجل عوضا ، بل عين ما أنا واقع
(454) فكنت أنا هي وهي كانت أنا وما ..... لها في وجود مفرد من ينازع
(455) بقيت بها فيها ولا تاء بيننا ..... وحالي بها ماض كذا ومضارع
(456) ولكن رفعت النّفس فارتفع الحجا ..... ونبّهت من نومي فما أنا هاجع
(457) وشاهدتني حقّا بعين حقيقتي ..... فلي في جبين الحسن تلك الطلائع
(458) جلوت جمالي فاجتليت مراءتي..... ليطبع فيها للكمال مطابع
(459) فأوصافها وصفي ، وذاتي ذاتها ..... وأخلاقها لي في الجمال مطالع
(460) واسمي حقّا اسمها ، واسم ذاتها ..... لي اسم ولي تلك النّعوت توابع
(461) فشمسي في أفق الألوهة مشرق ..... وبدري في شرق الرّبوبة طالع
(462) ونفسي بالتّحقيق يا صاح نفسها ..... وليس لتوحيدي من الشّرك رادع
(463) فمن نظرتها عينه فهو ناظري ، ..... وتبصرها عين إليّ تطالع
(464) ويمدحها بالشّكر من هو مادحي..... ويثني بحمدي من لها الحمد رافع
(465) ويعبدني بالذّات عابدها ، كما ..... لها خضعت أحشاء من لي خاضع
(466) تجيب إذا نوديت باسمي ، وإنّني ..... مجيب إذا ناديتها ، لك فازع
(467) وقد محيت أوصافنا في ذواتنا ..... كما فنيت عنّي نعوت ضرائع
(468) فأفنيتها حتّى فنيت ولم ..... ولكنّني بالوهم كنت أطالع
(469) كذا الخلق فافهم ، إنّه متوهّم ..... وهذا فقشر كي يضلّ مخادع
(470) وها هي ما كانت سوى مخزن ولي .....هناك من الحسن البديع بدائع
(471) فلمّا قبضت الإرث من مخزن الهوى ..... تناقض عن جدرانه ، فهو واقع
(472) فكانت كعنقا مغرب وصفت وما ..... حوت غير ذاك الوصف منها البقائع
(473) هي الذّات طاحت إن عرفت إشارتي ..... نجوت وإلّا فالجهالة خادع
(474) وهاك حديث المنحنى غير أنّه ..... على الورد من قشر الكمام قمائع
(475) غزال لها عينان بالسّحر كحّلا ..... فواحدة فقعا وأخرى فواقع
(476) كثوب له طول ولكنّ لونه ..... حكى ورق الرّيحان اخضر يانع
(477) فما الطّول إلا الثوب واللون عينه ..... إذ الحكم للمحكوم في الأمر تابع
(478) وما الثّوب طولا لا ، ولا اللّون ذاته ..... وما ثمّ إلا الثّوب تلك المجامع
(479) زرعت لك المعنى بلفظي فاجن ما ..... منحتك من أثمار ما أنا زارع
(480) فإنّي لمّا أن تبدّت هويّتي ..... خفيت ، وإن تغرب فإنّي طالع

(481) وليست سواي لا ولست بغيرها..... ومن بيننا تاء المخاطب ضائع
(482) فإنّي إيّاها بغير تأوّل ..... كما أنّها إيّاي ، والحقّ واسع
(483) فكلّ عجيب من جمالي مشاهد..... وكلّ غريب من كمالي شائع
(484) وكلّ الورى طرّا مظاهر طلعتي ..... مراء بها من حسن وجهي لامع
(485) ظهرت بأوصاف البريّة كلّها ..... أجل في الكلّ نوري ساطع
(486) تخلّقت بالتّحقيق في كلّ صورة ، ..... ففي كلّ شيء من جمالي لوامع
(487) وما الكوّن في التّمثال إلا كدحية ..... تصوّر روحي فيه شكل مخادع
(488) فصفني بأوصاف الأنام جميعها..... فإنّي لذيّاك المحاسن جامع
(489) وعن كلّ تشبيه فإنّي منزّه ، ..... وفي كلّ تنزيه فإنّي مضارع
(490) وجسمي للأرواح روح مدبّر..... وفي ذرّة منه الأنام جوامع
(491) ولو لم يكن في الحسن منّي لطيفة ..... لما كانت الأجفان فيّ تطالع
(492) ولولا لذاتي في الكمال محاسن ..... تلوح لما مالت إليها الطّبائع
(493) فهيكل شخصي كلّ فرد بسيطه ..... لجوهر أنواع المحاسن جامع
(494) إنّي على تنزيه ربّي لقائل..... بأوصافه عنّي فحقّي صادع

شرح الأبيات :-

(449) وغيّبت عن تلك المشاهد كلّها ..... وعنّي وعن غيبوبتي أنا زامع

المفردات :

وغيبت : وذهبت عن الإحساس . **المشاهد** : جمع مشهد ، وهو ما يشاهد السالك في عالم الحس من معان معقولة وروحانية .
أنا زامع : أنا غائب ، ذاهل .

المعنى :

يخبرنا الجيلي عن شهوده وذهوله في مواطن الشهود ، يقول ؛ وغبت عن مشاهدة فنائي وجمعي . . . حتى أنني عني وعن غيبوبتي أنا غائب ، ذاهل.

(450) فلا أنا إن حدّثت يوما مخاطب ، ..... وإن أسمعوني القول ما أنا سامع

المفردات :

فلا أنا إن حدثت يوما مخاطب : إن حدثت الناس يوما ، فلست أنا الذي أخاطبهم .
ما أنا سامع : لا أسمعهم .

المعنى :

يخبرنا الجيلي هنا أنه حاضر لمحبوبه فقط ، وظاهره يتعامل مع الناس بما يناسب ، فيقول ؛ إن حدّثت الناس فلست أنا الذي يتكلم معهم ويخاطبهم ، ولو اسمعوني القول لا أسمعهم .
وهذا الفصل بين البدن والقلب ، بحيث ينتسب البدن إلى عالم الناس ، وينتسب القلب إلى المحبوب وتسكن الأنا فيه ، مألوف لدى عشاق الصوفية .

وهذه سيدة العشق رابعة تقول : فالجسم مني للجليس مؤانس ، وحبيب قلبي في الفؤاد أنيسي ...
فالعاشق وإن غاب وجدا في مشاهدة معشوقه ، فإن بدنه يستمر في تأدية وظيفته الحياتية والاجتماعية.

(451) ولا أنا إن كلّمتهم متكلّم ..... ولا أنا إن هم نازعوني منازع

المفردات :

ولا أنا إن كلمتهم متكلم : حتى لو كلمت الناس فلست أنا المتكلم .
نازعوني : خاصموني . **منازع :** مخاصم.

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل حضوره لله ، وأن الأنا التي تخصه لا تشعر بحضور الناس وإن كانت تتعامل معهم ، يقول ؛ حتى لو كلمت الناس ، فالناظر يراني أكلمهم ، ولكنني غائب عن كوني متكلما .....
وكذلك فإن خاصموني أو جادلوني ، فقد يراني الناظر أجادلهم وأنازعهم ، ولكنني غائب عن كوني مجادلا لهم ومنازعا .

(452) فلمّا فنى منّي وجود هويّتي ..... وباع البقا بالموت من هو بائع

المفردات :

فلما فنى مني وجود هويتي : إشارة إلى فناء الهوية .
وباع البقا بالموت : وكان الموت هو ثمن البقاء ، بمعنى اشترى الجيلي البقاء بالله ودفع موته ثمنا لذلك .

المعنى :

يقول الجيلي ؛ ولما فنيت هويتي ، اشتريت بقائي بالله ، ودفعت موتي ثمنا لهذا البقاء .
ونلاحظ هنا أن العبد بعد فنائه سيترقى في مراتب البقاء ، وبقاء العبد هو بقاء مظهري يتلقى تجليات الحق تعالى ، تجليات الأفعال والأسماء والصفات ؛ وهذا ما سيفصّله الجيلي في الأبيات اللاحقة حيث نرى العبد في قمة فنائه وذهاب هويته قد أصبح محلا للتجليات الإلهية ، ففارق بذلك مرتبته الكونية وتحقق بمرتبته القدسية ...

(453) خبتني فكانت فيّ عنّي نيابة ..... أجل عوضا ، بل عين ما أنا واقع

المفردات :

خبتني : خبّأتني ، أي سترتني وأخفتني . **فكانت فيّ عني نيابة :** كانت الحضرة الإلهية قائمة فيّ ، نائبة عني . **أجل عوضا :** بدلا مني . **بل عين ما أنا واقع :** بل عين الأنا التي تخصني ، عين ذاتي .

المعنى :

أخفت الحضرة الإلهية الجيلي وسترته ، وتجلّت نيابة عنه ، عوضا وبدلا منه . . . بل تجلّت به وكانت عين ذاته .
يقول الجيلي في [الإنسان الكامل ج 1 / ص 37] ، باب تجلي الأسماء : " فإذا تجلى الحقّ لعبده من حيث اسمه الله ، فني العبد عن نفسه ، وكان الله عوضا عنه له فيه ، فخلّص هيكله من رقّ الحدثان ، وفكّ قيده من قيد الأكوان ، فهو أحديّ الذات وأحديّ الصفات ، لا يعرف الآباء والأمهات .
فمن ذكر الله فقد ذكره ، ومن نظر الله فقد نظره ، وحينئذ أنشد لسان حاله بغريب عجيب مقاله : خبتني فكانت فيّ عني نيابة (. . .) واسمي حقا اسمها واسم ذاتها " (. . .) ويورد الجيلي في هذا النص من كتابه الإنسان الكامل الأبيات كاملة من رقم 453إلى رقم 460 .

(454) فكنت أنا هي ، وهي كانت أنا وما ..... لها من وجود مفرد من ينازع

المفردات :

هي : الإشارة إلى الحضرة الإلهية .

المعنى :

يفصّل الجيلي هنا معنى بقاء العبد بالله ، ويبين كينونة الإنسان الفاني حين يتجلى عليه الحق تعالى باسمه الله . وهي كينونة خاصة ، يبقى فيها العبد بالله بعد فناء أنيته وهويته .
فالعبد هنا فان ، وهو في فنائه يذهب ، ولا يبقى إلا الحق ؛ لذلك يقول الجيلي : " أنا هي " ، لأن " الأنا " لا وجود لها بل فنيت في " هي " ؛ و " هي " أي الحضرة ، هي التي تقوم نيابة عن العبد الفاني ؛ لذلك يقول : " وهي كانت أنا . . . " .
باختصار ، حين يتجلى الحق على عبد فالفناء للعبد والبقاء للحق عزّ وجلّ ، وليس له تعالى من ذات العبد منازعا ينازعه الوجود .

(455) بقيت بها فيها ولا تاء بيننا ..... وحالي بها ماض كذا ومضارع

المفردات :

بها : بالحضرة الإلهية . **فيها :** في الحضرة الإلهية . **ولا تاء بيننا :** ارتفع من بيننا الخطاب ، فلا يخاطب أحدنا الآخر مناديا إياه ب " يا " ، أو يستخدم ضمير المخاطب وهو التاء فيقول أكلت وشربت . . .
وحالي بها ماض كذا ومضارع : وحالي الحاضر هو كما كان في الماضي وكما سيبقى في المستقبل ، إنه هو هو .

المعنى :

يخبرنا الجيلي عن بقائه بعد الفناء ، يقول ؛ بقيت بعد فنائي بإبقاء الحق لي ، بقيت بالصفات الإلهية ، مستهلكا في حضرة الحق لا وجود لي خارجها . .

ولكنه بقاء لا تعبّر عنه أثنينيّة المخاطِب والمخاطَب . . [ورد في اللمع للطوسي ص 461، 463] من شطحات أبي يزيد : " لا يبلغ المتحابان حقيقة المحبة حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا .
ويقول أبو يزيد : ألبسني أنانيتك حتى إذا رآني خلقك قالوا :رأيناك ، فتكون أنت ذاك ، ولا أكون أنا هناك " . . . . .
ويعلق الطوسي بقوله ؛ "هذا وأشباه ذلك يصف فناء الصوفي ، وفناءه عن فنائه ، وقيام الحق عن نفسه بالوحدانية ، وكل ذلك في حديث قرب النوافل " .

(456) ولكن رفعت النّفس فارتفع الحجا ..... ونبّهت من نومي فما أنا هاجع

المفردات :

رفعت النّفس : أزلت النفس ورفعت حكمها . **الحجا :** العقل . **فما أنا هاجع :** لن أهجع ، فما أنا غافل .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل فنائه ، ويعلّمنا هنا من تجربته الشخصية أن نفوسنا البشرية هي حجاب يحجبنا بالهوى عن رؤية الحق ، وأنها أيضا تستخدم العقل وحججه ليزين الباطل بوهم الصواب ،
فيقول ؛ " ولكن رفعت النفس فارتفع الحجا " بمعنى أنه حين قهر نفسه ورفع أحكامها ولم يبق لها حكما ينفذ في الحياة ، وجد أن حكم العقل قد ارتفع معها .
والسبب الذي جعل الجيلي يربط بين النفس وبين الحجج العقلية هو أنه حين تكون النفس أمارة بالسوء فإنها تستخدم العقل وحججه لإنفاذ أهوائها .
والعقل في مقدوره أن يقارب بحجة منطقية بين مطالب النفس وبين مذاهب الشريعة .
باختصار ، إن العقل في استطاعته أن يشرّع الهوى ، ويبرّر الأحقاد .
ولكن عندما تطمئن النفس وتسكن إلى الحق لا تأمر بهوى ، لذلك تنتفي أهمية المجادلة العقلية ، وتتجلى الشريعة ساطعة لا ينازعها عقل ولا نفس .
وحين تتجلى الشريعة ساطعة فكأنما الجيلي كان نائما وانتبه ، والناس - على ما ورد في الحديث الشريف - نيام إذا ماتوا انتبهوا .
والجيلي هنا يخبرنا أنه بعد موت نفسه وموت مطالبها انتبه من غفلته وحضر مع الله عزّ وجلّ ، وأنه بعد هذا الانتباه والحضور لن يغفل ثانية أبدا .

(457) وشاهدتني حقّا بعين حقيقتي ..... فلي في جبين الحسن تلك الطلائع

المفردات :

شاهدتني : شاهدت نفسي . **حقا :** إنني حق . **بعين حقيقتي :** في حقيقة وجودي .
الطلائع : جمع طلعة.

المعنى :

يتابع الجيلي مسيرته في الفناء ، ويخبرنا عما يجد بقوله ؛ حين فنيت عن نفسي وانتبهت من غفلتي ، فارقت رتبتي الكونية وحصّلت بقائي بالله ورتبتي القدسية ، عندها شاهدت نفسي على حقيقتها ، وعلمت أن جوهر وجودي هو : حق .

ونقول إن كان المحاسبي يرى أن العقل هو جوهر الإنسان ، ويرى الصوفية عامة أن جوهر الإنسان إرادة ، فإن الجيلي يرى أن الحق هو جوهر الإنسان . يقول في الإنسان الكامل [1 / 70] : " والحق عند العارفين [هو] حقيقة ذواتهم . "

نتساءل ماذا يقصد الجيلي بقوله : " إن الحق هو جوهر الإنسان الكامل " .
هل يريد أن يقول إن الإنسان في تدرجه إلى الكمال يقارب الاتحاد بالله وتنتفي إثينيّة الخالق والمخلوق ، أو أن الإنسان عند وصوله إلى الكمال يصير هو الله ؟!
كلا ، لأن هذا التفكير ينافي العقل ، على حد تعبير الإمام الغزالي ؛ وتتلخص رؤية الجيلي بأن الإنسان بعد أن يتجلى له الله عزّ وجلّ ، يسحقه ويمحقه ثم يمحوه ويفنيه عن نفسه وعن كل شيء ، ولا يتركه الحق عزّ وجلّ مغيّبا في فنائه مستغرقا في العدم ، بل يقيم فيه لطيفة إلهية ، وهذا ما نسميه بمقام " البقاء بالله " .
وهذه اللطيفة الإلهية التي تقوم في العبد نيابة عن وجوده السابق قد تكون ذاتية وقد تكون صفاتية ، وعليها تقع كل التجليات الإلهية ، من تجليات أسمائية أو صفاتية أو فعلية ...
وإن كانت اللطيفة الإلهية المقامة في العبد الفاني ذاتية ، يصبح الهيكل الإنسانيّ لهذا العبد هو الفرد الكامل والغوث الجامع ، وعليه يدور أمر الوجود ، وهو الخليفة لا يحجب عنه شيء ويفعل ما يشاء بقدرته تعالى : [راجع الإنسان الكامل ، ج 1 / ص 44] .

(458) جلوت جمالي فاجتليت مراءتي ..... ليطبع فيها للكمال مطابع

المفردات :

جلوت : أظهرت ، والجلوة ضد الخلوة . **فاجتليت مراءتي :** صقلت مراءتي وهيّأتها .
مطابع : جمع مطبع بمعنى نقش .

المعنى :

وبعد أن شاهد الجيلي حقيقة وجوده ورأى أنه لطيفة إلهية قائمة بإقامة الله لها ، وإنه ليس سوى مرآة تظهر عليها الكمالات الإلهية ، صقل هذه المرآة وجلاها حتى تظهر فيها نقوش الكمال على أكمل صورة وأتمها .
والإنسان الكامل ، أي الفاني عن نفسه والباقي بالحق ، هو مرآة الاسم الله ، الجامع للأسماء والصفات . [راجع الإنسان الكامل ، 1 / 16] .

(459) فأوصافها وصفي ، وذاتي ذاتها ..... وأخلاقها لي في الجمال مطالع

المفردات :

فأوصافها : أي أوصاف الحضرة الإلهية . **مطالع :** جمع مطلع ، موضع الطلوع .

المعنى :

وحين نقشت الكمالات الإلهية على مرآة الجيلي تجلى التوحيد ساحقا كل شريك ، فما ثمة وصف في الوجود ولا ثمة ذات في الكائنات تدّعي البقاء أمام تجلّي الحق تعالى .
فأوصاف الحضرة تسحق أوصاف العبد وتظهر على مرآته ، وذاته تفنى فلا يبقى إلا ذات الحضرة المتجلي ، ويظهر العبد بأخلاقها في كل حسن مرئي .
لذلك قال الجيلي فأوصافها وصفي ، وذاتي ذاتها ، وأخلاقها لي في الجمال مطالع .

(460) واسمي حقّا اسمها ، واسم ذاتها ..... لي اسم ، ولي تلك النّعوت توابع

المفردات :

واسمي حقا اسمها : أي ما يدل عليّ يدل على الحضرة ، لأن الاسم هو الدلالة على المسمى . **واسم ذاتها :** الدلالة على ذاتها .

المعنى :

يرى الجيلي أنّ الله سبحانه خلق الإنسان على صورته تعالى ، حيا عليما قادرا مريدا سميعا بصيرا متكلما ، وحلّاه بأوصافه وسمّاه بأسمائه ، فهو تعالى الحي والإنسان هو الحي وهكذا ....
فانضاف إلى الإنسان جميع ما للحق ، ثم تفرد الحق بالكبرياء والعزة ، وانفرد الإنسان بالذل والعجز [را جع الإنسان الكامل ج1 - ص 9 - 51].
وتجدر هنا الإشارة إلى أنه ما كل إنسان يتمتع بالصورة التي يؤكد الصوفية على إبرازها والتحقق بها ، وذلك لأن الإنسان بعد خلقه في أحسن تقويم قد تطرأ عليه علل كونية تحط به من على تكوينه إلى حضيض حيوانيته ، كما أنه قد يرقى بالسلوك إلى رتبة قدسيته ويتحقق بكونه صورة الكمالات ومرآتها.

(461) فشمسي في أفق الألوهة مشرق ..... وبدري في شرق الرّبوبة طالع

المفردات :-

الألوهة : الألوهية هو اسم للمرتبة الجامعة لحقائق جميع الموجودات بما فيها الأضداد ، والتي تعطي كل ذي حق حقه من مراتب الوجود ، ولا يكون ذلك إلا لذات واجب الوجود تعالى وتقدس [راجع الإنسان الكامل ، ج1 23]. .
مشرق : ظاهر ، والشروق إشارة إلى الظهور كما أن الغروب هو إشارة إلى البطون .
الربوبة : الربوبية هو اسم للمرتبة المقتضية للأسماء التي تطلبها الموجودات ، فدخل تحتها الاسم العليم والسميع والبصير والقيوم والمريد وغير ذلك ، لأن كل واحد من

هذه الأسماء والصفات يطلب ما يقع عليه ، والربّ لغة هو المصلح المدبّر ، لذلك بالربوبية ينظر الرحمن إلى الموجودات [راجع الإنسان الكامل ج1 :29] .
المعنى :
يقول الجيلي ؛ إنه بعد فنائه ، أشرقت شمسه وطلع بدره .
وأشرقت شمسه بمعنى : أنه ظهر في أفق صفة الألوهة ، ونتج عن ذلك أنه أعطى كل ذي حق حقه من ذاته ...
وطلع بدره بمعنى : أنه ظهر متصفا بصفات الربوبية ، ونتج عن ذلك أنه ينظر إلى الخلق بعين الرحمة والتواصل .

(462) ونفسي بالتّحقيق يا صاح نفسها ..... وليس لتوحيدي من الشّرك رادع
المعنى :
يؤكد الجيلي هنا على المعنى الذي بدأه منذ البيت رقم **(453)** ، وهو فناؤه عن نفسه وبقاؤه بالحق ، هذا البقاء الذي تجلى على صورة توحيد خلّص شهود الجيلي من كل ظل أو شبهة يمكن أن تجرح نقاء التوحيد ، فلا نفس ولا صفة ولا اسم ولا رسم ولا أي شيء يقوم في الجيلي ويمنعه أو يردعه عن التوحيد التام الكامل ....

ولنستمع إليه يقول في المعنى نفسه [الإنسان الكامل ، 1 / 53] " : وكن أنت بلا أنت ولا أنت ، بل يكون الله هو المدبّر لك كيفما شاء ، أعني كما تقضيه أوصافه والأسماء .
فأرم بهذا القشر الساتر ، وكل اللباب الزاهر ، وافهم حقيقة وجهّت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين. "

(463) فمن نظرتها عينه فهو ناظري ..... وتبصرها عين إليّ تطالع
المعنى :
يقول الجيلي : " فمن نظرتها عينه فهو ناظري " ، بمعنى أن من ينظر إلى الحضرة يره ...
ومن جهة ثانية : " تبصرها عين إليّ تطالع " أي من ينظر إلى الجيلي ير الحضرة .
فالإنسان هنا امّحت صفاته الشخصية ليصبح مرآة تظهر عليها الكمالات الإلهية ، لذلك إحدى صفات الولي كما ورد في الخبر أن تذكّر رؤيته بالله .

(464) ويمدحها بالشّكر من هو مادحي ..... ويثني بحمدي من لها الحمد رافع
المفردات :
ويثني بحمدي : يقول الجيلي في الإنسان الكامل [ج 2 / 83] :
" حقيقة الثناء أن تتصف بما وصفته به من الاسم أو الصفة التي أثنيت عليه وحمدته بها " ؛ بكلام آخر ، يعني أن يثني عبد على ربّه هو أن يتصف بما أثنى عليه به من

صفة أو اسم ، فإن أراد مثلا أن يحمد الله عزّ وجلّ باسمه الكريم فحقيقة حمده هي أن يتصف بالكرم وهكذا ...

المعنى :

يرى الجيلي إن من يمدحه ويثني عليه فهو في حقيقة الأمر يمدح الحضرة الإلهية ويثني عليها ...

ومن يرفع الحمد إلى الحضرة فهو في الوقت نفسه يحمد الجيلي ....

والواقع أن المدح والثناء من جهة والشكر والحمد من جهة ثانية معان متقاربة ، إلا أن المدح والثناء تستوجبهما صفات الممدوح نفسه ، لذلك لا نحصي ثناء على الله عزّ وجلّ لأننا لا نحصي جميل صفاته ، فالثناء على الله أو على الإنسان سببه الصفات الذاتية التي يتحلى بها المثنى عليه السلام .

أما الحمد والشكر فتستوجبهما نعم الله عزّ وجلّ ، نشكر ونحمد عند المنع والعطاء . باختصار ، وعلى الأغلب ، المدح والثناء يرتبطان بصفات الممدوح ، والشكر والحمد يرتبطان بما يصل من المشكور والمحمود من نعم.

(465) ويعبدني بالذّات عابدها كما ..... لها خضعت أحشاء من لي خاضع

المعنى :

قراءة أولى :

يقول الجيلي : " ويعبدني بالذات عابدها " ، أي كل من عبد الله فكأنما عبده .

وهذه الجملة التي يستوقفنا الشطح الظاهر في ألفاظها ، وتتحقّز أعماقنا من تجرّوء مخلوق على قول هكذا عبارة ، نتوقف عندها لنرى لماذا قالها الجيلي ، ولنتكهن ماذا قصد بها ؟ .

نبدأ بأن نقول إن المؤمن منا كلما تدفّق إيمانه وغمر مشاعره كلّها ، فإنه عندما يجد أمامه إنسانا يمجّد الله يشعر بالإعزاز كأنما هو الذي يتمجّد ، وعندما يجد أمامه إنسانا ينكر الله عزّ وجلّ يشعر بالعداء كأنّما هو الذي ينكر .

فالمؤمن يشعر بالتوحّد الشعوري مع ما يؤمن به ، ويصبح لديه كل ثناء على ما يؤمن به كأنما هو ثناء عليه ، والعكس صحيح . . .

ولكن مهما كانت مشاعرنا تجاه هذا العابد لله ، تبقى هذه العبارة شطحا غير مقبول ، ونحن هنا لن يأخذنا الشطح كذلك وننكر قصيدة الجيلي كلّها ، لأننا وجدنا فيها بعض عبارات شطحت عن حدّ العقل الشرعي ؛ بل نتمتّع ونستفيد من كل الأمور التعليمية التي أوردها في قصيدته ، ونقف عند شطحاته ، ولنا أن نتشدّد بها أو نتسامح كما يتناسب مع مزاجنا العقلي ؛ والجواهريّ الجيّد هو الذي عندما يجد كنزا لا يرمي به كلّه ويتلف جواهره بحجة أنه وجد فيه حصاة أو وجد فيه حجرا ينكره ، بل يأخذ ما يعرف من الجواهر ويترك جانبا ما لا يعلم منها ، لا يتعامل به . . .

وهكذا نحن مع شطحات الصوفية نأخذ جواهر أقوالهم ، نستفيد من لآلىء تجاربهم ، نشحذ الهمم من تأجج عاطفتهم الدينية ، ونتوقف عندما نجهل ؛ فعندما يتعارض ما نعلم من الشرع مع ما نجهل من أقوالهم ، نأخذ ما نعلم ، وما يتفق مع الشرع ، ونترك ما نجهل .
وقد لا نعترض عليهم تسمّحا ، ولكن لا بأس علينا إن لم تتحمل مشاعرنا هذا التسمّح ، واعترضنا .
فالشرع أولى بالفهم - لديهم ولدينا من غريب أقوالهم .....
نسلّم لهم أقوالهم وغريب شطحاتهم ، ولكن ننبه إلى أنه يكفر كلّ من يرددها على وجه التقليد ، فلا يجوز مطلقا أن نقلّد على عدم معرفة بالوجه الشرعي فيما يتعارض ظاهره مع الشرع الواضح .

والجيلي نفسه يقول في هذه القصيدة البيت (رقم 271) " وسلّم له - أي للشيخ - مهما تراه ولم يكن على غير مشروع ، فثم مخادع " أي نسلم لهم أفعالهم وأقوالهم لأننا ربما نخدع عن قصدهم بظاهر قولهم ، وغاية ما نستطيعه هو أن نسلّم لهم ، دون أن نقلّدهم.

قراءة ثانية :

لعل الجيلي عندما قال : " ويعبدني بالذات عابدها " ، أراد المعنى اللغوي للعبادة وهو الخضوع ، فيكون مراده : " **ويخضع لي بالذات من يخضع لها [الألوهة]** . "
ويؤكد الشطر الثاني هذه القراءة ، لأنه جاء متمما لفعل الخضوع.

(466) تجيب إذا نوديت باسمي ، وإنّني ..... مجيب إذا ناديتها لك فازع

المفردات :

لك فازع : فزع إليه بمعنى لجأ ، وفازع هنا بمعنى مسارع .

المعنى :

قول الجيلي : " تجيب إذا نوديت باسمي " ، معناه أنه إذا ناداه أحد باسمه وقال مثلا : يا جيلي .
فالحضرة هي التي تجيب ، وهنا إشارة إلى فناء العبد ليس مجرد الفناء الشعوري بل " فناء الاسم " ؛ أي يفنى من الإنسان اسم العبد حين يتجلى عليه تعالى بالأسماء الإلهية ...
وقوله " : وإنني مجيب إذا ناديتها لك فازع " ، معناه وإذا نادى القارئ أو السامع الحضرة ، فالجيلي يسارع إليه مجيبا ؛ وهنا إشارة إلى ترقّي العبد من مقام " فناء اسمه " إلى مقام " البقاء بعد الفناء . "
هذه المعاني نفسها نجدها في كتابه [الإنسان الكامل ج 1 / ص 16 وص 35].

يقول في ص 16 : " واعلم أن الحق سبحانه وتعالى جعل هذا الاسم أي الاسم **"الله"** مرآة للإنسان ، فإذا نظر بوجهه فيها علم حقيقة كان الله ولا شيء معه ،
وكشف له حينئذ أن سمعه هو سمع الحق ، وبصره هو بصر الحق ، وكلامه هو كلام الحق ...
وقدرته هي قدرة الله تعالى ، كل ذلك بطريق الأصالة .
ويعلم حينئذ أن جميع ذلك إنما كان منسوبا إليه بطريق العارية والمجاز وهي لله بطريق الملك والتحقيق .
قال الله تعالى :وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَما تَعْمَلُونَ] الصافات : 96] ..
ومن حصل له هذا الشهود أي من يشهد نفسه في مرآة الاسم " الله "كان مجيبا لمن دعا الله ، فهو إذا مظهر لاسمه الله .
ثم إذا ترقّى وصفا من كدر العدم إلى العلم بوجود الواجب ، وزكّاه الله بظهور القدم من خبث الحدث ، صار مرآة لاسمه الله ؛ ومن حصل له هذا المشهد أي من صار مرآة لاسمه " الله " كان الله مجيبا لمن دعاه ، يغضب الله لغضبه ويرضى لرضاه.. "
وأقول ، إننا نحاول أن نتصوّر بعقولنا ، كيف يحصّل الإنسان مشهدا يشهد فيه نفسه في مرآة الاسم " **الله** " ، ثم لا يزال يترقّى ويتصفّى من العدم والحدث ، حتى يحصّل مشهدا يصبح فيه هو مرآة للاسم " **الله** " ...
أقول ، إن عقولنا تتعب ، وتكاد لا تستطيع إن تتصوّر هذه المراتب ؛ لذلك نتوقف في تصوراتنا عند حدود المتاح العقلي ، ونسلّم فيما تبقّى .
نسلّم بأنّ الله عزّ وجلّ فتح للإنسان آفاق كمال لم يفتحها لمخلوق غيره ؛ خلقه بيديه ، نفخ فيه من روحه ، كلّمه تكليما ، أرسل إليه رسله ، أنزل له موائد من السماء ، اختار منه سلالة أنبياء اصطفاهم وصفّاهم وطهّرهم وفضّلهم على بقية خلقه من الجنس البشري .
ونسلّم كذلك بأنّه على قدم كلّ نبي توجد جماعة تتبعت الأثر حتى وصلت إلى دائرة القربى . . .
اقتربت من النبي وقاربته دون أن تحصّل النبوة أبدا ، بل بقيت تترقّى في مراتب الولاية ، وتتنعّم بما ينعكس عليها من كمالات أنبيّائها ، وتتكرم بعلامات القرب الإلهي من علم وتصريف ، ونحن ننتظر في عالم غربتنا ويعدنا ، علّها ترجع إلينا من هاتيك الأماكن بقبس ينير معالم الطريق .

(467) وقد محيت أوصافنا في ذواتنا ..... كما فنيت عنّي نعوت ضرائع

المفردات :

ضرائع : جمع ضارع أي مشابه .

المعنى :

عندما قال الجيلي هنا ؛ " وقد محيت أوصافنا في ذواتنا " فهو يشير بذلك إلى محو الصفة في الذات .

والصفة كما يعرّفها الجيلي ، هي ما يوصّل إلى فهمنا حالة الموصوف ، وأنها هي التي تقرّبه من عقلنا ، وتوضّحه في فكرنا .
ويرى الجيلي أن الصفة أساسا هي مجهولة ، وغير متناهية ؛ فمثلا الإنسان إنما يدرك منه ذاته أما ما فيه من صفات كالشجاعة والكرم والعلم مثلا فإنها لا تدرك بشهود ، وإنما تبرز لنا وتظهر شيئا فشيئا ، وعلى قدر محدد .
إننا لا نرى الكرم في الكريم ولكن إذا ظهر كرمه مثلا في موقف معين ، وشوهد أثر هذه الصفة عليه ، حكم له بها وقيل عنه كريم ، وهكذا فالصفة لا ترى ولا تشاهد ولا تدرك ، وهي غير متناهية ؛ ولا نعلم منها إلا آثارها الظاهرة في الوجود .
فالصفة في واقع الأمر كامنة في الذات تظهر آثارها في المناسبات ، ونعلم منها على قدر ظهورها .
وهنا عندما قال الجيلي : " وقد محيت أوصافنا في ذواتنا " فهو يعلمنا بأنه وصل إلى التحقق بالحقيقة وغابت صفاته في ذاته .
بمعنى آخر ، لقد وصل إلى مقام فناء الصفات ، وأن صفاته كلّها من شجاعة وكرم وغيرهما . . .
قد غابت في ذاته ، ومحيت آثارها فلم يعد يظهر عنه أي أثر لصفة من صفاته . . .
أما الشطر الثاني من البيت وهو قوله : **" كما فنيت عني نعوت ضرائع "** ، فيعني أن نعوته كذلك ضارعت صفاته في الفناء وشابهتها ، ففنيت وغابت ، واختفت آثارها في الوجود . . .
ونقول إنّ الصفة والنعت تتشابه معانيها من حيث اللغة ، أما إذا دققنا في الحس اللغوي للمفرد نجد أن الصفة تنبع من الذات وتلتصق بها ، أما النعت فهو وصف يطلقه الغير على الذات لأنه يراه منه .
فإنسان صفته الكرم هو كريم ، وإنسان ننعته بالكرم وقد لا تكون صفته الكرم البتة . . .
فالنعت هو وصف يطلق من خارج على ذات لاحتمال اتّصافها به . . . باختصار النعت هو الوصف بصفة ، ويؤكد ذلك قوله تعالى :سُبْحانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ[الصافات : 180] .
فالوصف إذا نعت من خارج يحتمل الصواب والخطأ . والصفة تنبع من داخل وتظهر آثارها للرائي وهي تشابه الاسم في دلالتها على الموصوف أو على المسمّى . والجيلي هنا عندما قال بفناء الصفات أتى بحرف الجر " في " ، وعندما قال بفناء النعوت أتى بحرف الجر " عن " ، فالصفة لنشوئها من الذات تعود وتفنى " في الذات " ، والنعت لنشأته من الغير ، أي من الرائي والمشاهد ، يعود ويرتد إلى الغير ويفنى " عن الذات " ، فلا تعرف به .

(468) فأفنيتها حتّى فنيت ، ولم تكن ..... ولكنّني بالوهم كنت أطالع

المفردات :

فأفنيتها : أي فأفنيت عرفاني بها ، أي أفنيت ما أعرفه عن الحضرة الإلهية .
ولم تكن : أي ولم تكن هذه المعرفة موجودة حقيقة . **أطالع :** انظر .
المعنى :
يتابع الجيلي وصف فناء صفاته ، فيقول ؛ إنه أفنى كل ما يعرفه عن الحضرة الإلهية ، وذلك لأن كل معرفة هي نظرية ، وهو لا يريد الاهتداء إلى الله تعالى بطريق النظر . . .
أفنى الجيلي النظريات كلها ، وأفنى ما يعرفه عن الحضرة كله ، وأفنى التصورات التي كانت تتنزّل بالحضرة الإلهية من الغيب المطلق إلى التمثيل أو التشبيه ، أفنى كل ما يعرفه وكل ما يراه من آثار الحضرة في الكائنات . . .
وبعد أن أفنى كل ما يعرفه عن الحضرة ، وجد أنه قد فني عن ذاته وعن معرفة ذاته . لأن من عرف نفسه فقد عرف ربه ، ومن فنيت عنه معرفته بربه فني عن معرفه نفسه .
ويكمل الجيلي الكلام على معرفة الحق تعالى فيقول ، وهذه المعرفة بالله لم توجد عندنا في الحقيقة أبدا بل كانت دائما من نتاج تصوراتنا وعقولنا ، والله عزّ وجلّ بخلافها لأنه تعالى ليس كمثله شيء ، ولا تحده تصوراتنا ولا تسعه معرفتنا .
ويرى الجيلي أن الوهم هو الذي كان يصور لنا أن معرفتنا هذه بالله هي حقيقة الوجود الإلهي .
باختصار ، إن كل معلوماتنا عن الله عزّ وجلّ ، وكل معرفتنا به تعالى ، ما هي إلا تصورات عقلية ، يزين لنا الوهم أنها حقيقة ، والله عزّ وجلّ بخلاف كل ذلك .

(469) كذا الخلق فافهم ، إنّه متوهّم ، ..... وهذا فقشر ، كي يضلّ مخادع
المفردات :
متوهم : موجود في الوهم ، له وجود وهمي غير حقيقي . **مخادع :** مخدوع .
المعنى :
ولا يكتفي الجيلي بجعل معرفتنا بالله وهما إنسانيا ، بل ها هو ينظر إلى الخلق كله على أنه وهم ، ويقول ؛ " كذا الخلق فافهم ، إنه متوهم " ، أي وحقيقة المخلوقات أيضا هي وهم ، فافهمها أيها القارئ وأيها السامع ، ولا تدع الأوهام والظواهر تحجبك .
فالمخلوقات لم تستقل أبدا بوجود حقيقي ، وهل أتى عليها يوم من الدهر ونعمت فيه بوجود ذاتي غير معار . . .
فالمخلوقات إذن - كما يرى الجيلي - ليس لها من الوجود إلا الوهم ، ووهم الوجود هذا هو كالقشر الذي وضع قصدا على الحقيقة الواقعة ، ليضلّل المخدوع فلا يعلم بأن الموجودات لم توجد أبدا ، ولم تتمتع بالوجود الحقيقي أبدا

(470) وها هي ما كانت سوى مخزن ولي ..... هناك من الحسن البديع بدائع
المفردات :

وها هي : أي معرفة الله التي توردها النصوص . **ولي هناك :** أي ولي في مخزن العلم.

المعنى :

يقول الجيلي : " وها هي ، ما كانت سوى مخزن " ، أي وها هي معرفتي الظاهرة عن الله والتي استفدتها من قراءة النصوص الدينية ، وإن كانت وهما وتصورا إلا أنها حفظت الأسرار وخزنتها ، حتى لا ينالها إلّا مستحق ....

بكلام آخر ، إن المعرفة الحقيقية بالله عزّ وجلّ كامنة كالجوهر المخزون في النصوص الظاهرة ، وهي لا تتكشّف من النصوص إلا لمن يستحقها .

والجيلي هنا يباهي بأن له في مخزن الأسرار الكثير من العلوم المكنوزة ، وأن له هناك من الحسن البديع بدائع .....

ويرى في [الإنسان الكامل ج 2 / ص 89] ، أنّ الأسرار المودعة لا تتكشف لمن يطلبها بالقول والكلام ، بل تتكشف لمن استحقها بحاله ،

فيقول : أسرار الله تعالى وديعة عند الولي لمن يستحقها ، لقوله تعالى :فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْداً فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوالَهُمْ[النساء : 6] .

(471) فلمّا قبضت الإرث من مخزن الهوى .... تناقض عن جدرانه ، فهو واقع

المفردات :

تناقض عن جدرانه : انقضّ وتهدم . **فهو واقع :** غير قائم.

المعنى :

يتابع الجيلي صورة المخزن الذي يكنز أسرار الشريعة ، فيقول " : ولما قبضت الإرث من مخزن الهوى " ، أي ولما أخذت ما يخصني من الأسرار المخزونة في ظاهر الحروف والكلمات ، تناقض هذا المخزن عن جدرانه ، أي تناقضت جدران الكلمات ووقعت المظاهر أمام تجلي الحقائق الساطعة ...

وقد استخدم الجيلي هنا لفظ " الإرث " ، وهذا الاستخدام يستحق التوقف ، فالجيلي يرى أنّ كل معرفة حقيقة ، وكل سر من الأسرار اختزنته الحروف الظاهرة فهو في الأصل للإنسان الكامل الواحد ، أي محمد صلّى الله عليه وسلم ، ومنه إرثا لكل الأولياء التابعين ، فكل سر يعلمه وليّ أو مقرّب فهو من المعرفة الموروثة وليس من المعرفة المبتدعة .

(472) فكانت كعنقا مغرب وصفت وما ..... حوت غير ذاك الوصف منها البقائع

المفردات :

عنقاء مغرب : طائر موجود بالاسم فقط ولم يوجد في الواقع أبدا ، ويكني العرب بالعنقاء عن كل أمر مجهول أو مستحيل ....

وقد استعار الصوفية عبارة " عنقاء مغرب " ليعبروا بها عن الشيء المعقول ، والموجود في الذهن وفي الاسم فقط ، والذي لم يوجد في الحسّ أبدا ، ويعرفه الجيلي

بقوله هو : " اسم وضع على معنى ، ليحفظ رتبته في الوجود " . **البقائع :** جمع بقعة من الأرض .

المعنى :

يستخدم الجيلي في هذا البيت رمز عنقاء مغرب ، هذا الطائر الأسطوري الذي لم يوجد إلا في الاسم ، ويقول عن العنقاء بأنها " وصفت وما حوت غير الوصف منها البقائع " ، أي نعرف من العنقاء أوصافها فقط ، لأن الأرض لم تحو منها إلا هذه الأوصاف .

ثم يستفيد الجيلي من غياب العنقاء في الحقيقة ، وبقائها في الاسم ، ليشتكي من إفلاس الإنسان ومن تقصير معرفته بالله عزّ وجلّ .

فالجيلي ، وكل إنسان ، لا يعرف من الله عزّ وجلّ ولا يملك منه تعالى ، إلا أسماء سمّى بها نفسه تعالى في كتابه الكريم .

فالاسم هو الذي بيدنا فقط من المسمى ، وهو دليلنا الوحيد إليه ....

يقول الجيلي في [الإنسان الكامل ج 1 ص 16] مقارنا بين علاقة الاسم والمسمى في الله عزّ وجلّ وفي العنقاء : " إن مسمّى عنقاء في نفسه عدم محض ، فكذلك مسمّى الله تعالى في نفسه وجود محض ،

فهو [أي مسمى عنقاء] مقابل لاسم الله باعتبار أن لا وصول إلى مسمّاه إلا به . . فكذلك الحق سبحانه وتعالى لا سبيل إلى معرفته إلا من طريق أسمائه وصفاته"

(473) هي الذّات طاحت إن عرفت إشارتي ..... نجوت وإلّا فالجهالة خادع

المفردات :

طاحت : فاضت ، عمّت .

المعنى :

بعد أن اشتكى الجيلي من تقصير المعرفة الإنسانية بالله ، ومن أننا لا نملك منه تعالى إلا أسماء سمّى بها نفسه ،

يقول : " هي الذات طاحت " ، أي إن هي إلا الذات الإلهية قد طاحت وعمّت ، فغمرت الأسماء والصفات كلها ، واستهلكتها في أحديتها .

وذلك لأن الأسماء والصفات الإلهية ، وإن كانت معاني يدركها الإنسان ويفهمها ، إلا أنه لا وجود لها مستقل ومغاير عن وجود الذات الإلهية ؛ ففي الواقع أن الذات الإلهية عمّت فغمرت ، ولم تبق لاسم أو لصفة وجودا .....

ثم يتابع الجيلي بقوله : " إن عرفت إشارتي نجوت ، وإلا فالجهالة خادع " ، أي إن عرفت ما أشرت إليه هنا من استهلاك الأسماء والصفات في أحدية الذات نجوت من حجب المظاهر ، وإن لم تفهم إشاراتي خدعك الجهل وخدعت ، لجهلك بأن الذات تغمر بأحديتها الصفات والأسماء كلها ، وإنه لا وجود لسواها .

(474) وهاك حديث المنحنى غير أنّه ..... على الورد من قشر الكمام قمائع

المفردات :

قمائع : حجب تقمع الرؤية .

المعنى :

بعد أن بيّن الجيلي أن الإنسان لا يملك من معرفته بالله إلا أسماء وأوصافا ، وأن هذه الأسماء وهذه الأوصاف لا وجود لها مستقلا عن الذات ، يتابع الكلام على علاقة الذات بالأسماء والصفات ، فيقول ؛ وسأحدثك الآن على علاقة الذات بالأسماء والصفات ، غير أن حديثي سيكون بالمثال والتشبيهات قمعا للحقائق وحجبا لها وصيانة .

(475) غزال لها عينان بالسّحر كحّلا ..... فواحدة فقعا وأخرى فواقع

المفردات :

فقعاء : بارزة اللون . **فواقع** : جمع فقعاء .

المعنى :

يستخدم الجيلي هنا رمز الغزال وعينيه ليدل على الحقيقة وتجلّياتها .
فالحقيقة أو الذات هي المرموز إليها بالغزال .
والعينان هما التجلّيان : العين الأولى ترمز إلى التجلي في الوحدة ، والعين الثانية ترمز إلى التجلي في الكثرة .

(476) كثوب له طول ولكنّ لونه ..... حكى ورق الرّيحان اخضر يانع

المفردات :

الريحان : كل بقل طيب النبت واحدته ريحانه .

المعنى :

يستخدم الجيلي هنا رموز أخرى إضافة إلى الغزال وعينيه ، وهي الثواب ولونه وطوله ؛ ليمثّل العلاقة بين الذات والأسماء والصفات .
فالثوب في التشبيه كالذات ، واللون والطول هما كالصفات في علاقتهما بالذات .
فالثوب له طول وله لون ، وهو أيضا لا يظهر في الواقع إلا متجلّيا في صفاته.

(477) فما الطّول إلا الثوب واللون عينه ..... إذ الحكم للمحكوم في الأمر تابع

المعنى :

يتابع الجيلي صورة الثوب وطوله ولونه ، فيقول : " فما الطول إلا الثوب واللون عينه " بمعنى إن الطول لا يوجد وحده مستقلا عن الثوب ، بل الطول هو طول الثوب ، واللون كذلك لا يوجد وحده مستقلا بل اللون هو لون الثوب . وهذا يقود الجيلي للمقولة التالية ، " إذ الحكم للمحكوم في الأمر تابع " ، بمعنى إن الحكم الذي نطلقه على الثوب فنقول طويل أو أخضر إنما هو في حقيقة الأمر حكم يتبع المحكوم أي الثوب ، فنقول

ثوب طويل وثوب أخضر ؛ فالحكم يرجع إلى الذات ، إلى الثوب ، والصفة تتبع الموصوف ولا تستقل بذاتها.

(478) وما الثّوب طولا لا ولا اللّون ذاته ..... وما ثمّ إلا الثوّب تلك المجامع

المفردات :

المجامع : مجموع الكل ، مجموع الذات والصفات .

المعنى :

يتابع الجيلي صورة الثوب وطوله ولونه ، فيقول ؛ " وما الثوب طولا ، ولا اللون ذاته " بمعنى وليس الثوب هو الطول وحده ، أو اللون وحده ، بل يمكن القول إنّ الثوب هو المجامع أي مجموع الكل . فالذات هي الجامعة لكل صفاتها .

(479) زرعت لك المعنى بلفظي فاجن ما ..... منحتك من أثمار ما أنا زارع

المعنى :

ينهي الجيلي صوره التشبيهية ورموزه ، التي تمثّل العلاقة بين الذات والصفات ، بحثّ القارئ على جني ثمارها ،
فيقول : " زرعت لك المعنى بلفظي فاجن " ، أي جعلت لك المعاني كالزروعات ، وزرعتها لك في أرض الألفاظ وشجرها ، وما عليك أيها القارئ إلا أن تمد يدك إلى ثمار الحقائق الدانية قطوفها على شجر الألفاظ .

(480) فإنّي لمّا أن تبدّت هويّتي ..... خفيت ، وإن تغرب فإنّي طالع

المفردات :

تبدت : ظهرت . **تغرب :** تغيب ، تختفي ، تفنى.

المعنى :

بعد أن وصل الجيلي إلى مقام الفناء وشهد بقاءه بعد الفناء ، رأى أن لا وجود حقيقي له ولا لأي شيء في الكون . فالخلق متوهم لأن الذات الإلهية تسحق بأحديّتها كل صفة وكل أثر لصفة ...
فآثار الصفات التي هي الأوصاف قد فنيت في الصفات ، والصفات فنيت في الذات ؛ وما هي إلا الذات طاحت وعمت كل شيء . . . .
وقد دافع الجيلي عن فكرته بالصور التمثيلية السابقة ، وهنا يعود الجيلي لتصوير بقائه بعد الفناء ، وتصوير هوية هذا البقاء ، الذي هو بقاء كل واصل إلى قرب الولاية ،
فيقول : " فإني لما أن تبدّت هويتي خفيت ، وإن تغرب فإني طالع " ، بمعنى فإنني أفنى وأختفي ما أن تتبدّى أحكام الحضرة الإلهية على أنها هويتي ، وإن تغيب أحكام الحضرة الإلهية عن الظهور فيّ ، فإنني أعود للظهور بحقيقتي الإنسانية الخلقية .

وهكذا تقوم علاقة جدلية ، على أرض ذات الإنسان الواصل إلى البقاء بالله ، بين أحكام الحضرة الإلهية وبين أحكام الحضرة الإنسانية الخلقية . فتارة تظهر على ذات هذا الإنسان أحكام الحضرة الإلهية ، وهذا مقام قرب النوافل الذي يتحقق فيه العبد بأن الحق تعالى هو سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ...
وتارة أخرى تظهر على أرض ذاته كل أحكام الحضرة الخلقية الكونية ، فيتحقق العبد بالذل والافتقار والعجز ..
يقول الجيلي ، [في الإنسان الكامل ج 2 ص 49 وما بعد] ؛ مقارنا بين علامات الساعة الكبرى واشراطها وبين علامات قيامها في كل فرد من أفراد الإنسان : " . . .
فكما أن من إمارات الساعة الكبرى أن تلد الأمة ربّتها ، وأن ترى الحفاة العراة رعاة الشاة يتطاولون في البنيان ،
كذلك الإنسان علامة قيام ساعته الخاصة به ظهور ربوبيته سبحانه وتعالى في ذاته ، فذات الإنسان هي الأمة ، والولادة هي ظهور الأمر الخفي من باطنه إلى ظاهره ، لأن الولد محله البطن ، والولادة بروز إلى ظاهر الحس ،
فكذلك الحق سبحانه وتعالى موجود في الإنسان بغير حلول ، وهذا الوجود باطن فإذا ظهر بأحكامه وتحقق العبد بحقيقة كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها ، ظهر الحق تعالى في وجود هذا الإنسان ، فتمكن من التصرف في عالم الأكوان ..
" كما يقول أيضا في المعنى نفسه في [الإنسان الكامل ج 1 ص 19] " : فالأمر في الإنسان دوري ، بين أنه مخلوق له ذل العبودية والعجز ، وبين أنه على صورة الرحمن فله الكمال والعز . . .
[فهو أي الإنسان] الجامع لوصفيّ النقص والكمال ، والساطع في أرض كونه بنور شمس المتعال "

(481) وليست سواي لا ، ولست بغيرها ..... ومن بيننا تاء المخاطب ضائع
المعنى :
يتابع الجيلي الكلام على كيفية بقائه بالله بعد فنائه عن كل شيء ، ويصور بالكلمة وجوده هذا في حال البقاء ، فيقول ؛ " وليست سواي ، لا ولست بغيرها " ، بمعنى وليست الحضرة الإلهية سواي وأنا لست غيرها .
وبما أنه لم يعد هناك غير فقد انتفت الحاجة للكلام " بأنا وأنت " ، أي ارتفع ضمير المخاطب ولم يعد يداخل الكلام والنجوى بين العابد والمعبود ، بين العاشق والمعشوق ...
يقول السراج في [اللمع 461 - 463] : " لا يبلغ المتحابان حقيقة المحبة حتى يقول الواحد للآخر : يا أنا .
ويقول أبو يزيد البسطامي : ألبسني أنانيتك حتى إذا رآني خلقك قالوا : رأيناك ، فتكون أنت ذاك ولا أكون أنا هناك " .

ويعلق السراج على قول أبي يزيد قائلا : " فهذا وأشباه ذلك تصف فناءه [أي فناء أبي يزيد] وفناءه عن فنائه ، وقيام الحق عن نفسه بالوحدانية ، وكل ذلك في حديث قرب النوافل . "
وهكذا يعلمنا الصوفية بأنهم تدرجوا في مراتب القرب ، تعبّدوا الله بالفرائض وتقرّبوا إليه بالنوافل حتى أحبّهم ، وصار سمعهم وبصرهم وكل قواهم ...
ولكن مهما فني الإنسان وسحق ومحق تحت تجليّات الحق يبقى عبدا مخلوقا .

يقول الجيلي في [الإنسان الكامل ج 1 ص 21] : " واعلم أن إدراك الذات العلية هو أن تعلم بطريق الكشف الإلهي أنك إيّاه وهو إيّاك ، وأن لا اتحاد ولا حلول ، وأن العبد عبد والرب رب ، ولا يصير العبد ربا ولا الرب عبدا ، فإذا عرفت هذا القدر بطريق الذوق والكشف الإلهي الذي هو فوق العلم والعيان ، ولا يكون ذلك إلا بعد السحق والمحق الذاتي ، وعلامة هذا الكشف أن يفنى أولا عن نفسه بظهور ربّه ، ثم يفنى عن ربّه بظهور سر الربوبية ، ثم يفنى ثالثا عن متعلقات صفاته بمتحققات ذاته . " . . .
<u>ويقول في ذلك شعرا في</u> [الإنسان الكامل ج 1 ص 25] :
قلبي بكم متصلب ... . متسكن متقلب
وخيال حبكم به ... . أبداً يجيء ويذهب
ما أنتم مني سوى .... نفسي فأين المهرب
ألقيت نفسي فاغتدت ... . مما لكم أتقلب
وتركتني فوجدتني ... . لا أم ثم ولا أب
وجحدت ما قبلي وما ...... بعدي ولا أتريب
ونفيت عني الاختصاص ...... بوجهه يتقرّب
أنا ذلك القدوس في ...... قدس العماء محجب
أنا ذلك الفرد الذي ... . فيه الكمال الأعجب
أنا قطب دائرة الرحى .... وأنا العلا المستوعب
وأنا العجيب ومن به .... مما حوى ذا المعجب
فلك المحاسن فيه شمس ...... مشرق ولا مغرب
لي في العلا فوق المكان .... مكانة لا تقرب
في كل منبت شعره .... مني كمال معرب
وبكل صوت طائر ... . في كل غصن يطرب
وبكل مرأى صورتي .... تبدو وقد تتحجب
حزت الكمال بأسره .... فلأجل ذا أتقلب
وأقول إني خلقه ... . والحق ذاتي فاعجبوا
نفسي أنزّه عن مقا ...... لتي التي لا تكذب
الله أهل للعلا ... . وبروق خلقي خلب
أنا لم كن هو لم يزل ...... فلأي شيء أطنِب

ضاع الكلام فلا آلا ... . م ولا سكوت معجب
جمعت محاسني العلا .... أنا غافر والمذنب

(482) فإنّي إيّاها بغير تأوّل ..... كما أنّـها إيّاي ، والحقّ واسع

المفردات :

تأول : تأويل .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل شهوده لذاته في مقام البقاء بالله ، فيقول ؛ " فإني إياها بغير تأول " ، بمعنى : شهدت أنني أنا هي ، أي الحضرة ، وشهودي هذا لا تطلبوا مني تأويله بالعقل لأنه شهود بغير تأول وتأويل.

بكلام آخر ، اقبلوا مني هذا الشهود من غير تأويل ، كما قبلته أنا دون أن ألجأ إلى العقل في محاولة تصنيف أو تأويل ، كأن أقول عنه مثلا إنه اتحاد بين ذاتين ، أو إنه حلول للحق في ذات العبد .

فالجيلي هنا شهد أنه الحضرة ، وقبل شهوده دون أن يحاول ترجمته إلى مقولة عقلية .

ومن ناحية ثانية ، شهد الجيلي بأن الحضرة هي ذاته دون تحديد أيضا ، فيقول ؛ " كما أنها إيّاي والحق واسع " ، أي وإن كانت الحضرة هي ذاتي ، إلا أنها لا تنحصر في مشهد دون مشهد ، أو في تجل دون تجل ، فالحق واسع يسع كل المظاهر لا يحدّه مظهر دون مظهر .

(483) فكلّ عجيب من جمالي مشاهد ..... وكلّ غريب من كمالي شائع

المعنى :

نلاحظ أن الجيلي بدأ منذ البيت (رقم 445) يروي علينا ما أنعم الله به عليه من القرب ، وما منحه من نعم المقربين ، والبيت **(رقم 445)** أشعرنا ببداية تنعّم الجيلي في القرب ،

لقوله : " ولما مضى ليلي وولّت نجومه وأشرق شمسي في الألوهة ساطع " ، فليله إذن قد ولّى ، وها هي شمسه تسطع في مراتب القرب . هذا القرب الذي سيفصّل مظاهره هنا ، والذي نجده إذا رجعنا إلى كتابه الإنسان الكامل .

في بداية كتاب [الإنسان الكامل ج 1 ص 34 وما بعد] نجد صورة مفصّلة لما يمكن أن يمنحه إنسان من نعم القرب والولاية .

ونقول ، إن الإنسان عند وصوله إلى ذرى القرب تخلع عليه الصفات الإلهية خلعها ، فنراه يسمع بسمع جديد ويبصر ببصر جديد ، وكذلك في قواه ، يفنى عن قوته السابقة ليبقى بقوة جديدة أعلى وأعظم .

وهذا ما غاب على معظم المقلّدين للصوفية ، إذ عندما وجدوا نصا يحدّث عن الفناء والغيبة قلّدوا النصّ وغابوا عن الحضور في عالمهم ، وغاب عنهم أن غيبة الواصل ، وفناءه هي سبب لحضور أعظم ، ولبقاء أعظم وأعلى .
فالإنسان الفاني يبقى بالله عزّ وجلّ ، والله عزّ وجلّ حضور كامل شامل لكل مكان وأوان .
حضور للجزء والكل ، للغيب والشهود . ويشرح الجيلي في مقدمة الإنسان الكامل التجليات الإلهية على الإنسان الواصل إلى مقام البقاء ، وتتدرج هذه التجليات من تجليات الأفعال إلى تجليات الأسماء وصولا إلى تجليات الصفات .
ففي المرتبة الأولى يتجلى الحق سبحانه وتعالى في أفعاله على العبد ، وهذا التجلي عبارة عن مشهد يرى فيه العبد جريان القدرة الإلهية في الأشياء ، فيشهده سبحانه وتعالى محرّك الأشياء ومسكّنها ، بنفي الفعل عن العبد وإثباته للحق .
والعبد في هذا المشهد ، أي في مشهد تجلي الأفعال ، مسلوب الحول والقوة والإرادة .

وبعد تجلي الأفعال يتجلى الله تعالى على عبده بالأسماء الإلهية [الإنسان 1 / 35 - 36] ، فإذا تجلّى تعالى على عبد من عبيده في اسم من أسمائه ، اصطلم العبد تحت أنوار ذلك الاسم ؛ فمتى نادى إنسان الحق تعالى بذلك الاسم أجابه العبد لوقوع ذلك الاسم عليه ؛
وكلما تجلى الله تعالى في اسم من أسمائه ، كاسمه الله أو الرحمن أو الرب ، فإنه يصبح أعز مما قبله في الترتيب ، وذلك لأن تجلي الحق في التفصيل أعز من تجليه في الإجمال ؛ فظهوره لعبده في اسمه الرحمن تفصيل لإجمال ظهر به عليه في اسمه الله وهكذا ...
<u>وقد عبّر الجيلي في قصيدته عن تجليات الأسماء (من البيت 453 وما بعد ، حتى البيت رقم 466) ، فلتراجع .</u>

وبعد تجلي الأسماء ينتقل العبد ، إذا قوّاه الله ، إلى تجليات الصفات ، ويشرح الجيلي تجلّي الصفات في [الإنسان الكامل ج 1 ص 37 - 38] ، فيرى أنه إذا تجلت ذات الحق سبحانه وتعالى على عبد ، بصفة من صفاتها ، سبح العبد في فلك تلك الصفة إلى أن يبلغ حدّها بطريق الإجمال لا بطريق التفصيل .فإذا سبح العبد في فلك تلك الصفة وامتلكها بحكم الإجمال استوى على عرش تلك الصفة فكان موصوفا بها ، فحينئذ تتلقاه صفة أخرى ، فلا يزال كذلك إلى أن يستكمل الصفات جميعها ....
ولسنا هنا في مجال عرض نظرية الجيلي كاملة بل نأخذ منها قدر ما تستلزم هذه القصيدة التي نشرحها ؛ والقدر الذي تستلزمه الأبيات القادمة هو التوقف عند سبعة من أهل تجليات الصفات .
فمنهم [1] من تجلّى الحق له بالصفة الحياتية فكان هذا العبد حياة العالم بأجمعه يرى سريان حياته في الموجودات جميعها ؛ جسمها وروحها ....

ومنهم [2] من تجلّى الله عليه بالصفة العلمية ، وذلك أنه لما تجلّى عليه بالصفة الحياتية السارية في جميع الموجودات ذاق هذا العبد بقوة أحدية تلك الحياة جميع ما هي عليه الممكنات ، فحينئذ تجلت الذات عليه بالصفة العلمية فعلم العوالم بأجمعها ، على ما هي عليه من تفاريعها من المبدأ إلى المعاد ....
ومنهم [3] من تجلّى الله عليه بصفة البصر . . . فكان بصر هذا العبد موضع علمه ، فما ثمّ علم يرجع إلى الحق ، وما ثم علم يرجع إلى الخلق ، إلا وبصر هذا العبد واقع عليه . فهو يبصر الموجودات كما هي عليه في غيب الغيب . والعجب كل العجب أنه يجهلها في الشهادة .
ومنهم [4] من تجلّى الله عليه بصفة السمع ، فيسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات وكلام الملائكة واختلاف اللغات . . .
ومنهم [5] من تجلّى الله عليه بصفة الكلام ، فكانت الموجودات من كلام هذا العبد . . .
ومنهم [6] من تجلّى الله عليه بالصفة الإرادية ، وكانت المخلوقات حسب إرادته . . .
ومنهم [7] من تجلّى الله عليه بصفة القدرة ، فتكونت الأشياء بقدرته في العالم الغيبي .
ولنرجع إلى أبيات الجيلي لنراه يفصل لنا من البيت (رقم 483) ، أي الرقم الذي نشرحه الآن ، إلى البيت (رقم 520) ، تجليات الصفات الإلهية السبع عليه ؛
وهي : **الحياة والعلم والبصر والسمع والكلام والإرادة والقدرة.**
ولعل اقتصار الجيلي هنا على الصفات السبع مرجعه إلى أن الجيلي يرى ؛ أسوة بالصوفية ؛ الإنسان على صورة الرحمن ، والرحمن اسم ينضوي تحته جميع الأسماء الإلهية النفسية وهي هذه السبع التي اقتصر عليها هنا . [را . الإنسان الكامل ، ج 1 / ص 20 - 22].

وابتداء من هذا البيت سيرتفع الجيلي أمام أعيننا على قاعدة الكمال ، وسيدور متمهلا لنرى أوجه كماله ، ونرى ما حلّاه الله به من جميل صفاته .
وأولها صفة الحياة ، وقد أشار أيضا إلى تحليه بهذه الحياة في كتابه الإنسان الكامل فقال : " وكنت في هذا التجلي مدة من الزمن أشهد حياة الموجودات فيّ ، وانظر القدر الذي لكل موجود من حياتي ، كل على ما اقتضاه ذاته ، وأنا في ذلك واحد الحياة غير منقسم بالذات ، إلى أن نقلتني يد العناية عن هذا التجلي إلى غيره ....
" فالجيلي إذن ، على ما قال في كتابه الإنسان الكامل ، وعلى ما نفهمه من قوله هنا ، قد حلّاه الله الحيّ بصفته ، فشهد بأن كل عجيب في الكون هو من جماله ، وشهد أن كل غريب ظهر وشاع في الوجود فهو من كماله .
لذلك قال : " فكل عجيب من جمالي مشاهد ، وكل غريب من كمالي شائع . "

أما سبب استخدام الجيلي للفظ عجيب مع الجمال فذلك لأن الجمال يدهش ، إذ كل جميل إذا طغى جماله أدهش وأعجب . وسبب استخدامه للفظ غريب مع الكمال ، لأن الكمال مستبعد عقلا ومستغرب في عالم يشارك النقص في بناء وجوده .

ويقول الجيلي في [الإنسان ج 2 ص 12] : " لا يدهشك الجمال ولا يرعشك الجلال ، ولا تستبعد استيعاب الكمال " .

(484) وكلّ الورى طرّا مظاهر طلعتي ..... مراء بها من حسن وجهي لامع

المفردات :

الورى : الخلق ، المخلوقات . **طرا :** كافة ، جميعا . مراء : جمع مرآة .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل تجلّي صفة الحياة فيه فيقول : " وكل الورى طرا مظاهر طلعتي " ، أي ويظهر وجهي ، وأطلع في كل الكائنات . . . فكل الكائنات هي مرآء يلمع بها حسن وجهي .

(485) ظهرت بأوصاف البريّة كلّها ..... أجل في ذوات الكلّ نوري ساطع

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل تجلّي صفة الحياة فيه ، فيقول ؛ إنه هو الذي يظهر في كل وصف ظهر به مخلوق ، وإن نوره هو الذي يسطع في ذات كلّ مخلوق.

(486) تخلّقت بالّتحقيق في كلّ صورة ..... ففي كلّ شيء من جمالي لوامع

المفردات :

تخلقت : أصبحت خلقا .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيله صفة الحياة فيقول : " تخلقت بالتحقيق في كل صورة " ، أي تنوّعت صوري ، فكل صورة في الكون قد تخلّقت بها ، حين تحققت بها ...
لذلك ففي كل شيء من جمالي لوامع ، بمعنى جمالي يلمع في كل شيء.

(487) وما الكوّن في التّمثال إلا كدحية ..... تصوّر روحي فيه شكل مخادع

المفردات :

دحية : إشارة إلى دحية الكلبي ، وكان من أجمل الصحابة وجها ، وقد ورد في الخبر أن جبريل عليه السّلام كان يأتي النبي صلّى الله عليه وسلم في صورته .

المعنى :

يفصّل هنا الجيلي البيت السابق ، الذي يؤكد فيه على تخلقه في كل صورة ، مستندا إلى الخبر الذي ورد بأن جبريل عليه السّلام كان يأتي النبي صلّى الله عليه وسلم أحيانا

في صورة دحية الكلبي [أخرجه أحمد 2 / 107 بسند صحيح ، وأورده الحافظ في الإصابة 3 / 191 عن النسائي ، وصحّح إسناده] .

وقد استخدم الجيلي هذا الحدث ليبين أن العالم كلّه هو في المثال كدحية ، أي أن العالم كله هو مجرد مظهر ، هو عبارة عن شكل يخدع الناظر ، بحيث أن الناظر ينحجب بهذا الشكل فلا يدرك الروح المتصوّرة فيه ، كما خدع الصحابة بدحية حتى أخبرهم النبي صلّى الله عليه وسلم أنه جبريل ...
والجيلي يقول هنا ؛ إن روحه هي التي تصوّرت في جسم الكون ، فكان الكون أو الوجود هو الشكل أو المظهر ، وكان الجيلي - الانسان الكامل - الذي تجلت فيه صفة الحياة هو الروح ، أي روح الكون أو روح الوجود ...

(488) فصفني بأوصاف الأنام جميعها ..... فإنّي لذيّاك المحاسن جامع

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل تجلّي صفة الحياة فيه ، فيقول للسامع ؛ صفني بكل وصف ، وذلك لأنني أجمع كل أوصاف الموجودات.

(489) وعن كلّ تشبيه فإنّي منزّه ..... وفي كلّ تنزيه فإنّي مضارع

المفردات :

مضارع : مشابه أو مشبّه .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل صفة الحياة فيه ؛ فبعد أن طلب من السامع أن يصفه بكل أوصاف الوجود ، وأن يشهد كل جمال كوني من حسنه نابع ، يحذره هنا من أن ينحجب بالتشبيه أو التنزيه ، فيقول له : " ومن كل تشبيه فإني منزه " ، أي نزّهني عندما يصلك خبر يفيد التشبيه .
ومن جهة ثانية ، يقول له : " وفي كل تنزيه ، فإني مضارع " ، أي وشبهني في التنزيه .
فالجيلي يطلب من القارئ أو السامع أن لا ينسى حقه من التشبيه حين ينزّهه ، ولا ينسى حقّه من التنزيه حين يشبهّه ....
وهذا يطرح للأذهان علم الكلام الصوفي ، الذي لم يمش مع التنزيه الإلهي إلى حد التعطيل الصفاتي ، ولم يمش مع التشبيه الإلهي إلى حد التجسيم .
بل نزّه الله تعالى في كل مشهد وفي كل تجل تشبيهي ، ولم ينس التشبيه الإلهي في كل مشهد تنزيهي .
فالحقيقة - كما يراها الصوفي - تشبيه في تنزيه ، وتنزيه في تشبيه .
ونحن لا نعرف الله عزّ وجلّ إلا إذا نزّهناه حين تشبيهنا له ، وشبّهناه حين تنزيهنا له .

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الجيلي هنا ، وأسوة برجال الصوفية ، يرى أن الذات الإلهية منزّهة عن المعرفة البشرية ؛ وأن كل تنزيه نقاربه فإنما هو محدث مثلنا ، والله عزّ وجلّ منزّه عن تنزيهنا له .

يقول الجيلي في [الإنسان الكامل ج 1 ص 32] : " التنزيه عبارة عن انفراد القديم بأوصافه وأسمائه وذاته ، كما يستحقه من نفسه لنفسه ، بطريق الأصالة والتعالي . . .

فليس بأيدينا من التنزيه إلا التنزيه المحدث ، والتحق به [تعالى] التنزيه القديم . . . "
ويقول أيضا في التشبيه : " التشبيه الإلهي عبارة عن صورة الجمال ، لأن الجمال الإلهي له معان وهي الأسماء والأوصاف الإلهية ، وله صورة وهي تجليات تلك المعاني فيما يقع عليه من المحسوس أو المعقول .
فالمحسوس كما في قوله : رأيت ربّي في صورة شاب أمرد ، والمعقول كقوله تعالى : " أنا عند ظن عبدي بي ، فليظن بي ما شاء . . . "
ولا شك أن الله تعالى في ظهوره بصورة جماله باق على ما استحقه من تنزيه ، فكما أعطيت [الخطاب هنا للقارئ] الجناب الإلهيّ حقّه من التنزيه ، فكذلك أعطه من التشبيه الإلهي حقّه " . . .
هكذا إذن الأمر عند الصوفية ، تشبيه في تنزيه ، وتنزيه في تشبيه .

(490) وجسمي للأرواح روح مدبّر ..... وفي ذرّة منه الأنام جوامع

المعنى :
يتابع الجيلي بيان تجلّي صفة الحياة فيه ، فيقول : " وجسمي للأرواح روح مدبر " ، وقبل أن نشرح هذا القول ، نتوقف عند رؤية الجيلي للعلاقة بين الروح والبدن في الإنسان .
فالبدن أو الجسم هو صورة الإنسان ، والروح هو معناه . للإنسان بدن هو صورته ، وروح هي معناه . فإذا كان الأغلب على الإنسان مقتضيات البدن والجسم أي مقتضيات البشرية والشهوانية فإن روحه تكتسب الرسوب المعدني ، وتتقيد في البدن سجينة العادة والطبيعة .
أما إذا كان الأغلب على الإنسان الأمور الروحانية ، من دوام الفكر الصحيح وإقلال الطعام والكلام ، فإن بدنه يكتسب اللطف الروحي ، فيخطو على الماء ويطير في الهواء [را . الإنسان الكامل ، 2 / 9] .

ولسنا هنا في معرض بحث ترقّي الإنسان في مقاماته ، ولكن لنقول :

إن العلاقة بين البدن وبين الروح هي علاقة حميمة . فالإنسان مهما ترقّى في الروحية لا يفارق بدنه ، بل بدنه يتابعه في التنور والروحانية ؛ بكلام آخر يترقى الإنسان ببدنه وبروحه معا من بدايات البشرية إلى أعلى المراتب الروحية . وهذا الاتحاد في الإنسان بين بدنه وروحه يفسر لنا لماذا عندما يصل الإنسان إلى مقام قرب النوافل ، ويصبح الحق سمعه وبصره ويده ولسانه ، فإنه إذا مسح بيده أبرأ الأكمه والأبرص ، وكذا في بقية قواه وأوداتها .

وعندما يقول الجيلي هنا ؛ بأن جسمه هو الروح المدبر لأرواح الوجود ، فهو يريد أن يقول إن جسمه الذي هو صورته قد أصبح هو المعنى والروح التي تمد أرواح الوجود بالحياة والرعاية والمراعاة والتدبير ؛ بكلام آخر إن جسمه هو روح أرواح الوجود . . .

وقوله : " وفي ذرة منه الأنام جوامع " تعني أن كل الخلق والمخلوقات ، على كثرتهم ، وعلى تعدادهم ، تسعهم ذرة من جسم الجيلي وهي تكفيهم حتى يجتمعوا فيها.

(491) ولو لم يكن في الحسن منّي لطيفة ..... لما كانت الأجفان فيّ تطالع

المفردات :

لطيفة : الأمر الدقيق اللطيف الروحاني في مقابل الكثيف البدني .

الأجفان : العيون . **تطالع :** تنظر .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل تجلّي صفة الحياة فيه ، فيقول : " ولو لم يكن في الحسن مني لطيفة " ، بمعنى ولو لم يكن في كل أمر جميل شيء لطيف مني ، لما رأت العيون الجمال في الجميل .

بكلام آخر ؛ أنا السر اللطيف المودع في جمال كل جميل ، وأنت أيها الناظر تنظر في الواقع إلى جمالي اللطيف المودع في كل جميل ، ولولا وجود جمالي [صفة الجمال الإلهي] في الجميل لما نظرت إليه .

(492) ولولا لذاتي في الكمال محاسن ..... تلوح ، لما مالت إليها الطّبائع

المفردات :

تلوح : تظهر . **الطبائع :** جمع طبع .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل تجلّي صفة الحياة فيه ، فيقول ؛ ولولا أن جمال ذاتي يظهر ويلوح في كل كامل ، لما انجذبت طباع البشر نحو الكمال.

(493) فهيكل شخصي كلّ فرد بسيطه ..... لجوهر أنواع المحاسن جامع

المفردات :

فهيكل شخصي : صورة شخصي ، جسمي . **بسيطه :** من البساطة والوحدة التي هي ضد التركيب والتعدد . **فرد :** مفرد ، وهو الوحدة التي قد تكون مبنية على التركيب .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل وجود العبد الذي تجلّت فيه صفة الحياة ، وهذا العبد هنا هو الجيلي ، وكيف أنه يصبح حياة العالم بأجمعه ، تسري حياته في الموجودات جميعها ، جسمها وروحها ، ويشهد كيفية سريان حياته في الموجودات ، ذوقا إلهيا كشفيا غيبيا عينيا [را . الإنسان الكامل ، 1 / 38] .

ويعلمنا الجيلي هنا ؛ بأن بسيط كل مفرد في هيكل شخصه ، أي في جسمه ، يجمع جوهر أنواع المحاسن.

(494) وإنّي على تنزيه ربّي لقائل ..... بأوصافه عنّي ، فحقّي صادع

المفردات :

حقي : هويتي الحقيقة . **صادع :** ظاهر ، بيّن .

المعنى :

بعد أن فصّل الجيلي ما يتصف به ، وقد تجلت على ذاته ذات الحق سبحانه وتعالى بصفة الحياة ، يقف منبها على قوله بالتنزيه .

فالعبد ، وإن تجلت على ذاته ذات الحق بصفة من صفاته تعالى ، إلا أن صفات الحق سبحانه منزهة عن أوصاف العبد ،

لذلك يقول الجيلي : " وإني على تنزيه ربي - لقائل - بأوصافه عني " ، أي وإني أقول بتنزيه أوصاف ربي عن أوصافي .

أما قوله " : فحقي صادع " ، فتعني أن حقيقتي ظاهرة وبيّنة ؛ ويريد الجيلي هنا أن يقول ، إنه وعلى الرغم من قوله بالتنزيه ، فتحقق الصفات الإلهية في حقيقة ظاهر وبيّن .

تاسعا الأبيات من (495) إلى (535) الجيلي يروي سيرته الروحية
الجزء السادس

(495) أنا الحقّ والتحقيق جامع خلقه ..... أنا الذّات والوصف الذي هو تابع
(496) فأحوي بذاتي ما علمت حقيقة ..... ونوري فيما قد أضاء ، فلامع
(497) ويسمع تسبيح الصّوامت مسمعي ..... وإنّي لأسرار الصّدور أطالع
(498) وأعلم ما قد كان في زمن مضى ..... وحالا ، وأدري ما أراه مضارع
(499) ولو خطرت في أسود اللّيل نملة ..... على صخرة صمّا فإنّي مطالع
(500) أعدّ الثّرى رملا مثاقيل ذرّه ..... وأحصي عديد القطر وهو هوامع
(501) وأحكم موج البحر وسط خفيّها .....عيارا ومقدارا كما هو واقع
(502) وأنظر تحقيقا بعيني محقّقا ..... قصور جنان الخلد وهي قلائع
(503) وأتقن علما بالإحاطة جملة ..... لأوراق أشجار هناك أيانع
(504) وكلّ طباق في الجحيم عرفتها ..... وأعرف أهليها ، ومن ثمّ واقع
(505) وأنواع تعذيب هناك علمتها ..... وأهوالها طرّا ، وهنّ فظائع
(506) وأملاكها حقّا عرفت ، ولم يكن ..... عليّ بخاف ما له أنا صانع
(507) وكلّ عذاب ثمّ ذقت ولم أبل..... أأخشى وإني للمقامين جامع
(508) وكلّ نعيم إنّني لمنعّم به ..... وهو لي ملك ، وما ثمّ رادع "
(509) وكلّ عظيم في البريّة إنّه ..... كقطرة ماء من بحاري دافع
(510) وكلّ حكيم كان أو هو كائن ..... فمن نوري الوضّاح في الخلق لامع
(511) وكلّ عزيز بالتّجبّر قاهر ..... ببطش اقتداري للبريّة قامع
(512) وكلّ هدى في العالمين فإنّه ..... هداي ، وما لي في الوجود منازع
(513) أصوّر مهما شئت من عدم ، كما ..... أقدّر مهما شئت ، فهو مطاوع
(514) وأفني إذا شئت الأنام بلمحة..... وأحيي بلفظ من حوته البلاقع
(515) وأجمع ذرّات الجسوم من الثّرى ..... وأنشي كما كانت ، وإنّي بادع
(516) وفي البحر لو نادى باسمي حوتها ..... أجبت وإنّي للمناجين سامع
(517) وفي البرّ لو هبّت رياح على الثّرى ..... أحيط وأحصي ما حوته البقائع
(518) وخلف معالي قاف لو يستغيث بي ..... مغاث فإنّي ثمّ للضّرّ دافع
(519) وأقلب أعيان الجبال ، فلو أقل ..... لها : ذهبا كوني ، فهنّ فواقع
(520) وأجري إذا شئت السفائن في الثّرى ..... وفي البحر لو أبغي المطيّ سارع
(521) وإنّ الطّباق السّبع تحت قوائمي ..... ورجلي على الكرسيّ ثمّة رافع
(522) وبيتي سقف العرش حاشاي ليس لي .... مكان ومن فيضي خلقن المواضع
(523) وأجري على لوح المقادير ما أشا ..... وبالقلم الأعلى فكفّي بارع
(524) فسدرة أوج المنتهى لي موطن..... وغاية غايات الكمال مشارع
(525) فكلّ معاش الخلق تجريه راحتي ..... لراحتهم جودا ، ولست أصانع
(526) وفي كلّ جزء من تراكيب هيكلي ..... لوسعي ، فالكرسيّ والعرش ضائع

(527) فلا فلك إلّا وتجريه قدرتي ..... ولا ملك إلّا لحكمي طائع
(528) وأمحو الذي باللّوح قد كان ثابتا ..... وأثبت إذا وقعت ثمّ وقائع
(529) وإنّي على هذا ، عن الكلّ فارغ ..... وليس به لي همّة وتنازع
(530) ووصفي حقّا فوق ما قد وصفته ..... وحاشاي من حصر ومالي قاطع
(531) وإنّي علي مقدار فهمك واصف..... وإلا فلي من بعد ذاك بدائع
(532) وثمّ أمور ليس يمكن كشفها ..... بها قلّدتني عقدهنّ الشرائع
(533) قفوت بها آثار أحمد تابعا ..... فأعجب لمتبوع وما هو تابع
(534) نبيّ له فوق المكانة رتبة ..... ومن عينه للنّاهلين منابع
(535)عليه سلام الله منّي وإنّما ..... سلامي على نفسي النّفيسة واقع

شرح الأبيات :-

(495) أنا الحقّ والتحقيق جامع خلقه ..... أنا الذّات والوصف الّذي هو تابع

المعنى :

يكرر الجيلي هنا مقولة الحلاج " **أنا الحق** " ، هذه المقولة التي تسببت بهجوم العدوّ وبحرج الصديق . ونحن في صدد إعداد بحث عن الحلّاج وكلمته المشهورة " أنا الحق " ، ولنا في تفسيرها أقوال دافعة لكل شك وريبة ، لذلك لن نستبق الأمور هنا ونفصّل معاني مقولة " أنا الحق " .

بل نكتفي بأن نقول : إن الصوفي عندما يقول " **أنا الحق** " ، فهو يكون قد وصل إلى مقام **"أنا الحق "**.

ومقام " أنا الحق " لا يعني أبدا أن الإنسان أصبح هو الله ، بل كلمة **"حق"** هنا تعني الثبات .

فالعبد يظل يتقلب في أطوار المقامات حتى يصل إلى مقام لا ينتقل عنه ويثبت فيه ، فإذا وصل إلى هذا الثبات عبّر عنه بقوله : **أنا الحق** ، أي أنا الثابت الذي لا يتغير ، والذي لا يلحقه - بعد الآن - باطل من أي وجه من وجوهه .

فالجيلي هنا أصبح حقا ثابتا في تحققه بجميع حقائق المخلوقات .

وأصبح له ذات وهوية عندما تحلّى بالأوصاف الإلهية ، وهويته هي ذات ثابتة لا تتغير ، ويلحقها كل هذه الأوصاف التي يذكرها في الأبيات السابقة واللاحقة.

(496) فأحوي بذاتي ما علمت حقيقة ..... ونوري فيما قد أضاء ، فلامع

المعنى :

ينتقل الجيلي الآن من تفصيل مقام العبد الذي تجلّت فيه صفة الحياة ودوره ، إلى القول بأنه بعد صفة الحياة قد تجلّت فيه صفة العلم ، ويقول عن هذا المقام في [الإنسان الكامل ج 1 / ص 38] : " ومنهم من تجلّى الله عليه بالصفة العلمية ، وذلك أنه لما تجلى عليه بالصفة الحياتية السارية في جميع الموجودات ذاق هذا العبد بقوة أحدية تلك

الحياة جميع ما هي عليه الممكنات ، فحينئذ تجلّت الذات عليه بالصفة العلمية فعلم العوالم بأجمعها على ما هي عليه من تفاريعها من المبدأ إلى المعاد ، وعلم كل شيء كيف كان وكيف هو كائن وكيف يكون ، وعلم ما لم يكن ولم لا يكون ...

كل ذلك علما أصليا حكميا كشفيا ذوقيا من ذاته ، لسريانه في المعلومات ...
وهذا الكلام لا يفهمه الغرباء ولا يذوقه إلا الأمناء الأدباء " ...
وهكذا يعلمنا الجيلي في هذا البيت ، أن الذات الإلهية تجلّت عليه بالصفة العلمية بعد الصفة الحياتية ، فيقول : " فأحوي بذاتي ما علمت حقيقة " ، أي وذاتي تحوي كل معلوماتي ، أي كل ما هو كائن ...
ويقول في الشطر الثاني ، " ونوري فيما قد أضاء فلامع " ، أي ونوري هو الذي يلمع في كل شيء مضيء .

(497) ويسمع تسبيح الصّوامت مسمعي ..... وإنّي لأسرار الصّدور أطالع

المفردات :

الصوامت : ما هو صامت في حكم العادة والناس كالجمادات والنباتات الخ . . .
مسمعي : أداة سمعي .

المعنى :

يشير الجيلي في هذا البيت إلى تجلي الذات الإلهية عليه بصفة السمع ، ويقول عن هذا المقام في [الإنسان الكامل ج 1 ص 39] : " ومنهم من تجلّى الله عليه بصفة السمع ، فيسمع نطق الجمادات والنباتات والحيوانات وكلام الملائكة واختلاف اللغات ، وكان البعيد عنه كالقريب ...
وفي هذا التجلي سمعت [أي الجيلي] علم الرحمانية من الرحمن فتعلمت قراءة القرآن . . . " وهنا يؤكد الجيلي على هذا التجلي وتحصيله فيه ، فيقول : " ويسمع تسبيح الصوامت مسمعي " ، أي أن مسمعي يسمع تسبيح كل ما هو صامت في عرف الناس ، فأسمع تسبيح الشجر والحجر والحيوانات .
ونقول لا نستغرب شرعا أن تسبح هذه الصوامت الله عزّ وجلّ ، لأن هذا منصوص عليه في القرآن الكريم بقوله عزّ وجلّ :وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلكِنْ لا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ[الإسراء : 44].
ونستأنس هنا بنص للجيلي يشير فيه إلى تسبيح كل شيء في الوجود ، فيقول :
" . . . كل شيء في الوجود يسبّح الحق من حيث كل اسم ؛ فتسبيح الموجودات لله من حيث اسمه الحي هو عين وجودها بحياته ؛ وتسبيحها له من حيث اسمه العليم هو دخولها تحت علمه ؛ وقولها له " يا عالم " ، هي كونها أعطته العلم من نفسها بأن حكم عليها أنها كذا وكذا ؛ وتسبيحها له من حيث اسمه القدير هو دخولها تحت قدرته ؛ وتسبيحها له من حيث اسمه المريد هو تخصيصها بإرادته على ما هي عليه ؛ وتسبيحها له من حيث اسمه السميع هو إسماعها له إياه كلامها وهو ما تستحقه حقائقها

بطريق الحال ، لكنها فيما بينها وبين الله بطريق المقال ؛ وتسبيحها له من حيث اسمه البصير هي تعينها تحت بصره بما تستحقه ؛ وتسبيحها له من حيث اسمه المتكلم هي كونها موجودة عن كلمته ؛ وقس على ذلك باقي الأسماء " .
وهكذا كل مخلوق جامد صامت يسبّح ، وتسبيحه هو عين تكوينه وانفعاله للاسم الإلهي ، وهو ما يسميه الجيلي التسبيح بلسان الحال ، ولكن لسان الحال هذا هو لسان مقال فيما بين المسبّح الصامت وبين الله ، يسمعه من كشف الله عنه . . .
أما قول الجيلي في الشطر الثاني ، " وإني لأسرار الصدور أطالع " فهذا يعني أنّ الله عزّ وجلّ كشف له عما تخفي الصدور ، وذلك لأن من كان الحق عزّ وجلّ سمعه فهو يعلم السر وأخفى ، ويعلم ما تخفي الصدور .

(498) وأعلم ما قد كان في زمن مضى ..... وحالا ، وأدري ما أراه مضارع

المعنى :

يقول الجيلي ؛ " وأعلم ما قد كان في زمن مضى حالا " ، أي وأعلم الماضي وأعلم الحاضر . ويقول ؛ " وأدري ما أراه مضارع " ، أي وأرى المستقبل ، ولا يكفي أنني أراه بل أدريه .
ونقف هنا عند قوله " وأدري ما أراه " في المستقبل ، لنقول إنّ الإنسان قد يكشف له في رؤيا أو في منام عما سيحدث في المستقبل ، ولكن الرؤية هنا حيث أنها لم تقع بعد فهي معرّضة للتبديل ومعرّضة للتفسير والتأويل ، لذلك أتى الجيلي بعبارة " وأدري ما أراه " ، ليخبرنا بأنه يعلم تأويل ما يرى في المستقبل.

(499) ولو خطرت في أسود الليل نملة ..... على صخرة صمّا فإنّي مطالع

المفردات :

صخرة صما : الصماء من الصخور هي الممتلئة القاسية الصلبة ، وذلك لأن كل أجوف فهو رنان وكل ممتلئ فهو أصم لا يرجّع صوتا .

المعنى :

ينتقل الجيلي هنا من تجلي صفة العلم والسمع إلى تجلي صفة البصر ؛
فيقول : " ولو خطرت في أسود الليل نملة " ، أي لو مشت نملة سوداء في ليلة ظلماء ، وقد استخدم الجيلي في هذا الشطر كل ما يشعرنا بتمام الظلام والسكون ، فالنملة صغيرة تكاد لا ترى ، ولونها الأسود يضيع في سواد الليل ، وهذه النملة لا تمشي بل تخطر ، أي لا تكاد تلامس الأرض ، لأن فعل خطر هو فعل أدق وأرهف من فعل مشى وهو يستخدم للأطياف وقياسا للأجسام ....
فيكون معنى هذا البيت على ما يريد الجيلي : أنه لو مشت نملة سوداء ، مشيا لطيفا دون حس ، وفي ليلة شديدة السواد ، وعلى صخرة صماء لا ترجّع صوتا ، فإنه يراها .

(500) أعدّ الثّرى رملا مثاقيل ذرّه ..... وأحصي عديد القطر وهو هوامع

المفردات :

مثاقيل : ج . مثقال . **القطر** : ج . قطرة . **هوامع :** هامع ، هابط .

المعنى :

يتابع الجيلي تصوير عطاء ربّه ، ويحدثنا بنعمته تعالى عليه فهو الآن وقد تجلت عليه الذات بصفة البصر ، ولا يخفى علاقة السمع والبصر بالعلم ، يقول :
" أعد الثرى رملا مثاقيل ذرة " ، أي وأستطيع أن أعدّ حبات رمل الأرض كلها ، وليس فقط أعدّ حبات الرمل بل أعلم مثقال ذرات الرمل هذه ووزنها . . .

ويتابع بقوله في الشطر الثاني : " وأحصي عديد القطر وهو هوامع " ، أي وأستطيع أن أعد قطرات الماء الموجودة في المطر وهو نازل هابط . وقوله " وهو هوامع " أي وهو هابط ، ليبين لنا أن علمه هذا ليس مبنيا على الملاحظة والاختبار بل على الكشف والشهود .
فالجيلي لم يعدّ قطرات الماء قطرة قطرة بل أعطاه الله تعالى ذلك بطريق الكشف وأشهده إياه عيانا ، لذلك يستطيع معرفة عدد حبات المطر ، والمطر في حركة لم يتوقف حتى يعدّه. . .

(501) وأحكم موج البحر وسط خفيّها ..... عيارا ومقدارا ، كما هو واقع

المفردات :

وسط خفيها : وسط لججها .

المعنى :

يتابع الجيلي ، فيقول ؛ " وأحكم موج البحر وسط خفيها عيارا ومقدارا " ، أي وإنني أعلم بإحكام عيار ومقدار موج البحر ، والبحر مائج وسط لججه .
وقوله " كما هو واقع " ، أي وتكون هذه الأمواج على ما هي عليه في الواقع .

(502) وأنظر تحقيقا بعيني محقّقا ..... قصور جنان الخلد وهي قلائع

المفردات :

قلائع : ج . قلعة ، بمعنى الممتنع والبعيد العالي .

المعنى :

يتابع الجيلي تجلّي صفة البصر في العبد ، فيقول : " وانظر تحقيقا بعيني " ، أي وأنظر بعيني حقيقة .
ويكمل بقوله ؛ " محققا قصور جنان الخلد ، وهي قلائع " ، أي أتحقق من قصور الجنان ، وهي على ما هي عليه من الامتناع والبعد والعلو .

فيكون المعنى العام ، أن الجيلي - وقد تجلى الله عليه بصفة البصر - ينظر بعينيه حقيقة ليتحقق من قصور الجنة ، فيراها على الرغم من أنها كالقلعة المنيعة التي لا يعلمها أحد .

(503) وأتقن علما بالإحاطة جملة ..... لأوراق أشجار هناك أيانع

المفردات :

هناك : أي في جنان الخلد .

المعنى :

يتابع الجيلي وصف تجلّي صفة البصر على ذاته ، فيخبرنا ؛ بأنه يعلم إحاطة وجملة عدد أوراق شجر الجنة .

(504) وكلّ طباق في الجحيم عرفتها ..... وأعرف أهليها ، ومن ثمّ واقع

المفردات :

طباق : جمع طبقة . **وأعرف أهلها :** وأعرف أهل النار . **ومن ثم واقع :** من سيقع في النار.

المعنى :

يتابع الجيلي تجلّي صفة البصر ، فيقول ؛ وعرفت طبقات النار كلها ودركاتها وعرفت أهلها كذلك . كما إنني عرفت من هو الذي سيقع في النار من أهلها .

وقول الجيلي هنا : " ومن ثمّ واقع " ، فيه إشارة إلى التبديل .

وقد ورد في الصحاح أن النبي صلّى الله عليه وسلم قال : " إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما ، ثم علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله ملكا فيؤمر بأربع ، برزقه وأجله وشقي أو سعيد .

فو الله إن أحدكم - أو الرجل - يعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها غير باع - أو ذراع - فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها ، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها غير ذراع أو ذراعين فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها " . وقال رجل يسأل رسول الله صلّى الله عليه وسلم : أيعرف أهل الجنة من أهل النار ؟

فقال صلّى الله عليه وسلم : نعم . قال الرجل : فلم يعمل العاملون ؟

قال صلّى الله عليه وسلم : كل يعمل لما خلق له .

وفي حديث صحيح آخر عن الإمام علي رضي الله عنه قال :

" كنا جلوسا مع النبي صلّى الله عليه وسلم ومعه عود ينكت في الأرض . وقال : ما منكم من أحد إلا قد كتب مقعده من النار أو من الجنة . فقال رجل من القوم : ألا نتكل يا رسول الله ؟

قال صلّى الله عليه وسلم : لا ، اعملوا ، فكل ميسر " ، ويفهم من كلامه صلّى الله عليه وسلم فائدة العمل ودوره في إمكانية التبديل ، وأن الله سبحانه يمحو ما يشاء ويثبت . .

(505) وأنواع تعذيب هناك علمتها ..... وأهوالها طرّا ، وهنّ فظائع

المفردات :

هناك : أي في طباق الجحيم . **وأهوالها :** جمع هول ، وهو الأمر الفظيع .
طرا : جميعا . **فظائع :** جمع فظيعة وهي الأمر العظيم المفزع .

المعنى :

يتابع الجيلي تجلّي صفة البصر ، فيقول : " وأنواع تعذيب هناك علمتها " ، أي وعلمت أنواع التعذيب الموجودة في طباق الجحيم . ويقول : " وأهوالها طرا " ، أي وعلمت أهوال الجحيم جميعها .
وقوله " وهن فظائع " ، أي وأؤكد لكم من معرفتي هذه ، أن أنواع التعذيب التي في طباق الجحيم والأهوال الموجودة هناك هي فظيعة ، وهذا الإخبار فيه الكثير من التعليم والترشيد .

(506) وأملاكها حقّا عرفت ، ولم يكن ..... عليّ بخاف ما له أنا صانع

المفردات :

أملاكها : جمع ملك ، وهنا يقصد الملائكة المكلّفة بالعذاب في الجحيم .

المعنى :

يتابع الجيلي فوائد تجلّي صفة البصر ، فيقول : " وأملاكها حقا عرفت " ، أي وعرفت ملائكة الجحيم كلها .
ويكمل بقوله ؛ " ولم يكن عليّ بخاف ماله أنا صانع " ، أي وكيف يخفى عليّ الجحيم ودركاته وهو من صنعي .
ونقول هنا في تفسير كلام الجيلي ، إن الإنسان هو الذي ينزل نفسه في طباق الجحيم بذنوبه ، فالإنسان هو صانع جحيمه بما أتى من ذنوب قلبية وقالبية .
وننبّه إلى الفرق بين الجنة والجحيم ، فالجنة قد يهبها الله عزّ وجلّ منة منه وفضلا ودون سبب محدد إلى عبد من عباده ، ولكن الله عزّ وجلّ لا يرمي بعبد من عباده في النار دون ذنب ودون سبب .
فالجنة قد تكون فضلا من الله ولكن الجحيم دائما هو بأعمال الإنسان ، لأن الله سبحانه وتعالى ليس بظلام للعبيد .
فالله عزّ وجلّ إن شاء غفر لعبده ذنوبه وأدخله الجنة ورقاه في مراتبها ، وإن شاء حاسب عبده بذنوبه وأذاقه أهوال جحيمه .

(507) وكلّ عذاب ثمّ ذقت ولم أبل ..... أألخشى ، وإني للمقامين جامع

المفردات :

ولم أبَل : أي ولم أبال .

المعنى :

يقول الجيلي ؛ " وكل عذاب ثم ذقت ولم أبل " ، أي ذقت كل أنواع العذاب ولم أبال بما أذوق من العذاب .
وذلك لأنني لا أخاف العذاب إذ كيف أخاف " وإني للمقامين جامع " ، أي وأنا أجمع المقامين ، مقام الجنة ومقام النار ...
وهنا يشير الجيلي إلى أن المؤمن لا يخاف من عذاب النار لأنه مبشّر بالجنة .
فكل مؤمن مآله إلى الجنة لذلك حين يرد النار ، وما من إنسان إلا ويردها كل بحسب أعماله ، فهو لا يخاف .
وبما أن كل مؤمن هو مبشر بالجنة فهو حكما جامع للمقامين ، لمقام النار عند مروره فيها في البداية ، ولمقام الجنة حين إقامته فيها أبد الآباد ...
لذلك الجيلي هنا لم يخف ، ولم يبال بالعذاب عند وروده الجحيم ، لأنه يعلم خاتمته في الجنة ، وأن هذا العذاب سينقلب إلى نعيم مقيم .

(508) وكلّ نعيم إنّني لمنعّم ..... به ، وهو لي ملك ، وما ثمّ رادع

المفردات :

رادع : مانع .

المعنى :

يتابع الجيلي وصف رؤيته للجنان ، فيقول ؛ " وكل نعيم إنني لمنعم به " ، أي وبعد أن ذقت الجحيم ، تنعّمت بكل نعيم .
وهذا النعيم الذي أتنعم به هو ملكي لا يشاركني فيه أحد ولا يزول .
كما أنه لا يقوم مانع من ذاتي ، أو من خارج ، يمنعني من التنعّم بملكي . . . وهكذا نعيم أهل الجنة ، يتنعمون دون أي رادع في ملكهم .

(509) وكلّ عظيم في البريّة إنّه ..... كقطرة ماء من بحاري دافع

المعنى :

يتابع الجيلي وصف تجلّي الصفات الإلهية على ذات العبد ، فبعد صفة الحياة والعلم والسمع والبصر يصل إلى تجلي القدرة ،
فيقول : " وكل عظيم في البرية " ، أي كل عظيم تراه عيناك من البشر . . " كقطرة ماء من بحاري دافع " ، أي فهذا العظيم الذي تراه وتكبّر عظمته ، فإن عظمته هي كنقطة ماء دفعتها بحاري . . .
وما على القارئ إلا أن يتأمل المسافة التي بين نقطة الماء وبين البحر ، إنها هي عين المسافة التي بين عظمة كل عظيم وبين عظمة الجيلي [المجلى لصفة القدرة] .

(510) وكلّ حكيم كان ، أو هو كائن ..... فمن نوري الوضّاح في الخلق لامع

المفردات :

الوضاح : الظاهر الجلي . **لامع :** يلمع .

المعنى :
يقول الجيلي ؛ " وكل حكيم كان ، أو هو كائن " ، أي وكل حكيم من البشر موجود الآن ، أو سيوجد . . " فمن نوري الوضاح في الخلق لامع " ، أي فهذا الحكيم يلمع في الخلق بسبب نوري الظاهر فيه ...
وإذا تأملنا العلاقة بين الحكمة وبين النور ، فربّ نجد الجواب في أن الحكمة لا ينالها الإنسان بالكسب ، بل هي وهب إلهي يؤتى للإنسان ، وكل وهب فهو نوراني " ومن أوتي الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا . . . " .

(511) وكلّ عزيز بالتّجبّر قاهر ..... ببطش اقتداري للبريّة قامع

المعنى :
يتابع الجيلي بيان تجلي صفة القدرة ، فيقول ؛ وكل عزيز تراه في الكون يقهر الناس بتجبره ، فهو في الواقع يقمع الناس ويقهرهم ببطش اقتداري أنا ، وليس ببطش اقتداره هو ، فلا قدرة له إلا قدرتي .

(512) وكلّ هدى في العالمين فإنّه ..... هداي ، وما لي في الوجود منازع

المعنى :
يتابع الجيلي وصف تجلّي صفة القدرة عليه ، فيقول ؛ وكل هدى يهدى بداعية في الناس فإنه من هداي ، وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى :إِنَّ الْهُدى هُدَى اللَّهِ[آل عمران : 73] . . .
ويقول في الشطر الثاني ؛ " ومالي في الوجود منازع " ، أي إنني أفعل ما أريد في الوجود ، لا ينازع فعلي أحد .

(513) أصوّر مهما شئت من عدم ، كما ..... أقدّر مهما شئت ، فهو مطاوع

المفردات :
فهو مطاوع : أي العدم مطاوع .
المعنى :
يتابع الجيلي تجلّي صفة القدرة الإلهية على ذات الإنسان ، فيقول وهو في هذا التجلي ؛ " أصور مهما شئت من عدم " ، أي أخلق من العدم ما أشاء ، فقدرتي توجد المعدوم وتصوره . . .
ويتابع بقوله ؛ " كما أقدّر مهما شئت ، فهو مطاوع " ، أي أن قدرتي تسع المقدّر كذلك وليس فقط الموجود ، فأقدّر من العدم ما أشاء بعد أن أصور منه ما أشاء ، والعدم يطاوعني في تصوير الموجودات وتقديرها كما أشاء .
والجدير بالذكر هنا ، أن الجيلي يرى أن القدرة هي قوة ذاتية لا تكون إلا الله عزّ وجلّ ، وشأنها أن تبرز الموجودات من العدم إلى الوجود ، وهذه القدرة الإلهية هي عين

القدرة الموجودة في الكائنات ، ولكن في نسبتها إلى الخلق تسمى قدرة حادثة وفي نسبتها إلى الحق تعالى تسمى قدرة قديمة .
والقدرة في نسبتها إلى الإنسان عاجزة عن الإختراعات من العدم ، أي عاجزة عن إيجاد المعدوم . . .
فالإنسان حين يتجلى الله عليه بصفة القدرة ينتفي عنه العجز وتتكون الأشياء بقدرته ، ومن هذا التجلي تصرفات أهل الهمم ، ومنه أيضا عالم الخيال وما يتصور فيه من غرائب وعجائب ، ومنه أيضا المشي على الماء والطيران في الهواء إلى غير ذلك من الخوارق ....

(514) وأفني إذا شئت الأنام بلمحة ..... وأحيي بلفظ من حوته البلاقع

المفردات :

البلاقع : جمع بلقع ، والبلقع أو البلقعة هي الأرض القفر التي لا شيء بها .

المعنى :

يتابع الجيلي تجلّيات صفة القدرة ، يقول ؛ " وأفني إذا شئت الأنام بلمحة " ، أي إذا شئت ففي قدرتي أن أفني الناس كلهم بلمحة واحدة ، وذلك لأنّ قدرتي هي من آثار تجليات القدرة الإلهية ، والله عزّ وجلّ أمره كلمح البصر ، قال تعالى :وَما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ[القمر : 50] . . .
ويتابع الجيلّي بقوله ؛ " وأحيي بلفظ من حوته البلاقع " ، أي ليس في مقدوري فقط أن أفني الناس كلهم لو أشاء ، بل في قدرتي كذلك أن أحيي بلفظ ، والمقصود به هنا لفظ " كن " ، من حوته الأرض وكان مدفونا بها ، بكلام آخر إنه يحيى الميت بلفظ كن . . . فالعبد إذا تجلّى الله عليه بصفة القدرة يقول للشيء كن فيكون .

(515) وأجمع ذرّات الجسوم من الثّرى ..... وأنشي كما كانت ، وإنّي بادع

المفردات :

الجسوم : جمع جسم . **بادع :** مبدع ، خالق .

المعنى :

يتابع الجيلي تجلّيات صفة القدرة ، فيقول ؛ " واجمع ذرات الجسوم من الثرى " ، أي وبعد موت الناس وفنائهم وتبعثر ذرات جسومهم في الأرض فإنني أجمع ذرات جسومهم بعد تبعثرها . . .
ويقول ، " وأنشيء كما كانت " ، أي وانشيء هذه الجسوم كما كانت أول مرة . . .
وفي ذلك إشارة إلى قوله تعالى :قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ[يس : 78 و79] .
وينهي الجيلي هذا البيت بقوله ؛ " وإني بادع " ، أي وإني قادر على أنواع الإبداع والخلق .

(516) وفي البحر لو نادى باسمي حوتها ..... أجبت ، وإنّي للمناجين سامع

المعنى :

يتابع الجيلي تجلّيات صفة القدرة ، ويتداخل معها من الصفات السابقة صفة السمع ، يقول ؛ " وفي البحر لو نادى باسمي حوتها أجبت " ، أي في البحر لو نادى باسمي من هو في بطن الحوت لأجبته . . .

و " حوتها " هنا هي بدل اشتمال تعني من كان في بطن الحوت ، وهو وارد في اللغة ، قال تعالى :وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ[يوسف : 82].

بمعنى إسأل أهل القرية . . . قوله " وإني للمناجين سامع " معناه ، لا يستطيع الناس أن يسروا نجواهم عني فإني أسمع السر والنجوى .....

(517) وفي البرّ لو هبّت رياح على الثّرى ..... أحيط وأحصي ما حوته البقائع

المفردات :

البقائع : جمع بقعة وبقاع . والبقيع من الأرض هو المكان المتسع ولا يسمى بقيعا إلا وفيه شجر .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل تجلّيات الصفات على ذاته ، فيقول ؛ " وفي البر لو هبت رياح على الثرى " ، أي كما في البحر كذلك في البر ، لو سارت الريح على رمال الأرض ، فإنني أحيط بما حوته الأرض وأحصي كل شيء عددا.

(518) وخلف معالي قاف لو يستغيث بي ..... مغاث فإني ثمّ للضرّ دافع

المفردات :

معالي قاف : أعالي جبل قاف ، وجبل قاف هو في الرمز الصوفي يمثل الامتناع والبعد فكل بعيد ممتنع هو خلف جبل قاف . **مغاث :** مستغيث .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل تجلي صفة القدرة ، وقوله : " وخلف معالي قاف لو يستغيث بي مغاث " ، معناه أنه لو قام جبل قاف على علوه بيني وبين إنسان ، وهذا الإنسان استغاث بي ، لسمعته .

وقوله : " فإني ثم للضر دافع " ، معناه وإن هذا المستغيث رغم وجوده خارج الأرض ، وبينه وبين سكانها يرتفع جبل قاف ، واستغاث بي ، فليس فقط في قدرتي أن أسمعه ، بل وأدفع عنه الضر ، والأذى الذي يستجير منه . . .

ونقول ، هذا مع العلم بأنه لا يكشف الضر إلا الله عزّ وجلّ لقوله تعالى :وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلا كاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ[يونس : 107] ،

ولكن هذا العبد الذي يسمع المستغيث ويكشف الضر ، فهو العبد الذي فني عن نقائصه البشرية وبقي بروحه القدسية في مراتب قرب الولاية ، يسمع بالحق ويرى بالحق

ويبطش بالحق ويكشف الضر بالحق ، فالقدرة لله عزّ وجلّ لا يشارك فيها ، يعطيها لمن يشاء من عبيده ، وسبحان من يعطي من يشاء من عبيده بغير حساب ...

(519) وأقلب أعيان الجبال فلو أقل ..... لها : ذهبا كوني ، فهنّ فواقع

المفردات :

أعيان الجبال : جمع عين الجبل ، وعين الجبل هو مادته أي التراب .
فهن فواقع : أي تصبح ذهبا أصفر فاقعا .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل تجلّيات صفة القدرة ، ويقول : إن في قدرته أن يقلب تراب الجبال ذهبا ، فلو قال لتراب الجبال : كن ذاهبا ، فإنه يكون ، وفي ذلك إشارة إلى كلمة التكوين " كن " .
وليس هذا بمستبعد أي ليس بمستبعد أن يقلب الله عزّ وجلّ تراب الجبال ذهبا لمن يريد من خلقه ، وهو تعالى قد أرسل جبريل إلى نبيه صلّى الله عليه وسلم يسأله أن يجعل له جبل أحد ذهبا . . .
ويجدر أن ننبه هنا إلى كل أدوات الشرط التي يستخدمها الجيلي ، كما في قوله في الأبيات السابقة " لو نادى باسمي حوتها " " لو هبت رياح على الثرى " ، " لو يستغيث بي مغاث " ، "
فلو أقول لها : ذهبا كوني " وقوله في البيت اللاحق " إذا شئت " ، " لو أبغي " . . .
فأدوات الشرط هذه تلمح إلى ما أعطى الحق عزّ وجلّ الجيلي من القدرة ، كما تبين أنه لم يفعل بقدرته شيئا ، وذلك لأنه لا يشاء إلا ما يشاء الله عزّ وجلّ .

(520) وأجري إذا شئت السفائن في الثّرى .... وفي البحر لو أبغي المطيّ تسارع

المفردات :

في الثرى : في التراب . **المطي :** ما يركب ويمتطى من الدواب .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل تجلّيات صفة القدرة وما يمنحه العبد من آثارها ، فيقول هنا : " وأجري ، إذا شئت ، السفائن في الثرى " ، أي ولو أشاء لسيّرت السفن على التراب ، وفي ذلك تأكيد على قدرة تمكّن السفن ، التي لا تجري إلا على الماء ، من الجريان على التراب . .
وقوله : " وفي البحر ، لو أبغي ، المطيّ تسارع " ، معناه ، وكما أسيّر السفن في التراب كذلك لو أريد لجعلت الدواب تسارع في البحر .
[قارن مع " أرض الحقيقة " في فتوحات ابن العربي ، ج 1 / ص126 ،ص - 130] .

(521) وإنّ الطّياق السّبع تحت قوائمي ..... ورجلي على الكرسيّ ثمّة رافع

المفردات :

الطباق السبع : المقصود هنا طبقات الجنة السبع . **الكرسي :** هي مظهر الاقتدار عند الجيلي [راجع الإنسان الكامل ، 2 / ص 5] .

المعنى :

بعد أن فصّل الجيلي قدراته وقد تجلت عليه الذات الإلهية بصفاتها ، ورأيناه يظهر بمظاهر الصفات من حياة وعلم وبصر وسمع وكلام وإرادة وقدرة ، ينتقل للكلام - في هذا البيت والأبيات اللاحقة - على مكانة الإنسان الكامل ، وهو محمد صلّى الله عليه وسلم .

ولكن نلاحظ أن الجيلي يتابع كلامه بصيغة المتكلم ، وهذا مألوف صوفيا ، إذ إنّ الصوفي ينقّل أقدامه من موطن إلى موطن ، وينقّل وجدانه من هوى إلى هوى ، كل ذلك والخطاب يتسلسل دون انقطاع ودون تصريح .

والجيلي هنا ينتقل من الكلام على تجليات الصفات وأثرها على العبد ، إلى الكلام على مكانة النبي صلّى الله عليه وسلم الذي هو " عين ذات كل فرد من أفراد الجنس البشري " ، على ما يؤكد الجيلي [راجع الإنسان الكامل ، ج 1 / ص 78] .

ويختتم الجيلي قصيدته بهذا الكلام الذي يعرفنا به على مكانة النبي صلّى الله عليه وسلم .

وقوله هنا ، " وإن الطباق السبع تحت قوائمي " ، تشير إلى مقام النبي صلّى الله عليه وسلم في طبقة فوق الجنان ، وهي التي تسمّى بالمقام المحمود .

وذلك أن الجنان على ما يفصّلها الجيلي في [الإنسان الكامل ج 1 / ص 34] على ثماني طبقات :

الطبقة الأولى تسمى جنة السلام وأيضا جنة المجازاة ، ويدخلها الناس بأعمالهم الصالحة .

والطبقة الثانية هي فوق الأولى وأعلى منها **وتسمى جنة الخلد** وجنة المكاسب ، ويدخلها الناس نتيجة عقائدهم وظنونهم الحسنة بالله تعالى .

والطبقة الثالثة تسمى جنة المواهب وهي أوسع الجنان ، وهي سر قوله تعالى :وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ [الأعراف : 156].

والطبقة الرابعة تسمى جنة الاستحقاق وجنة النعيم وجنة الفطرة ، وهي مختصة بمن خرج من الدنيا وروحه لا تزال باقية على فطرتها الأصلية التي خلقه الله تعالى عليها أي على أحسن تقويم . والطبقة الخامسة تسمى بالفردوس وهي جنة المعارف أهلها هم شهداء الجمال والحسن الإلهي ، قتلوا في محبة الله تعالى بسيف الفناء عن نفوسهم ، فلا يشهدون إلا محبوبهم.

والطبقة السادسة تسمى الفضيلة ، وأهلها هم الصديقون الذين أثنى الله عليهم بأنهم عند مليك مقتدر .

والطبقة السابعة تسمى الدرجة الرفيعة ، وأرضها باطن العرش ، وأهلها يسمون أهل التحقق بالحقائق الإلهية ، وهم المقربون أهل الخلافة الإلهية .
والطبقة الثامنة هي التي تسمى بالمقام المحمود ، أرضها سقف العرش ليس لأحد عليها طريق ، وكل من أهل الطبقة السابعة هو طالب للوصول إليها .
ولكن هي لمحمد صلّى الله عليه وسلم لقوله إن المقام المحمود أعلى مكانة في الجنة ، وإنها لا تكون إلا لرجل واحد ، وأرجو أن أكون أنا ذلك الرجل ، ثم أخبر أن الله تعالى وعده بها ، فلنؤمن ونصدق بما قاله فإنه لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى . . .
وهكذا في هذا البيت والذي يليه ، يتكلم الجيلي على المقام المحمود ، وأنه الطبقة الثامنة من الجنان ، لا يدخلها إلا واحد هو النبي صلّى الله عليه وسلم ، وإن المقام المحمود الذي يقف النبي صلّى الله عليه وسلم على أرضه يعلو الطباق السبع .
وقول الجيلي : " ورجل على الكرسي ثمة واقع " ، معناه ، أن النبي صلّى الله عليه وسلم المقيم في المقام المحمود " قد رفع رجله على الكرسي " ، وهي عبارة رمزية تعني قد تحقق بالاقتدار ، وأن منه يبرز الأمر الإلهي إلى الوجود .
لأن الكرسي ، على ما يقول الجيلي في [الإنسان الكامل 2 / 5] ، عبارة عن تجلي جملة الصفات الفعلية ، وهو مظهر الاقتدار الإلهي ومحل الأمر والنهي ، ومركز الضر والنفع ، ومنه يبرز الأمر الإلهي في الوجود . . .

(522) وبيتي سقف العرش حاشاي ليس لي .... مكان ومن فيضي خلقن المواضع

المفردات :

ليس لي مكان : لا يحدني مكان . **المواضع** : جمع موضع .

المعنى :

يقول الجيلي واضعا مقام النبي صلّى الله عليه وسلم في درجته في الجنان ، فيقول ؛
" وبيتي سقف العرش " ، أي ومنزل محمد صلّى الله عليه وسلم هو المقام المحمود الذي محله فوق العرش ، وأرضه سقف العرش كما مر معنا في البيت السابق .
وقوله : " حاشاي ليس لي مكان ومن فيضي خلقن المواضع " ، أي وتحديد منزل النبي عليه الصلاة والسلام بالمقام المحمود هو حصر ينزّه النبي صلّى الله عليه وسلم عنه ، فالنبي عليه الصلاة والسلام وإن كان منزله المقام المحمود إلا أنه يعلو عن أن يحصره مقام أو مكان أو منزل ، بل من فيض وجوده خلقت الأمكنة كلها . وفي ذلك إشارة إلى الحديث القدسي الذي يردده الصوفية كثيرا ،
والذي معناه : إن أول ما خلق الله عزّ وجلّ نور النبي صلّى الله عليه وسلم ، ومن نوره خلق كل شيء ...

(523) وأجري على لوح المقادير ما أشا ..... وبالقلم الأعلى فكفّي بارع

المعنى :
يتابع الجيلي الكلام على مكانة النبي صلّى الله عليه وسلم ودوره في بناء الكون ، وأنه هو الذي يمسك بأصابع كفه القلم ليكتب فيه على لوح المقادير ما يشاء ، ويكون الأمر في الوجود على حسب ما قضاه وقدّره.

(524) فسدرة أوج المنتهى لي موطن ..... وغاية غايات الكمال مشارع
المفردات :
مشارع : المشرعة هي الموضع الذي ينحدر إلى الماء منه .
المعنى :
يتابع الجيلي الكلام على الإنسان الكامل أي النبي صلّى الله عليه وسلم ، ومكانته في الكون ،
فيقول بلسان الحقيقة المحمدية : " فسدرة أوج المنتهى لي موطن " ، أي موطن النبي صلّى الله عليه وسلم ومنزله هو أعلى سدرة المنتهى . . وقوله : " وغاية غايات الكمال مشارع " ، معناه أن غاية الكمال هي طريق من أراد أن ينهل من منابعي .

(525) فكلّ معاش الخلق تجريه راحتي ..... لراحتهم جودا ولست أصانع
المفردات :
راحتي لراحتهم : الراحة هي باطن اليد ، وهي مكان الأخذ والعطاء .
جودا : كرما . **أصانع :** المصانعة هو أن تصنع شيئا لإنسان ليصنع لك في مقابله شيئا آخر .
المعنى :
يتابع الجيلي مكانة الإنسان الكامل ، أي النبي صلّى الله عليه وسلم من الكون ،
فيقول :
" فكل معاش الخلق تجربه راحتي لراحتهم جودا " ، بمعنى ها هي يد النبي صلّى الله عليه وسلم مبسوطة بالعطاء ، وكل أرزاق العباد تجري من راحة يده عليه الصلاة والسلام لتقع في راحة أيدي البشر ...
وقوله " : ولست أصانع " ، أي وهذا العطاء ، الذي يجري من راحة يد النبي صلّى الله عليه وسلم إلى راحات البشر ، هو من باب الجود والكرم الصرف ، هو عطاء لا ينتظر معاوضة وعوضا .

(526) وفي كلّ جزء من تراكيب هيكلي ..... لوسعي فالكرسيّ والعرش ضائع
المفردات :
هكيلي : جسمي .
المعنى :

يتابع الجيلي وصف مكانة الإنسان الكامل الذي هو النبي صلّى الله عليه وسلم ، وهو في كل ذلك مأخوذ الوجدان ، يتكلم - في حال توحّده - بلسان الإنسان الكامل ، ليخبر : بأن في كل جزء من تراكيب جسم الإنسان الكامل ، لإتساعه ، يضيع العرش والكرسي .
وهذا يذكرنا بقول السيدة عائشة رضي الله عنها ، أنها رأت النبي صلّى الله عليه وسلم على حقيقته مرتين فقط ، ووصفت عظمة ما رأت في صورة بدنية.
ويظهر حظ الجنس البشري من هذا الكمال في الحديث القدسي ، الذي يردده الصوفية كثيرا ، وذكره الغزالي في الأحياء [ج 3 / ص 15] : " ما وسعني أرضي ولا سمائي ووسعني قلب عبدي المؤمن " فالإنسان في التصور الصوفي هو المخلوق الحادث الذي خلقه الله عزّ وجل بعد أن خلق الكائنات كلها ، من عرش وكرسي وقلم ولوح وملائكة وأرض وسماء . .
وجمع له في تكوينه كل ما تفرّق في العوالم المخلوقة .

(527) فلا فلك إلّا وتجريه قدرتي ..... ولا ملك إلّا لحكمي طائع

المفردات :

فلك : مدار النجوم .

المعنى :

يتابع الجيلي تفصيل مكانة النبي صلّى الله عليه وسلم - الإنسان الكامل - في الكون ، وهو الخليفة الذي يظهر بكل مظاهر الحق الذي استخلفه.
فالله عزّ وجلّ تجري الفلك بأمره وله الحكم وله الملك ، وكذلك من جعله في الأرض خليفة أعطاه قدرة تجري الفلك ، وأعطاه حكما يطيعه الملك. . .

(528) وأمحو الذي باللّوح قد كان ثابتا ..... وأثبت إذا وقعت ثمّ وقائع

المفردات :

وقعت الوقائع : نزلت نوازل ، والواقعة هي الداهية النازلة من صروف الدهر .

المعنى :

يتابع الجيلي تفضيل مكانة النبي صلّى الله عليه وسلم - الإنسان الكامل - في الكون ، وكيف أن الله عزّ وجلّ استخلفه في الأرض وأعطاه من قدرته ما يمكّن فيه استخلافه في الأرض ، وهنا يقول الجيلي عن الإنسان الخليفة ، بأنه يمحو ما هو مكتوب مثبت في اللوح ، وهو لا يمحو فقط بل يثبت أيضا النوازل المقضي بها على البشر ...

فالله عزّ وجلّ يمحو ما يشاء ويثبت ، وقد أذن تعالى لخليفته بأن يبرز بالقدرة في ظاهر الأكوان ، فيمحو ويثبت.

(529) وإنّي على هذا عن الكلّ فارغ ، ..... وليس به لي همّة وتنازع

المفردات :

تنازع : حنين واشتياق .

المعنى :

ينبّه الجيلي هنا على أن الإنسان - الخليفة ، وإن ظهر بكل هذه المظاهر من قدرة وإرادة وحياة وسمع وبصر وكلام ، كذلك وإن كان موطنه أعلى سدرة المنتهى ويجري على لوح المقادير ما يشاء ، وإن كانت قدرته تجري الأفلاك وأحكامه تطيعها الأملاك ، فهو من كل ما تقدم فارغ الهمة ، ووجه قلبه غير ملتفت إلى شيء مما يظهر فيه أو عليه ، فيقول : " وإني على هذا " ، أي وإني - والمقصود النبي صلّى الله عليه وسلم - على كل ما تقدم تعداده من مظاهر القدرة ، " عن الكل فارغ " أي غير مشغول بأي أمر من الأمور المتقدمة .

وقوله : " وليس به لي همة وتنازع " ، أي ولا تنازعني نفسي إلى شيء من القدرة التي تظهر عليّ ، وإنني كذلك لا أهمّ بأي عمل أقوم به ، ويكون بذلك هذا الإنسان الخليفة وإن ظهر بكل مظاهر القدرة إلا أنه لا يشاء إلا ما يشاء الله عزّ وجلّ ، وإنّ نفسه لا تنازعه إلى شيء ولا تهمّ بشيء. . .

(530) ووصفي حقّا فوق ما قد وصفته ..... وحاشاي من حصر ، ومالي قاطع

المفردات :

ومالي قاطع : ومالي حد .

المعنى :

بعد كل ما فصّل الجيلي من أوصاف الإنسان الخليفة يقول : " ووصفي حقا فوق ما قد وصفته " ، أي ومكانة النبي صلّى الله عليه وسلم وأوصافه ، هي أعلى في الحقيقة من كل كلام شرحته وفصلته ...

وقوله : " وحاشاي من حصر ومالي قاطع " ، أي وكيف تحصر الأوصاف من هو مثلي ، والكلام هنا على لسان الحقيقة المحمدية ، فأنا فوق الحصر ولا حد يحدّني ولا تتناهى أوصافي .

ويروي الجيلي في [الإنسان الكامل ج 2 / ص 15] عن الشيخ عبد القادر الجيلاني قوله في المعنى نفسه :

" ما زلت ارتع في ميادين الرضا ..... حتى بلغت مكانة لا توهب ".

(531) وإنّي علي مقدار فهمك واصف ..... وإلا فلي من بعد ذاك بدائع

المفردات :

بدائع : جمع بديع ، وأبدع الشيء بمعنى أحدثه واخترعه لا على مثال.

المعنى :

يتابع الجيلي كلامه على أوصاف الإنسان الكامل ، وهو النبي صلّى الله عليه وسلم ، يقول :

“ وإني على مقدار فهمك واصف “ ، بمعنى وإن كل ما أصف به الخليفة -الإنسان الكامل ، فإنما هو على قدر فهمك وليس على قدر حقيقته .
وفي ذلك تأكيد على الموقف النبوي من حيث أنه يخاطب الناس على قدر عقولهم .
وقوله “ : وإلا فلي من بعد ذاك بدائع “ ، معناه وإن كنت وصفت على مقدار فهمك ، إلا أن الله عزّ وجلّ أعطاني ما ليس له في فهمك مثال .

(532) وثمّ أمور ليس يمكن كشفها ..... بها قلّدتني عقدهنّ الشرائع

المفردات :

قلدتني : ألزمتني ، قلده الأمر بمعنى ألزمه إياه . **عقدهن :** العقد هو السر والعهد .
ورد في [اللمع ، الطوسي ص 430] : “ **والعقد :** عقد السر ، وهو ما يعتقد العبد بقلبه بينه وبين الله تعالى أن يفعل كذا أو لا يفعل كذا ،
قال الله تعالى :يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ[المائدة : 1] “ .

المعنى :

يقول الجيلي ؛ “ وثم أمور ليس يمكن كشفها “ ، أي وهناك أمور لا تقال ، ولا يمكن الكشف عنها بالعبارات .
وقوله : “ بها قلدتني عقدهن الشرائع “ ، معناه ، وإنّ هذه الأمور التي لا تقال قد ألزمتني الشرائع بأن أدعها سرا .
فالجيلي لا يكشف عن هذه الأمور ، لأنها من علوم الأسرار .

(533) قفوت بها آثار أحمد تابعا ..... فأعجب لمتبوع وما هو تابع

المفردات :

فأعجب : عجبا .

المعنى :

يقول الجيلي ؛ “ قفوت بها آثار أحمد تابعا “ ، أي إنني عندما تركت هذه الأمور سرا ، فقد قفوت بذلك وتتبعت آثار النبي صلّى الله عليه وسلم ، لأنه عليه الصلاة والسلام لم ينشر كل علومه على الناس ؛ فمن العلوم ما بلّغه للناس ، ومنها ما كتمه عن الناس ولم يؤمر بتبليغه . . .
وقوله “ : فأعجب لمتبوع وما هو تابع “ ، أي ويا عجبا لنبيّ تبعته كل الخلائق ، ونتّبعه في كل فعل وترك ، وهو أول في الشريعة لم يتبع أحدا ، فهو أول غير تابع لأحد وإن كان متبوعا من كل مؤمن .

(534) نبيّ له فوق المكانة رتبة ..... ومن عينه للنّاهلين منابع

المفردات :

للناهلين : للشاربين .

المعنى :

يقول الجيلي ؛ " نبي له فوق المكانة رتبة " ، بمعنى أن رتبة النبي صلّى الله عليه وسلم لا تقاس بالمكانة ، بل هي فوق معيار الأمكنة والمقياس بها ؛ تماما كما نقول عن شيء نريد أن نعدّه إنه لا يقاس بالعدد لأنه فوق العدد ، وأجلّ من أن يكون معدودا بعدد .
وقوله : " ومن عينه للناهلين منابع " ، أي ومن ذاته صلّى الله عليه وسلم وشريعته تتعدد منابع المعرفة والسلوك لترضي وتروي جميع أصناف الشاربين . . . .
فكل عطشان وعلى أي صورة كان عطشه ، فإنه يرد حوضه صلّى الله عليه وسلم ولا يلبث أن يرفع وجهه راضيا شكورا .

(535) عليه سلام الله منّي وإنّما ..... سلامي على نفسي النّفيسة واقع

المعنى :
يقول الجيلي ؛ " عليه سلام الله مني " ، بمعنى ؛ اللهمّ سلّم على سيدنا محمد صلّى الله عليه وسلم . .
وقوله : " وإنما سلامي على نفسي النفيسة واقع " ، أي وإن سلامي على النبي صلّى الله عليه وسلم يقع في الحقيقة على نفسي النفيسة . . .
وهذا معناه أن النبي صلّى الله عليه وسلم هو نفس الجيلي النفيسة ، ولا يحصر الجيلي النبي صلّى الله عليه وسلم بنفسه ،
بل يقول في الإنسان الكامل ، [ج 1 / ص 78] ، إنّ " الحقيقة المحمدية هي عين ذات كل فرد من أفراد الإنسان " ؛ بكلام آخر ، إنّ النبي صلّى الله عليه وسلم هو ذات كل فرد منا ، هو النفس النفيسة التي فينا .
وتأكيد الجيلي على صفة النفيسة لتمييزها عن النفس الخسيسة الأمّارة في الإنسان .
فالنبي هو نفسنا النفيسة التي نجاهد كل لحظة للوصول إليها . . .
ولا ينبغي هنا أن يجفل القارئ عندما يسمع صوفيا يقول :
إنّ النبي هو نفسه النفيسة ، بل يتروّى قليلا ، ويراجع الشرع ، فإنه يرى أن الشرع يأمرنا بأن نتأسّى به في كل شيء ،
وما معنى أن نتأسّى به في كل شيء ، أليس هو بلغة الواقع أن ننطبع بصورته الصفاتية ، وأن نستبدل نفسنا الخسيسة الأمّارة بنفس نصيغها من اتباعه صلّى الله عليه وسلم على مقدار طاقتنا .
والمسلم الحق المتّبع للأوامر الإلهية بصدق ، هو من فكّك أعماقه وأعاد صياغتها على النموذج الإنساني المتجلي للناس في كينونة النبي صلّى الله عليه وسلم . . .
أليس عندها : أنّ كل جزء نفيس في نفوسنا ، فهو منه عليه أفضل الصلاة وأتمّ التسليم.

تم و الحمد لله رب العالمين

*

عبدالله المسافر بالله